مركز دراسات الوحدة العربية

عبد الهادي التازي

نشاطه الفكري والسياسي

عمّار رشيد جبوري العزاوي

هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب رسم صورة واضحة وجديدة بالمفكر والمؤرخ والمناضل والدبلوماسي والموسوعي المغربي عبد الهادي التازي، الذي ترك بصمة فكرية وسياسية في أغلب العواصم العربية والإسلامية. كما يؤرخ الكتاب ويعرض النشاط الفكري والسياسي للتازي، ويكشف عن نضاله وتضحياته في سبيل خدمة المغرب والأمة العربية، ودوره في تطوير العلاقات المغربية ـ العراقية والعلاقات المغربية ـ العربية بوجه عام.

يلقي هذا الكتاب الضوء على عبد الهادي التازي المناضل والمضحي في سبيل قضية أمته التي ظل مخلصاً لها وثابتاً على قيمه ومبادئه، مرتكزاً في ذلك على مرجعية فكرية وقاعدة ثقافية ميزته في مقاومة القوى العسكرية والسياسية الفرنسية التي أرادت أن تسلب المغاربة حريتهم واستقلالهم وطمس هويتهم، متخذاً من مبادئ الإسلام ومنبر الصحافة وبما تأثر به من فكر قادم من المشرق العربي سلاحاً ضد المحتل.

أدرك عبد الهادي التازي أن تقدم الدول مرهون بتعليمها، لذلك ساهم في الخطوات الأولى لبناء المؤسسة الثقافية المغربية ولإرساء علاقات دبلوماسية مغربية ـ عربية متينة جعلت منه محط إعجاب وتقدير المثقفين والساسة المغاربة والعرب.

عمّار رشيد جبوري العزاوي

- من مواليد بغداد عام ١٩٧٢.
- حائز شهادة البكالوريوس في التاريخ الإسلامي والحديث.
- حائز شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من الجامعة المستنصرية.
- له بحث منشور في مجلة كلية التربية بعنوان «أوضاع المغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى إعلان الحماية الفرنسية ١٩١٢»، ودراسة مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة محمد الخامس، بعنوان «مساهمات الجامعات العراقية في الدراسات المغربية».

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الحمراء - بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ ـ لبنان
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ ـ ٧٥٠٠٨٥ ـ ٧٥٠٠٨٦ ـ ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)
e-mail: info@caus.org.lb
Web site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ١٠ دولارات
أو ما يعادلها

ISBN: 978-9953-82-729-2

عبد الهادي التازي

نشاطه الفكري والسياسي

مركز دراسات الوحدة العربية

عبد الهادي التازي

نشاطه الفكري والسياسي

عمّار رشيد جبوري العزاوي

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
العزاوي، عمّار رشيد جبوري
عبد الهادي التازي: نشاطه الفكري والسياسي/ عمّار رشيد جبوري العزاوي.
١٩٢ ص.
ببليوغرافية: ص ١٧١ ـ ١٨٨.
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-82-729-2
١. التازي، عبد الهادي (١٩٢١ ـ ٢٠١٥). ٢. المغرب ـ تراجم.
٣. المغرب ـ تاريخ. أ. العنوان.
922.97

العنوان بالإنكليزية
The Intellectual and Political Activism of Abdul-Hadi Al-Tazi
By Ammar Rasheed Jaboori Al-Azzawi

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ ـ لبنان
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ ـ ٧٥٠٠٨٥ ـ ٧٥٠٠٨٦ ـ ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)
email: info@caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، كانون الثاني/يناير ٢٠١٦

إهـــداء

أهدي هذا الجهد المتواضع

إلى.....

من اختطفته يد المنون وأنا ما أزال محتاجاً إلى علمه ومعرفته

إلى من رحلت به الأقدار وأنا ما أزال استسقي من بحر جوده

(الباذل الكريم والدي العزيز)

وإلى.....

من ربت وسهرت.. إلى من ضحت وكبّرت...

(والدتي الحنونة)

إلى....

القلب الذي ينبع بالحب والتضحية، فكانت خير سند وعون لي

(زوجتي الغالية)

وإلى....

قرة عيني وبهجتي وسروري

(أبنائي: ياسر وميار)

شكر

يشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير إلى أستاذي الدكتور نضر علي أمين الشريف، الذي راجع مخطوطة الكتاب وأشرف عليها عندما قدمت إلى كلية التربية الأساسية في الجامعة المستنصرية كمشروع لرسالة ماجستير في التاريخ الحديث، فكان لجهوده العلمية وتوجيهاته السديدة الأثر الكبير في إنجازِها وإكمالها، جزاه الله خير الجزاء.

ومن باب العرفان بالجميل، أقدم شكري وامتناني للدكتور شمران العجلي، والدكتور محمود علي الداود، والدكتور محمود عبد الواحد القيسي الذين كان لهم الفضل في اختيار الموضوع ودعمه، وللدكتور القيسي الفضل في تذليل الصعوبات أمامي للسفر إلى المغرب، متمنّياً لهم الصحة والعطاء الدائم.

وأتقدم بالشكر إلى الدكتورة شيماء سالم عبد الصاحب، رئيسة قسم التاريخ سابقاً، والشكر موصول إلى رئيس القسم الحالي الدكتور خضير عباس جري، لما قدماه لي من رعاية. ويحتم عليَّ واجب الوفاء أن أقدم شكري للأساتذة الأجلاء في السنة التحضيرية لما قدموه من جهود وتوجيهات، كان لها أهمية في السنة البحثية. وهم كل من د. كريم طلال ود. غانم رميض ود. قصي كامل شبيب ود. سهيل صبحي وأ. سعد صلال ود. خضير حسن سلمان ود. قيس الغريري ود. عماد العبادي والمرحوم د. جبار الحارثي. وأتقدم بالشكر الجزيل إلى د. سمر رحيم نعمة، و د. لقاء جمعة الطائي، لإعانتهما لي ببعض المصادر التي أفادت البحث.

ويقتضي عليَّ واجب الاعتراف بالجميل أن أسجل عرفاني إلى الأستاذ المناضل والدبلوماسي والمؤرخ عبد الهادي التازي، لتزويدي بالمصادر والمعلومات والوثائق التي أغنت البحث، ولما وفره لي من أجواء الاستقرار والراحة أثناء وجودي في المغرب. والشكر الجزيل لعائلته الكريمة وبخاصة زوجته ثريا بو طالب التي وافاها الأجل أثناء إعداد الرسالة. وشكر مخصوص إلى نجله أ. سعد التازي وابنته حبيبة سعد التازي. كما أقدم خالص احترامي وتقديري إلى أ. حميد شباط عمدة مدينة فاس ورئيس حزب الاستقلال المغربي، والسيد عبد المجيد الكوهي رئيس بلدية فاس

العتيقة لرعايتهما لي أثناء وجودي في فاس. واشكر الإخوة العاملين في المكتبة المركزية للجامعة المستنصرية وجامعة بغداد وبخاصة السيدة بيداء ولي والسيدة مديحة جواد، أمينة مكتبة قسم التاريخ في كلية الآداب. جامعة بغداد.

وفي الختام أقف عاجزاً عن تقديم الشكر لإخوتي وأخواتي الذين شدوا من أزري ويسروا لي المصاعب فكانوا خير عون لي. واسأل الله التوفيق للجميع.

المختصرات

- د. ك. و: دار الكتب والوثائق
- دائرة السجلات العامة (لندن): P. R. O. (Public Record Office)
- وثائق وزارة الخارجية البريطانية: F.O. (Foreign Office 371)
- وثائق الأرشيف الأمريكي: R. G. (Record Group)
- رقم الفايل: D. F. (Decimal File.n881.001)

المحتويات

قائمة الملاحق

خلاصة الكتاب

يعد التصدي لدراسة الشخصيات الوطنية المغربية التي أدت دوراً فكرياً وسياسياً في مقدمة المواضيع التي تستحق اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين والمؤرخين.

من هنا تحاول هذه السطور قدر الإمكان رسم صورة واضحة وجديدة لأحد أبرز أعلام المغرب، عبد الهادي التازي، ولنشاطه الفكري والسياسي، وتكشف عن نضاله وتضحياته في سبيل خدمة المغرب والأمة العربية، وعن دوره في تطوير العلاقات المغربية ـ العراقية، والمغربية ـ العربية بصورة عامة.

ولدت فكرة الكتابة في هذا الموضوع حين زار وفد من مؤسسة بيت الحكمة الثقافية العراقية المغرب في إطار أنشطتها بالانفتاح على المؤسسات البحثية في الوطن العربي. ضم الوفد في عضويته كلاً من د. محمود علي الداود، ود. محمود عبد الواحد، ود. شمران العجلي. وخلال هذه الزيارة التقى الوفد بـ بعيد الهادي التازي، فتبلوت فكرة الكتابة عن الأستاذ عبد الهادي التازي.

ووفد بيت الحكمة هو امتداد للوفود الثقافية والأدبية العراقية التي وصلت إلى المغرب منذ خمسينيات وستينيات القرن الماضي، والتي وجد فيها التازي ذلك العمق الفكري والثقافي والمعرفي الذي دفعه إلى الانفتاح عليها وترسيخ وتقوية العلاقات التاريخية والثقافية بين المغرب والعراق.

بعد زيارة وفد بيت الحكمة، تم اختياري من قبل محمود علي الداود ومحمود عبد الواحد للكتابة عن تاريخ هذا الشخص. والتصدي لمثل هذا الموضوع ليس أمراً هيناً، فالمعلومات التي وصلتنا عن التازي من مصادر متناثرة تكاد لا تلقي سوى ضوء خافت على دوره في أحداث المغرب السياسية، وعلى دوره الفكري، فضلاً عن عدم توافر الوثائق والمصادر المهمة المتعلقة بالموضوع في مكتباتنا التاريخية، الأمر الذي تطلب مني السفر إلى المغرب. وهناك تسنّى لي مقابلة عبد الهادي التازي موضوع الدراسة، في فيلاته التي أسماها «فيلا بغداد». هيّأ لي التازي

ما أحتاج إليه من وثائق ومذكرات خاصة به وبنشاطه على مدى سنوات طوال. وكذلك ساهمت اللقاءات الشخصية مع الكثير ممن رافقوا التازي أو عملوا معه في مختلف مراحل حياته. فضلاً عن معلومات أخرى جمعتها من مصادر رسمية وغيرها تؤلف بمجموعها سجلاً مليئاً بمعلومات فريدة ساعدتني على الإلمام بأبعاد الموضوع بصورة أفضل.

إن البحث العلمي عن نشأة عبد الهادي التازي لا بد من أن يتطرق إلى مدينة فاس، وأهمية هذه المدينة العريقة في بلورة شخصيته وتوجهاته الفكرية والسياسية، كونها مركزاً مهماً، بما تمتلكه من ريادة في ميدان النهضة الدينية والفكرية بين أقطار المغرب العربي.

كانت مدينة فاس في عصور مختلفة قبلةً للعلماء وطلاب العلم؛ إذ اتخذ نحو نصف علماء وفقهاء الدين في المغرب فاس مركزاً لهم، ولا يُستغرب دور فاس هذا، في مجال الفقه والعلم، وذلك لوجود قلبها النابض جامع القرويين، تلك المؤسسة الدينية والتعليمية التي تعد المركز العلمي والفقهي الأول في فاس، إذ رفدت المغرب وبقية الدول الأفريقية الإسلامية بالعلماء وأصحاب المعرفة، ولم يقتصر دورها على الديني والفكري فقط بل كان لها دور سياسي من خلال اتخاذها مركزاً مهماً للدفاع عن استقلال المغرب بوجه الأجنبي عبر التاريخ، ويظهر تأثر عبد الهادي التازي بفاس والقرويين واضحاً، إذ قال في أحد اللقاءات التي جمعتني به: «عندما كنت أحضر للدكتوراه في جامعة الإسكندرية في مصر في عام ١٩٧٠، اخترت موضوع «تاريخ الحركة الوطنية المغربية». وبعد ستة أشهر من البحث والدراسة عدت إلى المشرف الذي يشرف على أطروحتي لأبلغه أنني وجدت منبع الحركة الوطنية في مدينة فاس، فاتفقنا على أن يكون عنوان الأطروحة «فاس ودورها في الحركة الوطنية». وبعد ستة أشهر أيضاً من البحث والدراسة، عدت للمشرف وأبلغته مرة أخرى بأني وجدت أن الحركة الوطنية تركزت في جامع القرويين، وهكذا اتفقنا أخيراً أنا والمشرف أن يكون عنوان أطروحتي «القرويين الجامع والمسجد» لينطبق عليَ المثل المغربي الشهير الذي يقول «فاس والكل في فاس»».

يعود نسب عبد الهادي التازي إلى عائلة دينية محافظة يعود نسبها إلى إحدى القبائل العربية، إذ وفدت هذه العائلة من اليمن إلى المغرب واستقرت في مدينة تازة، مارست التجارة بعد انتقالها إلى مدينة فاس ودخل بعض أبنائها في خدمة الأسرة العلوية الحاكمة، واحتلوا مواقع إدارية عليا في البلاط السلطاني.

كان نتيجة الأزمات المالية والمعنوية التي تعرضت لها هذه الأسرة، والتي أدت إلى إبعادها من البلاط السلطاني وحرمان والد عبد الهادي التازي من التعليم، دافعاً لوالده إلى أن يحرص كثيراً على تعليم ابنه تعليماً يمكّنه من أن يرتقي به إلى ما كان عليه أجداده في ظل حقبة تاريخية تمثلت بفرض الحماية الفرنسية على المغرب، وما رافقتها من تحولات وتفاعلات سياسية واجتماعية وفكرية، التي ألقت بظلالها على عبد الهادي التازي، إذ بدأ عبد الهادي منذ صغره بالتساؤل عن أسباب هذا الاحتلال، ويعيش خيبة أمل حين كان يرى بأم عينيه كيف يتعرض المتظاهرون ضد الظهير البربري

عام ١٩٣٠ للضرب والجلد من جانب رجال الأمن الفرنسيين، وكان السؤال: هل هذا سبب قوة المحتل الأجنبي وأطماعه؟ أم أنَّ السبب هو ضعف المغاربة؟ وما أسباب هذا الضعف؟ في ظل هذه الظروف القاهرة ولج عبد الهادي التازي عدة مؤسسات تعليمية، مكنته من الحصول على أنواع مختلفة من العلوم والمعارف الدينية والأدبية والإنسانية بفعل تنوع المدارس التي تأسست في ظل السياسة التعليمية الفرنسية التي كانت سائدة آنذاك والتي قصدت فرنسا من خلال تنفيذها إقحام وفرض الثقافة الفرنسية على المجتمع المتعلم في المغرب بعد إنشائها عدداً من المدارس العمومية الفرنسية والمدارس البربرية لتقليص التعليم العربي الإسلامي، وطمس الهوية الوطنية المغربية، وهو ما دفع رجال الحركة الوطنية إلى الوقوف بوجه هذه السياسة التعليمية الفرنسية بتأسيسهم وإنشائهم المدارس الوطنية والحرة التي عمدت إلى نشر الثقافة الوطنية المغربية والإسلامية من خلال تدريس المناهج التاريخية والإسلامية والوطنية التي كان عبد الهادي التازي أحد طلبتها. أظهر عبد الهادي التازي من خلال هذه المدارس قدرة عالية على تحصيل العلوم التي كانت تقدم في الدارسة، لذا اختير ليتولى مهمة إلقاء الخطب والقصائد في المناسبات الوطنية والدينية، فنال من إعجاب القائمين على هذه المدارس التي منحته الجوائز والشهادات التقديرية، الأمر الذي تحول إلى عامل مهم ساهم مع عوامل أخرى في تحديد ملامح شخصيته واتجاهه الفكري والسياسي ومنطلقاته النظرية.

من هذه العوامل، تأثر عبد الهادي التازي بالحركة الدينية الإصلاحية التي ظهرت جلياً في مدينة فاس، والتي تصدرتها محاضرات أبرز قادة الفكر والحركة الوطنية فيها أمثال علال الفاسي ومحمد بن العربي العلوي ومن قبلهم الشيخ أبي شعيب الدكالي.

يعود هذا التوجه الديني بجذوره إلى أفكار المصلحين المسلمين الآتية من المشرق العربي الإسلامي، أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده. اتخذت تلك الأفكار شكلاً أيديولوجياً لحركة فكر اجتماعي وسياسي واسع عرف هيمنته في المراحل الأولى من الكفاح الوطني السلمي ضد الحماية الفرنسية والتي من خلالها عبئ التازي وبقية من تأثر بها ضد مساوئ السيطرة الفرنسية، وفي تنمية وتوعية الوعي السياسي والفكري والسعي إلى نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة والرجوع إلى السَّلف الصالح والاهتمام بدراسة السيرة النبوية والعلاقة الوثيقة بين السياسة والتاريخ. فهي سلفية تختلف في مضمونها الاجتماعي والسياسي عن السلفية التي ظهرت في الجزيرة العربية والتي ترتبط بقوة عشائرية ونمط متصلب، لذا كانت عملية إصلاح اجتماعي وسياسي.

يعد عام ١٩٣٦ مرحلة مهمة ونقطة تحول في حياة عبد الهادي التازي، سواء على الصعيد الفكري والتعليمي من خلال دخوله إلى جامع القرويين، كأحد طلبة هذه المؤسسة الدينية التعليمية، أو على الصعيد السياسي، بدخول عبد الهادي التازي رسمياً إلى كتلة العمل الوطني، التي مثلت الحركة الوطنية المغربية المطالبة بحقوق المغاربة في التحرر والاستقلال من السيطرة الفرنسية، بعدما سمح لها بتأسيس حزب سياسي عرف بـ «الحزب الوطني»، كان التازي أول المنتمين إليه في مدينة فاس، حاله حال أغلب الجماهير المغربية التي وجدت في قادة هذا

التنظيم، أمثال علال الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني، وأحمد بلافريج، مَن يحمل هموم الجماهير المغربية ومطالبها.

برز نشاط عبد الهادي التازي خلال هذه الفترة، من خلال نشاطه الصحافي والفكري ومشاركته في التجمعات والندوات والتظاهرات المناوئة للاحتلال الفرنسي، إذ رأس عبد الهادي التازي «جمعية حفظ القرآن الكريم»، وكان هذا النشاط سبباً في تفتح ذهن عبد الهادي التازي أكثر على استيعاب الأمور بصورة أوضح وببعد جديد، وزاد في ذلك البعد والوعي الفكري والسياسي تعرضه للاعتقال أول مرة عام ١٩٣٦ وهو في السادسة عشرة من عمره، بعد خروجه في التظاهرات المنددة بسياسة المقيم العام الفرنسي الجديد في المغرب.

تنوع النشاط الفكري والسياسي لعبد الهادي التازي، ليواكب الحراك السياسي الذي يمر به بلده المغرب والحركة الوطنية فيه، إذ كان لحدوث الانشقاق داخل الحزب الوطني، والصراع داخل القرويين بين دعاة التحديث والتجديد وبين المحافظين التقليديين، ودخول السلطان محمد الخامس بقوة في مساندة مطالب الشعب المغربي والضغط على الإدارة الفرنسية للحصول على هذه المطالب كان له أثره الواضح.

كان من الطبيعي أن يصطف عبد الهادي التازي في جبهة علال الفاسي بعد الانشقاق الذي حصل داخل الحزب الوطني ضد الشق الثاني بزعامة محمد بن الحسن الوزاني؛ إذ إن التازي، وهو ذو الثقافة العربية الإسلامية، ظل واضحاً ومخلصاً مع ذاته وفكره، وأهدافه، ونياته وحدد منذ هذه اللحظة طريقه وتوجهه السياسي، وهو أمر استشفّيته منه بوضوح حين عبّر عن هذا الاختلاف والانشقاق داخل صفوف الحزب والكتلة الوطنية بقوله «هو التنافس بين زعيمين، وبين شقين، شق حمل هوية الأصالة الدينية المغربية، وبين شق يحمل هوية الحداثة والثقافة الفرنسية ويميل إلى مسايرة الاحتلال والتفاوض معه»، فعلال الفاسي وجناحه يعمل على المحافظة على إسلام المغرب وتقاليده الموروثة كونه ينتمي إلى جامع القرويين، بينما كتلة الوزاني تنتمي إلى من درسوا في فرنسا. لا ريب أن جملة من العوامل الداخلية والخارجية ساهمت في حصول الانشقاق بين الزعيمين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني، منها عوامل شخصية للحصول على الزعامة الوطنية والتباين في التوجهات الفكرية والعقائدية، فجبهة علال الفاسي التي عرفت بـ «بالحزب الوطني الحر»، دعت إلى التمسك الكامل بمبادئ الدين الإسلامي والمطالبة بمكافحة التبشير بالتوعية الدينية، كما أكدت على تأييد النظام السلطاني المستند إلى نظام برلماني، كذلك لن تغفل القضايا العربية والاسلامية، وخصوصاً القضية الفلسطينية، والدعوة إلى مساندتها والتصدي للمخططات الصهيونية.

أما جبهة محمد بن الحسن الوزاني التي عُرفت بالحركة القومية، فقد تبنَّت فكرة الإصلاح على الأسس الغربية ودعت إلى تفادي الاصطدام بالفرنسيين وذلك باستخدام أسلوب التفاوض، والوسائل السلمية للحصول على مطالبها من الإدارة الفرنسية.

وجد عبد الهادي التازي في ميدان الصحافة منبراً مهماً ليعبّر فيه عن أفكاره وتوجهاته السياسية متخذاً من الوعظ الديني والإرشاد وسيلة لإيصال أفكاره المعارضة الاحتلال الفرنسي والدعوة إلى مواجهته والتمسك بقيادة علال الفاسي للحركة الوطنية.

تمكن التازي من نشر سلسلة من المقالات الوطنية الصحافية في صحيفة الوحدة المغاربية وباسمه الصريح، ولم يثنيه الاعتقال مرة أخرى عام ١٩٣٧ عن أن يصدر سلسلة جديدة من المقالات الصحافية، وهذه المرة في صحيفة الإرادة التونسية التي كانت تصل إلى المغرب من طريق فرع البريد الإنكليزي في فاس، وباسم مستعار هو «لجنة الرابطة الشعبية» تفادياً لملاحقة السلطات الفرنسية له. وقد أكد عبد الهادي التازي في سلسلة المقالات هذه استمرار معاني الوطنية والاتحاد ومقاومة الظلم والهوان على يد الفرنسيين، وظهر ذلك واضحاً من عناوين مقالاته مثل «إخوتنا المغاربة»، و«صوت المغربية الوطنية»، و«كشف الستار»، و«لن نقبل الأوتوقراطية أبداً».

لم يثنِ الحراك السياسي الصحافي عبد الهادي التازي عن مواصلته التعلم في القرويين، ولكن ذلك الحراك في الوقت نفسه ألقى بظلاله على شخصية عبد الهادي التازي داخل القرويين؛ ففي الوقت الذي كانت الإدارة الفرنسية تسعى إلى تقليص دور القرويين الوطني والعلمي، من خلال التدخل في شؤونها الداخلية، انبرى رجال الحركة الوطنية للتصدي لهذا التدخل من جهة والعمل على تطوير النظام التعليمي وتحديث المناهج الدراسية فيها من جهة أخرى، وهو ما دفع مجموعة من علماء القرويين إلى الوقوف ضد هذا التوجه، معتبرين أن ذلك الإصلاح سيمس مصالحهم ونفوذهم داخل القرويين.

تبنى عبد الهادي التازي ومجموعة من رفاقه طلبة القرويين هذه الإصلاحات النابعة من الحركة الوطنية، وبتحريض منها أُعلن الإضراب داخل القرويين وعُطلت الدراسة حتى تم تسوية الأمر بتأسيس «جمعية الرابطة القروية» لحماية الإصلاحات، ليكون ذلك سبباً ليبرز التازي اسماً وطنياً عرف بمواقفه المعادية للسياسة الفرنسية والداعي إلى التجديد والتحديث.

وجد التازي في القرويين العلوم التي ارتشف منها معارفه، وكان للمتغيرات الدولية المتمثلة باعلان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وما رافقها من إعلان هدنة بين الحركة الوطنية وسلطة الحماية الفرنسية، سبب لينغمس عبد الهادي التازي في دروس القرويين، حتى في أيام العطل الرسمية، ليتمكن من حفظ المتون والشروح للمؤلفات العربية، إذ تمكن من حفظ أرجوزة ابن كيران، وألفية ابن مالك، ولامية العرب، وبردة كعب، والتفوق في مادة علوم الفلك الذي مكنه من إصدار إمساكية رمضان في مدينة فاس.

وكان لحصول التازي عام ١٩٤٣ على شهادة الثانوية واجتيازه الاختبار العلمي للحصول على الشهادة التي أجازت له التدريس في المدارس الدينية والحرة، ليعزز الوشائج بينه وبين أبناء وطنه.

ظل الصراع الثقافي والفكري بين الحركة الوطنية وسلطة الحماية الفرنسية قائماً؛ فهذه المرة دخل على خط هذا الصراع، السلطان محمد الخامس من خلال دعوته إلى الإشراف المباشر على

القرويين من دون المرور بالإدارة الفرنسية. نجح بمسعاه وبمساندة طلبة وأساتذة القرويين، وهو ما تمخّض عن تعيين محمد الفاسي مديراً لها، وهو شخصية تجمع بين الأصالة والحداثة، وكان من شأن ذلك أن يجد فيه عبد الهادي التازي ورفاقه الطلبة فسحة جديدة لتحقيق مطالبهم الإصلاحية داخل القرويين، بحكم ارتباطهم بالحركة الوطنية، ومساندتهم الخطوات الإصلاحية للسلطان التي كان أهمها دعوة السلطان تعليم الفتاة المغربية تعليماً عربياً إسلامياً، وعلى الرغم من رفض الإدارة الفرنسية هذه الخطوة بحجة التمويل، إلا أن موقف التازي ورفاقه في الحركة الوطنية في فاس دعم هذه الخطوة امتاز بفتح معهد لتعلم الفتيات ليتم اختيار التازي للتدريس فيه مجاناً، شعوراً منه بأهمية تعليم الفتاة، لأنه يرى فيه موضوعاً مصيرياً يتعلق بنهضة المغرب.

نشط عبد الهادي التازي من جديد ضمن الحراك السياسي المغربي، وعلى نحو واسع من خلال حزب الاستقلال، وفي قيادة وتأليف اللجان في مدينة فاس من مجاميع طلبة القرويين والمدارس الحرة والدينية.

كان من الطبيعي أن تستهدف قوة الأمن الفرنسية عبد الهادي التازي، وهو يدرك ذلك، نتيجة نشاطه المنقطع النظير للترويج لوثيقة الاستقلال، فتم اعتقاله في الشهر نفسه الذي تم فيه تقديم الوثيقة. ليُحكم عليه بالسجن مدة عامين قضى منها عاماً ونصف العام في المعتقل.

على الرغم من المعاناة التي واجهها عبد الهادي التازي في المعتقل، من تعذيب نفسي وممارسة أعمال شاقة، فإن ذلك لم يمنعه من ممارسة نشاط تعليمي وسياسي داخل السجن، فمن جهة بدأ بتدريس المعتقلين معه وتعليمهم وإثارة الروح الوطنية فيهم، ومن جهة أخرى بدأ يتعلم اللغة الفرنسية التي طالما رغب في تعلمها من قبل مسجون فرنسي كان مسجوناً معه. ليدل ذلك على كوامن التحدي التي يمتلكها عبد الهادي التازي ضد المستعمر في كل زمان ومكان، وفي أي ظرف، ورغبته العالية في التعلم.

بعد خروج عبد الهادي التازي من المعتقل وهو مفعم بالروح الوطنية، ومواصلة مشواره في القرويين، للحصول على الشهادة العالمية، واكب التازي عمله في تعليم المرأة كونه ركناً أساسياً في اصلاح المجتمع المغربي، وجسد هذا الاهتمام من نشاطه الفكري في كتابه الذي أصدره بعنوان «تفسير سورة النور» ليكون منهجاً دراسياً من مناهج المدارس الحرة الخاصة بالفتيات.

كان تفوق عبد الهادي التازي في القرويين، وحصوله على «الشهادة العالمية» التي يطلق على حاملها لقب «عالم»، وضعه على أعتاب مرحلة جديدة ومهمة في حياته العلمية والسياسية، وظل واضحاً مع نفسه وذاته، ويظهر ذلك جلياً في مقاله الذي نشره في صحيفة العلم التابعة لحزب الاستقلال تحت عنوان «اعتراف بالجميل»، في معرض ردهِ على المقيم الفرنسي جوان، المعروف بعدوانيته وقسوته، حين قال له وهو يسلمه جائزة الطالب الأول على دفعته: «بفضل فرنسا تمكن شاب مثلك في مقتبل العمر من الحصول على الشهادة، لذا أشغل نفسك بما يعنيك ولا تتدخل في

السياسة». أوضح عبد الهادي التازي في ذلك المقال «أن ليس من شيم المغاربة نكران الجميل وأن الفضل في تفوقه يعود إلى شيوخه وعلماء القرويين وإدارتها ورعاية السلطان لها».

أدرك التازي أهمية تفوقه وموقفه من المقيم العام الفرنسي حين استقبله السلطان محمد وكرمه وأمر بتعيينه كأحد أساتذة القرويين وعلمائها متجاوزاً بذلك القوانين التي تنص على مرور سنتين من التخرج حتى يتمكن الأول من التدريس في القرويين، ورغم معارضة الإدارة الفرنسية لهذا القرار، بدأ التازي التدريس في القرويين، وهو محروم من مرتبه الذي حجبه الفرنسيون عنه لممارسة الضغوط عليه مدة سنة كاملة.

ونتيجة الضغوط التي شعر بها عبد الهادي التازي، المتمثلة بحرمانه مرتّبه في القرويين من جهة، وبانتقال أغلب قادة الحركة الوطنية من فاس إلى العاصمة الرباط، ومن جهة أخرى، حيث مقر حزب الاستقلال ومقر السلطان محمد الخامس هناك، أراد الانتقال والعيش في الرباط والسعي إلى تحقيق حلم طالما راوده، وهو العمل في البلاط السلاطني.

إلا أن مقابلته السلطان محمد الخامس والحوار الذي دار بينهما دفعه إلى العدول عن هذا القرار، إذ طلب منه السلطان التمسك بعمله بالقرويين مبيناً له حاجة المغرب إلى شخص مثله في هذه المؤسسة، ليساهم في نهضة المغرب من خلالها، وليكون المرآة العاكسة لأهداف الحركة الوطنية ومواقف السلطان وأن يتحمل كل المصاعب من أجل غاية أسمى وأكبر هي خدمة النضال من أجل تحرير المغرب. أدرك التازي أهمية دوره بعد هذه المقابلة، ليعود إلى فاس وهو مفعم بالنشاط والعمل الدؤوب، وسرعان ما انضم إلى «هيئة العلماء الاستقلاليين»، الجمعية التي أنشأها حزب الاستقلال، ذات اليد الطولى داخل القرويين.

كان من الطبيعي أن يكون لعبد الهادي التازي نشاط فكري وسياسي متنوع داخل «هيئة العلماء الاستقلاليين» في القرويين، إذ كانت له هذه الهيئة بمنزلة مدرسة جديدة، يوظف فيها أنشطته لخدمة قضايا الوطن.

أدرك عبد الهادي التازي بعد الأحداث التي شهدها العالم، بعد الحرب العالمية الثانية، أن الاستقلال لا بد منه، لذا تجده يوظف قلمه الصحافي هذه المرة في إثارة ورفع الروح المعنوية للمغاربة من خلال صحيفة العلم وبتوجيه من هيئة العلماء الاستقلاليين بإثارة موضوعات في ظاهرها غير سياسية، ولكن فحواها سياسي. ظهر ذلك واضحاً حين بدأ بسرد تاريخ بعض المعارك التي انتصر فيها المغاربة على الأووربيين مثل معركة «وادي المخازن»، ومعركة «ذات الصواري»، وبذلك أدرك عبد الهادي التازي أهمية التاريخ، حين وجد أن تلك المقالات قد أثارت حفيظة المراقب الفرنسي على الصحافة، وهو ما حدا بذلك المراقب إلى حجب هذه المقالات ومنعها من أن تنتشر، فقرر عبد الهادي التازي البدء بجمع كل صغيرة وكبيرة من تاريخ بلاده بل وأن يُدرّس مادة التاريخ في القرويين وفي المدارس الحرة، ليكون ذلك اللبنة الأساسية والدافع الأول له في تأليف

موسوعته التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور حتى اليوم التي واظب على تأليفها عدة سنوات.

من جانب آخر، واكب التازي الحركة الإصلاحية والتجديدية التي تبناها السلطان محمد الخامس، التي تدعو إلى تحديث المجتمع المغربي، وتوسيع تعلم الفتاة وبناء الأسرة المغربية. ومن هذا المنطلق، بدأ التازي بتبني مقالات صحافية تدعو إلى بناء الأسرة والاهتمام بالمرأة كونها الركن الأساسي للأسرة، وهو ما أثار حفيظة السلطات الفرنسية التي منعته هذه المرة من الكتابة في الصحف.

كما واظب، من جانب آخر ، على دعم تعلم الفتاة في فاس، وعمل على فتح ملحق لتعلمها في جامع القرويين، وهو حدث أثار التساؤلات والاختلافات داخل هذه المدينة المحافظة، لكن بجهود عبد الهادي التازي ورفاقه كللت هذه الخطوة بالنجاح، مدركاً أهمية الفتاة في رفد الحركة الوطنية ضد المستعمر، لنجده هذه المرة يساهم في تأسيس جمعية نسائية باسم «جمعية أسرة النور»، التي استهدف منها توظيف الأنشطة الثقافية، والتربوية، والفنية لخدمة القضايا الوطنية. وبإشراف التازي، أنبثق من هذه الجمعية فرقة مسرحية في فاس، قدمت أعمالاً مسرحية تاريخية وطنية، وبذلك وجد رجال الحركة الوطنية، ومن ضمنهم عبد الهادي التازي هذه المرة الأدب المسرحي، كأحد الأسلحة الثقافية الموجهة ضد الحماية الفرنسية.

أظهر عبد الهادي التازي خلال هذه الفترة ١٩٤٧ ـ ١٩٥١ من عمله في القرويين نظرة حزبية قائمة على مناوءة الحزب المنافس لحزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، داخل أروقة القرويين من خلال العمل على استقطاب طلبة الأساتذة المنتمين لهذا الحزب، وهو ما أدى إلى حدوث اختلاف وصراع أطلق عليه «معركة القرويين». كان من شأن ذلك الصراع الحزبي أن يضعف جبهة الحركة الوطنية، ويعرقل جهود الإصلاح داخل القرويين، إذ حرصت السلطات الفرنسية على إدامة هذا الصراع، بهدف إضعاف الأحزاب، والحؤول دون تكوين جبهة موحدة. حينذاك أدرك قادة الحزبين خطر هذا الصراع، وأعلن عن تأليف «الجبهة الوطنية»، عام ١٩٥١، لتوحيد الجهود ضد المستعمر والعمل على نيل الاستقلال.

ظهر على عبد الهادي التازي نزعة تحررية وتحديثية من خلال عدم التزامه بتقاليد التزم بها علماء القرويين، منها أنه أول من درّس طلابه وهو حليق الرأس ويرتدي «القفطان» من دون أن يضع «السلهام» على رأسه، بل إنه أعيب عليه ممارسته الرياضة بملابس رياضية، وركوبه الدراجة الهوائية للوصول إلى القرويين، واصطحاب زوجته إلى السينما والمسرح. ورأي التازي كان واضحاً من هذا التمرد على التقاليد، حين رد على رئيس المجلس العلمي في القرويين وهو يعترض عليه، إذ قال «إن ما أقوم به لا يتعارض مع الإسلام، وأن الإسلام ليس طقوساً سطحية بل مبدأ وعقيدة، والإسلام منفتح على كل العصور وبالتالي فهو متطور ومتجدد».

إن هذا التغير في سلوكات عبد الهادي التازي وتنوع أنشطته المختلفة، يصعب تصنيفه ضمن التيار الديني المحافظ الذي ينتمي إليه أغلب علماء القرويين ـ حتى من كان له انتماءات حزبية ـ الذين ظلوا متمسكين بعادات وتقاليد هذه المؤسسة الدينية التعليمية، وذلك لانفتاحه على العصر وإقباله على الإفادة من مزاياه وخدماته.

إن الدارس والمطلع على أوضاع المغرب خلال فترة الحماية، سيجد أنها مرت في ثلاث حقب. كان لكل حقبة جيلها من المواطنين والمثقفين والمفكرين، الذين اختلفت مرجعياتهم ومنظورهم إلى واقع المغرب، وإلى طريقة النهوض به، وإلى طبيعة العمل السياسي، والتجديد الديني والفكري والموقف من الحضارة المغربية.

تمثلت الحقبة الأولى بمرحلة ظهور الاحتلال الأجنبي الذي لمس فيه المغاربة مدى عجزهم عن مواجهة الاستعمار، ومثّل هذه الحقبة الجيل الأول، جيل العلماء التقليديين الذين كانوا أنموذجاً للفقهاء المغاربة على امتداد العصور، فهؤلاء لم يكونوا ينظرون إلى العالم إلا محصوراً في مجتمعاتهم، ومذهبهم الفقهي، رغم المتغيرات التي كان يموج فيها العالم آنذاك.

والحقبة الثانية هي التي اتسمت باليقظة، ورد الفعل على الصدمة من الاحتلال، ومثلها الجيل الثاني، جيل المخضرمين الذين تثقفوا بثقافة إسلامية مع اطلاعهم ومتابعتهم للإنتاج الفكري المشرقي الداعي إلى التجديد والثورة على التقليد والانخراط في حركة التغير الاجتماعي والسياسي.

أما الحقبة الثالثة، فهي التي ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية، ومثلها الجيل الثالث الذي وعى أهمية نضالات الجيل الثاني، وانخرط فيها وتعلم منها، لكن بجرأة أكبر وطموحات أوسع إلى الاندماج بالعالم المعاصر.

من هذا المدخل، يمكننا أن نضع شخصية عبد الهادي التازي وعلاقته بالجيل الذي ينتمي إليه، وهو الامتداد من الجيل الثاني إلى الجيل الثالث. وهي المرحلة التي التقى فيها المناضلون على واجهتين، واجهة العمل النضالي التحرري للبلاد، وواجهة العمل الفكري السياسي الذي كان يتطلع إلى بناء مغرب جديد على أسس عصرية.

نجد أن عبد الهادي التازي واصل حرصه على ترسيخ قيم الحق وإذكاء الروح الوطنية بين طلبته في القرويين، من خلال تأليفه كتاباً يتضمن شرحاً وافياً لمفردات لامية العرب وتوضيح معانيها عام ١٩٥٣، لما تحمله من معاني الصبر عند نزول الشدائد، والشجاعة والاعتزاز بالنفس وحب الحرية ورفض الذل والعبودية، وقد أجيز هذا الكتاب ليكون ضمن المناهج التعليمية للقرويين.

في الوقت نفسه، ظل عبد الهادي التازي مخلصاً لقضيته وللسلطان المغربي، حالهُ حال الأغلب العم من أبناء الشعب المغربي، وحين عمدت سلطة الحماية الفرنسية إلى نفي السلطان محمد الخامس إلى خارج البلاد عام ١٩٥٣، كان رد فعل الشعب المغربي سريعاً، تمثل بالاحتجاجات والتظاهرات ضد هذا القرار، ونشط عبد الهادي التازي حاله حال بقية المناضلين المغاربة، وهذه

المرة من خلال ترؤسه الوفود المنبثقة من أساتذة وعلماء القرويين لتقديم الاحتجاج على هذا القرار في الرباط، وتأجيج الرأي العام المغربي ضده، وهو ما دفع السلطات الفرنسية بعد عودة عبد الهادي التازي إلى فاس، إلى فرض الإقامة الجبرية عليه، إلا أن ذلك لم يمنعه من تحين الفرص لممارسة مهماته، حتى تم إلغاء قرار الإقامة الجبرية. آلى تطور الأحداث على الساحة المغربية إلى اللجوء إلى العمل المسلح كرد فعل ضد سياسة فرنسا القمعية، إلا أن التازي آلى على نفسه الانخراط فيه، ولا سيما أن هيئة علماء القرويين وهو أحد أعضائها، قد أصدرت بياناً رفضت فيه الأعمال المسلحة لتنأى بنفسها عن التصادم واعتقال أعضائها من جانب الفرنسيين. ولكن عبد الهادي التازي وجد نفسه مضطراً إلى دعم المسلحين والفدائيين، بعدما لجأ إليه بعض طلبته ممن حملوا السلاح، لحمايتهم من ملاحقة الأمن الفرنسي، ولا سيما أن بيت التازي الواقع في منطقة زراعية متطرفة يساعدهم على ذلك، وكذلك وجدوا في شخص عبد الهادي التازي خير من يحميهم، وهو الذي يذكي فيهم قيم البطولة والشجاعة في القرويين.

كان حرص التازي على تجنب إلقاء القبض عليه، نابعاً من حرصه على مواصلة نشاطه من خلال هيئة علماء القرويين. وقد تمخض هذا الحراك السياسي للمغاربة عن خضوع فرنسا لمطالبهم، وعودة السلطان محمد الخامس إلى البلاد، وإعلان استقلال المغرب عام ١٩٥٦، لتبدأ مرحلة بناء المملكة المغربية.

بعد استقلال المغرب، جنب عبد الهادي التازي نفسه الانخراط في أي منصب سياسي أو حزبي ولم يترشح لانتخابات حزب الاستقلال، بعد انشقاق الحزب إلى اتجاه يميني وآخر يساري، فقد تبنى فكرة نشر الثقافة الوطنية، والعمل على رفع المستوى الأخلاقي والعلمي والاجتماعي والفكري الذي وجده ضرورياً في بناء الدولة، فهو يدافع عن مفهوم الدولة وليس عن منهاج وسياسة أحزاب.

كان لهذا التوجه لدى عبد الهادي التازي سبب أن تناط به عدة مهامّ ثقافية وعلمية، فاختير عضواً في لجنة توحيد المناهج التربوية في المغرب، وعين عضواً ممثلاً عن علماء القرويين في اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو. وكذلك أختير ليكون رئيساً لقسم العلاقات الثقافية الخارجية في وزارة التربية، بما يمتلكه من مؤهلات ثقافية ودينية.

هذا المنصب مكّن عبد الهادي التازي من الانفتاح على محيطه الثقافي العربي من خلال تنظيم مجموعة من المؤتمرات الثقافية في المغرب التي مهدت له السبيل للانفتاح، والتعرف إلى جملة من الأدباء والمفكرين من العراق ومصر وسورية.

استمر عبد الهادي التازي في مواصلته على تطوير قدراته العلمية، من خلال مواكبته النظام التعليمي الحديث، على الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه بعد دخوله جامعة محمد الخامس في الرباط، لمواصلة دراسته الحديثة، كونه أحد علماء القرويين، إلا أن ذلك لم يثنه عن إكمال الدراسة والحصول على أول شهادة ماجستير تمنحها الجامعة عام ١٩٦٣، فتحت له الآفاق للعمل

في مجالات أخرى، كان أهمها اختياره لمهامّ دبلوماسية مهمة من قبل الملك الحسن الثاني، ووزير الخارجية أحمد بلافريج.

كان لاختيار عبد الهادي التازي سفيراً للمغرب في العراق، عاملاً مهماً في تطوير العلاقات المغربية ـ العراقية، إذ شهدت هذه العلاقات قبيل تكليف عبد الهادي التازي بمهامّ السفارة في بغداد، تطوراً مهماً، فقد كان للعراق موقف داعم على الصعد كافة من أجل استقلال المغرب وتخلصه من الاحتلال الفرنسي. وبعد استقلال المغرب، ساهم العراق في تقديم أنواع الدعم السياسي والعسكري والمادي والثقافي كافة من أجل تثبيت أركان الدولة المغربية.

أدرك عبد الهادي التازي أهمية المهمة التي أنيطت به من جانب الملك الحسن الثاني، كسفير للمغرب في بغداد، حين خاطبه الملك قائلاً «إن الاتصالات الثقافية هي خير سند للنجاح في المهمة الجديدة في بلد عربي أصيل»، بعد منحه وسام العرش من الدرجة الأولى، تثميناً لدوره في مقارعة الاستعمار الفرنسي، وجهوده في خدمة المملكة، راهن عبد الهادي التازي بما يملكه من إرث ثقافي ومعرفي وأدبي عربي إسلامي على النجاح في مهامّه، وكذلك بما يملكه من وشائج علاقات ثقافية وأدبية مع نخبة من مفكري ومثقفي وأدباء العراق، ممن تعرف إليهم خلال المؤتمرات التي نظمها المغرب، وأنيطت بعبد الهادي التازي مسؤولية إدارتها.

لذا، فإن عبد الهادي التازي حين قدم إلى العراق، حمل يراع الثقافة بيده اليمنى والحقيبة الدبلوماسية باليد اليسرى.

وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها عبد الهادي التازي في بداية مهامّه في العراق، نظراً إلى الاختلاف الأيديولوجي بين نظام الحكم في العراق ذات الطابع القومي، ونظام الحكم الملكي في المغرب، فإن ما امتلكه التازي من علاقات وطيدة مع مثقفي العراق وأدبائه ومفكريه، كانت نافذة إلى الوصول إلى أصحاب القرار السياسي في العراق وإيصال وجهة النظر المغربية في ما يخص القضايا المشتركة. لذا تمكن عبد الهادي التازي من أن يديم ويعزز العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، حين وجد أن العراق يتخذ موقفاً مضاداً من المغرب بعد التصادم العسكري الذي وقع بين المغرب والجزائر بسبب الخلاف الحدودي بينهما، حاله حال كل من مصر والجزائر اللتين دعمتا الموقف الجزائري أيضاً، إلا أن عبد الهادي التازي تمكن من أن يقنع العراق بوجهة النظر المغربية، ويدفعه إلى تأدية دور الوسيط في ذلك الصراع، وخير دليل على ديمومة وتطور العلاقات الدبلوماسية والثقافية بين العراق والمغرب ضمن الحقبة الدبلوماسية لعبد الهادي التازي، إيفاد ٢٥٠ معلماً ومدرساً عراقياً إلى المغرب للمساهمة في دعم التعليم، ولتعويض النقص الحاصل في الكوادر التعليمية بعد إبعاد مدرسي كل من مصر وسورية من المغرب بعد انهيار علاقاتهما الدبلوماسيه مع المغرب. ونتج من الموقف العراقي هذا، تزايد تبادل الوفود السياسية والثقافية بين كل من العراق والمغرب.

لم يتخلَّ التازي لمصلحة مهمته في العراق كسفير، عن رسالته كأديب ومفكر، إذ وثّق التازي علاقاته بالنخبة الأدبية والأكاديمية والثقافية في العراق من خلال حضور المجالس الأدبية والعلمية

والفنية في بغداد، بل أقام علاقات بمختلف الأوساط والمراكز الدينية والأدبية في النجف وبغداد، والموصل، والبصرة، حتى أصبح بيت عبد الهادي التازي ملتقىً لعدد من رجال الفكر والسياسة والأدب، ولأساتذة الجامعات. وكان من نتائج هذه العلاقات أن دفعت عبد الهادي التازي إلى مواصلة التأليف والنشر، في المراكز البحثية والعلمية والصحف العراقية، مرتشفاً من الإرث الثقافي والأدبي في العراق ما يلبي رغبة التازي الأدبية والفكرية. يعد نجاح التازي في مهامّه في العراق دافعاً لدى الملك الحسن الثاني ليكلفه بمهامّ سفارة جديدة في ليبيا، أعقبها تكليفه من جديد بمهام سفارة ثانية في العراق عام ١٩٦٨ أنيطت به خلالها مهامّ دبلوماسية أخرى في بلدان المشرق العربي، كدليل على نجاحه. تمكن التازي من الحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية في مصر عام ١٩٧١ عن أطروحته عن القرويين. وبعد انتهاء مهمة التازي في بغداد عام ١٩٧٢، عُيِّن رئيساً للمعهد الجامعي للبحث العلمي في المغرب عام ١٩٧٤ ومنحه الملك الحسن الثاني وسام الكفاءة الفكرية عام ١٩٧٦، وهو أول مغربي يُمنح هذا التكريم. وفي عام ١٩٧٩ عُيِّن سفيراً في إيران، وقد لقي هذا التعيين القبول والترحيب من جانب الحكومة الإيرانية لما يتمتع التازي به من سمعة طيبة في المشرق الإسلامي. وبعد هذه المهمة التي استمرت ستة أشهر، عاد التازي إلى المغرب للعمل على إنجاز موسوعته في التاريخ الدبلوماسي المغربي منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، التي انجزها عام ١٩٨٤ باثني عشر مجلداً. وأصبح عضواً في مؤتمر الأسماء الجغرافية في نيويورك التابع للأمم المتحدة ممثلاً عن المغرب عام ١٩٨٦، وكان لهُ نشاط مهم في ذلك المؤتمر من خلال تصديه لممثل إسرائيل فيه، حين كان يحاول تغيير الأسماء الجغرافية التاريخية للمدن العربية في فلسطين، وهو ما دفع أعضاء الوفود العربية إلى اختياريه ممثلاً عنهم في المؤتمر، ثم اختياره رئيساً للمؤتمر عام ١٩٩٢. واستمر التازي في نشاطه العلمي والأدبي لينجز العشرات من المؤلفات والبحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التاريخية التي كان أبرزها تحقيقه مخطوط رحلة ابن بطوطة في خمسة أجزاء. واختير عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٨٦، وعضواً في المجمع العلمي في مصر عام ١٩٩٦، ولهُ أكثر من ١٣٠٠ رحلة جوية في البحث التاريخي والأدبي، وقد أوصى أن تُهدى مكتبته التي تضم أكثر من ٧٠٠٠ كتاب ومخطوط إلى مكتبة القرويين وفاءً لها، كما أوصى أن يدفن بعد موته في مدينته فاس، بجوار ضريح أول دبلوماسي مغربي إلى المشرق الإسلامي «ابن العربي»، في العصر العباسي الإسلامي.

وأخيراً، حاولنا أن نضع عبد الهادي التازي في ميزان النقد التاريخي، في حدود ما اطلعنا عليه من وثائق ومصادر، من دون أن تأخذنا العاطفة بعيداً من الدراسة العلمية، وكنت أتمنى أن يرى الأستاذ عبد الهادي التازي هذا الجهد العلمي النابع من تقدير عالٍ لشخصية عربية قومية ذات قامة رفيعة، ولكن القدر حال دون ذلك بوفاته في نيسان/أبريل ٢٠١٥. لذا اهدي هذا المنجز لروحه الطاهرة. ومن الله التوفيق.

تقديـم

محمود علي الداود(*)

تربطني علاقات أخوة ومودة مع الأستاذ المناضل والسياسي والدبلوماسي المغربي عبد الهادي التازي تعود إلى نصف قرن؛ فقد كان التازي سفيراً للمملكة المغربية في بغداد عندما كنت مديراً عاماً لدائرة العلاقات العامة، ثم مديراً عاماً للدائرة العربية في وزارة الخارجية في الفترة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥، وفي سفارته الثانية في العراق في بداية عام ١٩٦٨ كنت سفيراً ومديراً عاماً للدائرة السياسية في الوزارة. وكنت (كما كان زملائي في الوزارة) أشعر بعمق العلاقة الأخوية مع السفير عبد الهادي التازي الذي تمكن بدماثة خلقه وحسن نيته وتفانيه من أجل ترصين العلاقات العراقية ـ المغربية من ترسيخ ثقة عميقة نبع منها تقدير وإعجاب عميق بشخص السفير التازي على المستويين الرسمي والشعبي؛ فإضافةً إلى أصدقائه في وزارة الخارجية العراقية كان للتازي شعبية واسعة في الأوساط السياسية والعلمية والثقافية والدينية وفي مختلف أوساط المجتمع العراقي. وقلما حظي سفير عربي أو أجنبي بتلك الشعبية المقرونة بالحفاوة البالغة والاحترام العميق الذي ناله السفير التازي من شرائح المجتمع كافة. لقد كانت أبواب القصر الجمهوري ورئاسة الوزراء ووزارة الخارجية مشرَّعة مرحبة بهذا السفير العالِم القادم من المغرب وأنا على ثقة أنه ـ وعلى الأقل في خلال فترة عملي في وزارة الخارجية ـ لم يحظَ أي سفير عربي أو أجنبي بمثل ما حظيَ به السفير التازي؛ ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى محبته العراق وأهله وصدقيته في العمل الدبلوماسي ونشاطه الاجتماعي والعلمي الواسع.

كانت علاقته بالرؤساء العراقيين ورؤساء الحكومات ووزارة الخارجية رائعة. كما كان يمتاز بعلاقات ودية عميقة من رجال العلم وفي مقدمهم المراجع الدينية في النجف الأشرف، وخصوصاً مع المرجع الديني الأعلى سماحة السيد محسن الحكيم الذي قابله السفير التازي في تموز/يوليو ١٩٦٤ وكان من المعجبين به بوصفه يمثل زعامة دينية ووطنية، إضافةً إلى لقاءاته العلمية مع رجال الفكر والصحافة والأدب والشعر. وكانت تعقد في داره أمسيات أدبية تضم شرائح من المفكرين

(*) مشرف قسم الدراسات السياسية في بيت الحكمة.

العراقيين. وقد ارتبط السفير التازي بعلاقات وثيقة مع الجامعات العراقية والمجمع العراقي، ونشرت له مجلة المجمع العديد من بحوثه في التراث العربي الإسلامي، وكان شخصية إعلامية بامتياز في الصحافة العراقية ومجالس الفكر والأدب.

ونظراً إلى مركزه المرموق في المملكة المغربية، التي ترك فيها آثاراً عميقة من خلال نضاله الطويل وصموده ضد الاستعمار الفرنسي؛ ومن خلال دوره الفكري والثقافي في ترصين وتطوير جامعة القرويين في فاس (مسقط رأسه وأحد معاقل النضال المغربية ضد الاستعمار)؛ فقد احتفظ بموقع خاص في وطنه الأول المغرب، وكان ـ وما يزال ـ موضع تقدير أصحاب القرار وجماهير المفكرين والمجاهدين. كما نال، وعن جدارة، تقدير أصحاب الجلالة الملك محمد الخامس والملك الحسن الثاني والملك محمد السادس وتكريمهم؛ ومن خلالهم عمل بجد لتوطيد الصلات السياسية والثقافية مع وطنه الثاني العراق الذي احتضن منذ البداية قضايا المغرب العربي ودافع عن حقه بالحرية والاستقلال في الخمسينيات والستينيات، ما دفع الملك محمد الخامس إلى أن يبادر إلى زيارة العراق في عام ١٩٦٠ بدعوة من الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء الذي لقبه بالملك الشعبي.

وقد تحققت تلك الزيارة التاريخية تقديراً للموقف العراقي الصريح والواضح للقضية المغربية مباشرة مع الأحزاب والفئات الوطنية أو من خلال عرض هذه القضية في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، حيث تصدى الممثلون الدبلوماسيون العراقيون للسياسات الاستعمارية الفرنسية وحث العراق الأقطار العربية الأخرى لمساندة الكفاح المغربي ودعم حقه في السيادة الكاملة على أرضه. وفي مقدمة الدبلوماسيين الذين أدّوا دوراً مهماً في الدفاع عن قضايا المغرب في الأمم المتحدة كان المرحوم فاضل الجمالي وزير الخارجية العراقية الأسبق الذي أكد، ومنذ عام ١٩٥٢ في خطبه في الجمعية العامة للأمم المتحدة ضرورة إنهاء الحماية الفرنسية على المغرب والاعتراف بحقه في الاستقلال وتقرير المصير. وتقديراً لموقف هذا الدبلوماسي العراقي المرموق الذي قام بزيارة رسمية إلى المغرب مع وزير الدولة عبد المجيد محمود في نيسان/أبريل ١٩٥٦ حيث كرمه الملك المغربي محمد الخامس بمنحه وسام الاستقلال وقال له «لم يكن ليسليني في منفاي أكثر من دفاعك عني في المحافل الدولية». وقد كانت تلك المواقف العراقية الأصيلة مستمرة في الدفاع عن المغرب الشقيق حتى بعد أن عاد الملك المغربي من منفاه في جزيرة مدغشقر.

وظل العراق قريباً من المغرب؛ وظل السفير العالم عبد الهادي التازي قريباً من العراق الذي كان أول قطر عربي يعترف باستقلال المغرب ويساهم في حركة التعريب وإرسال الوفود العلمية والتعليمية الواحد تلو الآخر إلى المغرب الشقيق، وحتى قبل سفارة التازي إلى بغداد. وفي المؤتمر الأول الذي عقدته اللجنة الوطنية لليونسكو في المغرب عام ١٩٦٥، أشاد ممثل العراق (المدير العام للعلاقات الثقافية في وزارة المعارف) عبد الرزاق الجليلي «بحسن اختيار مدينة فاس لانعقاد هذا المؤتمر باعتبارها كانت وما تزال مصدراً من مصادر الإشعاع الفكري والثقافي والوطني في نهضة العرب، ماضيهم وحاضرهم. والتاريخ يذكر لنا جيداً أن فاس كانت مركزاً تشع منه المعارف

والعلوم في وقت كانت فيه أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل». وقد أثلجت هذه الكلمات صدر التازي الذي كان في طليعة المسؤولين المغاربة الداعين إلى توطيد العلاقات مع العراق ودوره في حركة التربية والتعليم والتعريب في المغرب الشقيق.

وقد ساهم المناضل والمفكر والدبلوماسي التازي في تشجيع تبادل الوفود العلمية بين المغرب والعراق. وفي مؤتمر مهمّ عُقد في مدينة فاس المغربية لإحياء ذكرى تأسيس جامعة القرويين في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٠، دعا التازي وفداً من كبار المفكرين العراقيين، وفي مقدمهم الفقيه الأديب محمد بهجت الأثري والعلامة اللغوي الدكتور مصطفى جواد والفقيه الشيخ محمد رضا الشبيبي، وقد جذبت بحوثهم اهتمام المفكرين المغاربة.

ترك السفير عبد الهادي التازي آثاراً عميقة في تقدم العلاقة العراقية المغربية وازدهارها وأقيم له الكثير من حفلات التكريم بعد انتهاء مدة سفارته الثانية عام ١٩٦٨، ووصف الوزير العراقي المؤرخ محمود شيت خطاب سفارة التازي قائلاً «إن العراقيين إنما يودعون أديباً وعالماً أكثر مما يودعون سفيراً». وفي المناسبة نفسها ربط الدكتور عدنان الباجه جي وزير الخارجية يومذاك، بين سفارة التازي وتقدم العلاقات العراقية ـ المغربية ودور السفير التازي في ترصين العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين «وكذلك العلاقات الودية التي تربط البلدين بأكثر من ذي قبل بفضل الرجال المخلصين أمثال التازي رجل الفكر والسياسة والدبلوماسية والأدب».

وفي خطابه التوديعي لوطنه الثاني العراق، قال التازي: «أريد أن أقول إن السنوات التي قضيتها ببغداد سفيراً كانت لي أياماً قصيرة قصيرة جداً استيقظت على آثارها لأعيش لحظات قاسية على أن أودع فيها بلاداً أحببتها وتعودت على وجوه أهلها. لقد جمعتني بهذا العراق أكثر من رابطة وأكثر من أسرة جمعتني به على الصعيد السياسي علاقات لبلادنا قويت أصولها ونمت وترعرعت وتعالت فروعها؛ جمعتني بها على المستوى الفكري وأنني أحييت ذكرى سفارة الإمام أبي بكر بن العربي ببغداد قبل تسعمئة سنة أنني أصبحت أتنسب للأسرة العلمية بأرض العراق».

وفي رأي المفكر العراقي محسن جمال الدين أنه لم يعرف سفيراً استطاع أن يتغلغل في قلوب المواطنين العراقيين كما عرف شخصية عبد الهادي التازي؛ شخصية أدبية مثقفة تحمل يراع الأديب المؤرخ في اليد اليمنى وحقيبة الدبلوماسي الرصين الناجح في اليسرى.

وفي الختام، لا بد من أن أهنئ الباحث عمار رشيد الجبوري على حسن استعراضه شخصية عربية فكرية ودبلوماسية مرموقة وهو الأستاذ عبد الهادي التازي. لقد نجح المؤلف نجاحاً كبيراً في تدوين سيرة ذاتية غنية لأحد أهم علماء الفكر والسياسة الدبلوماسية في المغرب. وبهذه المناسبة أهنئ الدكتور محمود عبد الواحد القيسي رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب الذي أحسن في اختيار هذا الباحث الرصين لتدوين هذه السيرة الفنية لمناضل دبلوماسي مرموق، عشق العراق وعشقه العراق. إن هذا الكتاب لم يكن ليصدر بهذه الرصانة لولا حرص التازي على تقديم كل أنواع الدعم إلى المؤلف الذي قام بزيارة بحثية إلى المغرب، وكان على مقربة مستمرة من التازي وأرشيفه

الشخصي بخاصّة، إضافةً إلى الأرشيف الوطني والدبلوماسي المغربي بعامة، والاستفادة من هذه الفرصة الثمينة للالتقاء بالنخب العلمية والسياسية والدبلوماسية المغربية التي عاصرت التازي.

وأخيراً، لا بد من أن أقدم الشكر الجزيل لبيت الحكمة، وعلى رأسه الدكتور شمران العجلي رئيس مجلس الأمناء الذي تعرّف إلى التازي أثناء زيارة ثقافية على رأس وفد من بيت الحكمة، وقرر منذ الوهلة الأولى دعم الجهود العلمية التي بدأناها سوية لإظهار هذا السفر العلمي المتميز الذي يتبنى بيت الحكمة المؤسسة العلمية الفكرية الرائدة استكمال فضله بقرار العجلي نشره.

مقدمة

يعد التصدي لدراسة الشخصيات الوطنية المغربية التي أدّت أدواراً فكرية وسياسية، في مقدمة المواضيع التي تستحق اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين والمؤرخين. ولا نغالي إذا قلنا إن ما كتب عن تاريخ المغرب بالتحديد في جامعتنا، لا يرقى إلى مستوى الدراسات التاريخية الأخرى، وقد نجم ذلك، بحسب اعتقادنا، عن عزوف بعض الباحثين عن الخوض في مواضيع تتطلب العناء والجهد في الحصول على المصادر والمراجع الخاصة بها.

ومن هنا، يحاول هذا الكتاب، قدر الإمكان، أن يرسم صورة واضحة وجديرة بأحد ابرز أعلام المغرب، عبد الهادي التازي، ونشاطه الفكري والسياسي، ليكشف عن نضاله وتضحياته في سبيل خدمة المغرب والأمة العربية، ودوره في تطوير العلاقات المغربية ـ العراقية.

وفكرة الكتابة عن هذا الموضوع ترتبط بزيارة لأحد وفود بيت الحكمة، في إطار أنشطته بالانفتاح على المؤسسات البحثية في الوطن العربي في عام ٢٠١١، ضم في عضويته كلاً من الأستاذ الدكتور شمران العجلي، رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة، والأستاذ الدكتور محمود علي الداود، والأستاذ الدكتور عدنان ياسين، والأستاذ الدكتور محمود عبد الواحد محمود القيسي. وخلال هذه الزيارة التقى أعضاء الوفد عبد الهادي التازي، وتبلورت فكرة كتابة عمل أكاديمي عن الأستاذ التازي، والتي كانت من بنات أفكار المؤرخ العراقي المخضرم محمود علي الداود. ووفد بيت الحكمة هو امتداد للوفود الثقافية والأدبية العراقية التي وصلت المغرب منذ خمسينيات وستينيات القرن الماضي، والتي وجد فيها التازي ذلك العمق الفكري والثقافي والمعرفي، الذي دفعه إلى الانفتاح عليها وترسيخ وتقوية العلاقات التاريخية والثقافية بين المغرب والعراق[١]، كجزء من التاريخ الثري لمشرق الوطن العربي ومغربه الذي نال اهتمام التازي منذ بداياته المبكرة.

---

(١) خير دليل على عمق حب التازي العراق والعراقيين، أنه أطلق على فيللته التي يعيش فيها في المغرب اسم «فيللا بغداد».

لم يخطط للكتاب الحالي أن يكون تاريخاً لشخص فحسب، وإنما قدمت من خلال حياته صورة لتاريخ عصر وتاريخ الحركة الوطنية في المغرب، الذي يعد امتداداً للتاريخ العربي المعاصر. وليس التصدي لمثل هذا الموضع أمراً هيناً، فان المعلومات التي وصلتنا عن التازي من مصادر متناثرة تكاد لا تلقي سوى ضوء خافت على دوره في أحداث المغرب السياسية، وعن دوره الفكري، فضلاً عن عدم توافر الوثائق والمصادر المهمة المتعلقة بالموضوع في مكتباتنا التاريخية، الأمر الذي اقتضى من الباحث السفر إلى المغرب. وهناك تسنى له مقابلة التازي موضوع الدراسة، الذي هيأ له كل ما يحتاجه من وثائق ومذكرات خاصة به وبنشاطه، فقد حرص على جمع كل ما يتعلق به على مدى سنوات طوال. وأجرى الباحث اتصالات تفصيلية مع الكثير ممن رافقوا التازي أو عملوا معه في مختلف مراحل حياته، فضلاً عن معلومات أخرى جمعها الباحث من مصادر رسمية وغيرها، تؤلف بمجموعها سجلاً مليئاً بمعلومات فريدة ساعدت الباحث على الإلمام بأبعاد موضوعهِ بصورة أفضل.

تؤلف المذكرات الشخصية عادة مصدراً أصيلاً لا غنى عنه، في حال توافرت تلك المذكرات. للخوض في تفاصيل موضوع مثل موضوعنا. وهنا تأتي مذكرات عبد الهادي التازي في مقدمتها. وقد أسعفني الحظ أن أطلع على نص تلك المذكرات بخط يده بعد أن زودني بها خلال مقابلتي له في المغرب والذي اختار لها عنوان نموذج من حياة مواطن مغربي. وفيها وردت معلومات تعد فريدة في بابها. لذا استندنا إلى المخطوط وعبّرنا عنها تحت عنوان مذكرات عبد الهادي التازي ووضعنا كلمة (المخطوط) بين قوسين كبيرين في نهاية كل هامش اقتبسنا معلوماته من الأصل.

وأمدتنا المذكرات المنشورة بمعلومات مهمة ولا سيما أن أصحاب تلك المذكرات ساهموا بصورة مباشرة أو غير مباشرة في صنع الأحداث، وأهمها مذكرات أبي بكر القادري مذكرات في الحركة الوطنية. وخصوصاً في جزئها الأول، ومذكرات محمد حسن الوزاني التي كانت بعنوان مذكرات حياة وجهاد في جزئها الأول.

واعتمدنا أيضاً على وثائق عراقية وبريطانية وأمريكية غير منشورة، وبعض ملفات البلاط الملكي المحفوظة في دار الكتب والوثائق. وعلى الرغم من أن المركز المغربي للوثائق كانت تجري فيه عملية صيانة، وتم تأمين وثائقه في البلاط الملكي أثناء وجود الباحث في المغرب، إلا انه تمكن من الحصول على بعض الوثائق التي أفادت البحث.

وتشكل المصادر العربية والمعربة رافداً مهماً أمَدَّ البحث بمعلومات قيمة وخصوصاً أن مؤلفي أغلب تلك المصادر، ساهموا في أحداث شهدتها المغرب في تلك الحقبة، وفي مقدمتها مؤلفات عبد الهادي التازي ومنها موسوعته التي حملت عنوان القرويين المسجد والجامعة في فاس موسوعة لتاريخها الفكري والمعماري؛ ففي الجزء الثالث، وثق التازي الدور الثقافي والديني والسياسي لهذه المؤسسة الدينية وارتباطها بالحركة الوطنية التي انطلقت وارتبطت بها، ونضالها ضد الحماية الفرنسية. وكتاب الحماية الفرنسية حسب إفادات معاصرة، ومؤلفات علال الفاسي. ويأتي كتاب

الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، في مقدمتها، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب أن يستغني عنها، وقد أفادت الباحث بمعلومات مهمة، وكتاب صلاح العقاد المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، وكتاب محمد خير فارس تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، التي وثقت كفاح الحركة الوطنية ضد الحماية الفرنسية.

وينطبق القول نفسه على النشرات التي أصدرتها وزارة التربية الوطنية المغربية أو الدائرة الثقافية في الجامعة العربية لما تضمنتها من معلومات مهمة عن المؤتمرات الثقافية والتربوية العديدة التي أقامتها الجامعة العربية واسهم فيها التازي بشكل فاعل.

وأفدنا من عدد من الكتب الأجنبية، بما في ذلك المعربة منها، ساعدت الباحث على الإلمام بأبعاد موضوعه المحدد، وبكل ما يتعلق بما أحاط به بصورة أفضل، منها كتاب دوغلاس آي اشفورد التطورات السياسية في المملكة المغربية؛ وكتاب *La Presse marocine d'expression française des origin à 1956* باللغة الفرنسية، الذي تناول دور الصحافة الوطنية المغربية، وكشف فيه عن نشاط التازي في ميدان الصحافة الوطنية.

وشكلت الرسائل والأطروحات الجامعية رافداً مهماً ساعدت الباحث على الإلمام بموضوعه بشكل أفضل. منها رسالة محمد عمراني «جامعة القرويين ١٩١٤ ـ ١٩٣٤»، ورسالة لقمان صالح أحمد القطان «سياسة فرنسا البربرية وأثرها في الحركة الوطنية».

أما الصحف والدوريات، فإنها ألفت أحد الروافد المهمة التي استقى منها الباحث معلوماته، وقد أمدتنا بعدد من الوقائع والحقائق التي تعد فريدة في بابها.

وأمدت المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث مع عبد الهادي التازي وعدد من الشخصيات السياسية والفكرية المعاصرة له، وهم الشيخ البصير محمد الصقلي والفقيه أحمد الغازي الحسيني الذين رافقا التازي في نشاطه داخل القرويين، والمناضل محمد العراقي أحد قادة حزب الاستقلال الذي أودع مع التازي السجن في عهد الحماية الفرنسية، وقد أمد محمد العراقي الباحث بمعلومات مهمة، لم تكن معروفة في الأوساط الثقافية أو الأكاديمية. وساهم المؤرخ والدبلوماسي العراقي محمود علي الداود، في إطلاع الباحث على نشاط التازي الاجتماعي والثقافي في العراق خلال عمله سفيراً للمغرب في العراق.

يتكون الكتاب من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة موجزة. تناولنا في الفصل الأول، الذي حمل عنوان «عبد الهادي التازي النشأة والتكوين»، حيث مهدنا عن أوضاع المغرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى إعلان الحماية الفرنسية. وتناولنا فيه نشأة التازي وصفاته ودراسته، وظروف حياته. وختمنا الفصل بتوضيح تأثير النهضة الفكرية والثقافية التي ظهرت أولاً في فاس، مدينة التازي، وتأثيرها في بلورة شخصية التازي وتوجهاته الفكرية والسياسية حتى عام ١٩٤٣.

كرسنا الفصل الثاني، الذي حمل عنوان «نشاط عبد الهادي التازي الفكري والسياسي ١٩٣٦ ـ ١٩٤٧» وهي مرحلة مهمة في نشاط التازي، لبيان بروزه في ميدان الفكر والسياسة من خلال نشاطه الصحافي والسياسي سواء في الحركة الوطنية أو في القرويين. وبحثنا أسباب انتساب التازي رسمياً إلى الحزب الوطني، بعد حدوث الانشقاق داخل (كتلة العمل الوطني) التي كانت تمثل الحركة الوطنية المغربية، وعالجنا في خاتمة الفصل النشاط الفكري والسياسي للتازي من خلال الحزب الوطني والقرويين وظروف اعتقاله بسبب ذلك النشاط.

وقد خصصنا الفصل الثالث، المعنون «النزعة التحديثية في نشاط التازي وتأثيرها في القرويين ودور ذلك في النضال من أجل الاستقلال وبناء الدولة المغربية ١٩٤٧ ـ ١٩٦٣»، لبحث النزعة التحديثية في نشاط التازي وتأثيرها في القرويين ودور ذلك في النضال من أجل الاستقلال وبناء الدولة المغربية ١٩٤٧ ـ ١٩٦٣، وتناولنا فيه ظروف انتماء التازي للقرويين كأحد علمائه، وأهمية انتماء التازي إلى هيئة العلماء الاستقلاليين، وما نتج منه من توجهات علمية وفكرية وسياسية للتازي، كان لها أهمية في بروز دوره في حزب الاستقلال والقرويين والكفاح الوطني الذي مهد الطريق أمام نيل المغرب استقلاله عام ١٩٥٦. وانهينا الفصل بمعالجة دور التازي في بناء الدولة المغربية بعد الاستقلال.

وعالج الفصل الرابع، المعنون «دور عبد الهادي التازي في تطوير العلاقات المغربية العراقية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨»، الظروف التي سبقت تعيين التازي سفيراً لبلاده في العراق، ودوره في تطوير العلاقات المغربية ـ العراقية، ونشاطاته الثقافية والاجتماعية خلال مدة سفارته.

وفي خاتمة الكتاب، حاولنا قدر الإمكان أن نضع التازي في ميزان النقد التاريخي في حدود فهمنا الموضوع وما أطلعنا عليه من الوثائق والمصادر من دون أن تأخذنا العاطفة بعيداً من الدراسة العلمية الأكاديمية.

وما يقتضي التنويه هنا، أننا حرصنا في الفصل الأول على دراسة كل ما يتعلق بمسيرته العلمية ودراسته الأساسية التي استمرت حتى العام ١٩٤٣، في حين بدأنا الفصل الثاني من العام ١٩٣٦ الذي خصص لدراسة نشاط التازي السياسي حفاظاً على وحدة الموضوع. كما يقتضي التنويه أن اسم مؤسسة القرويين ورد في معظم المؤلفات والوثائق بعبارة جامع القرويين أحياناً، ومسجد القرويين أحياناً أخرى. لكننا آثرنا أن نختصر في متن الرسالة بكلمة «القرويين».

نرجو أن يكون الكتاب نافذة مشرقية جديدة على المغرب العربي، ومحاولة لتوسيع التواصل الأكاديمي بين العراق والمغرب بعد سنوات من الانشغالات المحلية لظروف العراق في الثمانينيات والتسعينيات.

وأقدم هذا الكتاب إلى القارئ العربي ليكون مثالاً لما يمكن أن يقدمه «الدبلوماسي المفكر» في تطوير وترسيخ العلاقات العربية، وتوسيع مجالات التواصل والتلاقي الفكري والثقافي. والله أسال التوفيق والسداد.

الفصل الأول

عبد الهادي التازي: النشأة والتكوين

أولاً: أوضاع المغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى إعلان الحماية الفرنسية

يقع المغرب أو كما يسمى (المغرب الأقصى)[1] في أقصى الشمال الغربي لقارة أفريقيا، ويشكل امتداداً طبيعياً للجناح الغربي للوطن العربي. إذ يحده البحر المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب والجزائر من الشرق، وموريتانيا من الجنوب[2]. ويمتاز المغرب بموقع إستراتيجي مهم من خلال اعتباره بوابة أفريقيا إلى أوروبا والعكس صحيح، إذ لا يفصل مضيق جبل طارق في شمال المغرب عن السواحل الاسبانية سوى ١٥ كيلومتراً ما سهل عملية الانتقال بين الجانبين[3].

يتكون الشعب المغربي من حيث الجنس من ثلاثة عناصر العرب والبربر[4] والأفارقة، وأن العنصر الثالث يعد من سبايا أفريقيا السوداء أو مهاجريها، الذي اختلط

(١) أطلق المؤرخون والجغرافيون العرب على المناطق الإسلامية الممتدة من غرب مصر إلى المحيط الأطلسي كلمة المغرب وذلك لوقوعها غرب الخلافة الإسلامية في المشرق الإسلامي، وقسم المغرب بالنسبة إليهم إلى المغرب الأدنى (تونس وليبيا) والمغرب الأوسط (الجزائر)، والمغرب الأقصى والذي أصبح يعرف بعد استقلاله عام ١٩٥٦ بالمملكة المغربية أو المغرب. انظر: سمير أمين، المغرب العربي الحديث، ترجمة كميل داغر، ط ٣ (بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١)، ص ٧، وعبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط ٢ (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢)، ص ١٠٥.

(٢) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢)، ص ١١ ـ ١٢، ومسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء التاسع: المناطق، الدول، البلدان، المدن، معالم، وثائق، موضوعات، زعماء (القاهرة: [د. ن.]، ٢٠٠٣)، ص ٧٧.

(٣) حليمي عبد القادر علي، جغرافية المغرب العربي (وهران: مكتبة المعارف، [د. ت.])، ص ٧.

(٤) البربر: مصطلح أطلقه الإغريق والرومان والعرب على القبائل القاطنة في شمال أفريقيا، فالإغريق والرومان كانوا يقصدون به الشعوب أو القبائل المتوحشة وذلك لعدم خضوعهم لسيطرتهم وأنهم خارجون على الحضارة الرومانية. أما العرب، فقصدوا بهذه التسمية القبائل التي يتحدث أبناؤها بصوت غير مفهوم ويكثر فيه تكرار حرفي الباء والراء. أما أصلهم، فترجعه أغلب المصادر إلى مازغ بن حام من بني كنعان، كانوا يستوطنون بلاد الشام نزحوا إلى أفريقيا من طريق مصر، =

مع العنصرين الأول والثاني إلى حد ذابت فيه الفروق في الذهنية العامة بين هؤلاء وأولئك[٥].

كان للعرب دور في تعليم البربر اللغة العربية والديانة الإسلامية بعد الفتح العربي الإسلامي[٦]. فلم يكن الإسلام غاية استعمارية استغلالية، بل كان غايته العليا نشر الإسلام وهدايته وإنقاذ البشر من الظلمات إلى النور[٧].

وكان للإسلام دور فعال في عملية الاندماج الاجتماعي، ويتضح ذلك من خلال الاستمرار الحيوي لكل مظاهر الحياة الاجتماعية على مدى ١٢ قرناً عاشها المغرب عبر تاريخ واحد أسهم في صنعه العرب والبربر معاً. إذ إن كليهما عبارة عن مجموعة من القبائل أخذ التمايز بينهما يتضاءل بفضل الإسلام واللغة العربية وتوفير وسائل التواصل الاجتماعي وتنوعها «علاقات الزواج والمصاهرة التي لا تعرف حدود والتجارة والمصالح الاقتصادية، إضافة إلى العلاقات السياسية التي يقتضيها التحالف»[٨].

حكمَ المغرب عدد من الأسر الحاكمة في عصور مختلفة، كان آخرها الأسرة العلوية[٩] التي استمرت في المحافظة على الاستقلال السياسي والديني للمغرب[١٠]. حتى مطلع القرن العشرين.

اضطر المغرب إلى خوض حروب مع بعض الدول الأوروبية والتي كان من أسبابها تطور الرأسمالية في تلك الدول وتسابقها في مجال الاستعمار، وكان من نتائجها توقيع المغرب سلسلة

= وقد استغل الفرنسيون هذه التسمية لشق وحدة الشعب المغربي بعد إعلان الحماية الفرنسية على المغرب عام ١٩١٢. انظر: العبادي، المصدر نفسه، ص ١٥، وعبد الجليل مزعل بنيان الساعدي، «الملك محمد الخامس دوره السياسي في المغرب الأقصى حتى عام ١٩٦١،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٣٩.

(٥) محمود صالح الكروي، التجربة البرلمانية في المغرب، ١٩٦٣ ـ ١٩٩٧ (بغداد: [د. ن.]، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ١٠٨.

(٦) أمين الهاشمي الفيلالي، دروس تاريخ المغرب (الدار البيضاء: مطبعة الأطلس، ١٩٦١)، ص ٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٨) الكروي، المصدر نفسه، ص ١٢.

(٩) الأسرة العلوية: حكمت المغرب منذ عام ١٦٣٨ وحتى الوقت الحاضر، وتنتمي هذه الأسرة إلى الإمام علي (ﷺ) والتي اكتسبت منه اسمها. إذ هاجرت من الحجاز إلى المغرب في القرن السابع الهجري. انظر: صلاح العقاد، المغرب العربي (الجزائر ـ تونس ـ المغرب الأقصى)، ط ٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦٩)، ص ٦٨ ـ ٦٩، ومحمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ٢ مج (بغداد؛ بيروت: دار الفكر الإسلامي، ١٩٧٣)، ص ٢٠٦.

(١٠) حافظ المغرب الأقصى (المغرب) على استقلاله عن الدولة العثمانية التي فرضت سيطرتها على البلدان العربية كافة بما فيها شمال أفريقيا وحتى الحدود الشرقية للمغرب الأقصى، وكان الأشراف العلويون يجدون أنفسهم أحق بالزعامة الدينية من العثمانيين ويلقب أمير المؤمنين كونهم من النسب العلوي الشريف. انظر: عبد العزيز بنعبد الله، تاريخ المغرب، ٣ ج (الدار البيضاء: مكتبة السلام الجديدة، [د. ت.])، ج ٢: العصر الحديث والفترة المعاصرة، ص ٣٩، وعبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ٣ مج (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤)، مج ٣: بني حفص وبني زيان وبني مرين، بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين: دراسة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٥١.

من الاتفاقيات غير المتكافئة ضمن ما يعرف بنظام الامتيازات، مثل اتفاقية عام ١٨٥٦ مع بريطانيا، واتفاقية عام ١٨٦٧ مع كل من فرنسا وإسبانيا، وكذلك مع ألمانيا عام ١٨٩٠[١١].

سعت فرنسا من بين تلك الدول الأوروبية جاهدة إلى توسيع مستعمراتها في شمال أفريقيا بعد نجاحها في احتلال الجزائر عام ١٨٣٠[١٢]، مستغلة مجاورة المغرب للجزائر، ولجوء الثوار الجزائريين إلى الأراضي المغربية[١٣]؛ ففي عام ١٨٤٤، تغلغلت القوات الفرنسية في الأراضي المغربية المتاخمة للحدود مع الجزائر، وتمّت ملاحقة الأمير عبد القادر الجزائري[١٤] وقواته، والذي وجد المساندة والدعم من سلطان المغرب، فوقعت معركة بين الجيش الفرنسي من جهة والجيش المغربي والثوار الجزائريين من جهة أخرى، عرفت بمعركة أسلي في ١٤ آب/أغسطس ١٨٨٤، انتصر فيها الجيش الفرنسي بسبب تفوقه في مجال الأسلحة الحديثة[١٥]. ومنذ ذلك الوقت عملت السلطات الفرنسية على استغلال قضية الحدود المغربية ـ الجزائرية للضغط على المغرب[١٦] لتقديم التنازلات، ما دفع بريطانيا المنافسة لفرنسا إلى التدخل والحيلولة دون السماح بالتغلغل الفرنسي في المغرب خوفاً على مصالحها في المنطقة[١٧].

دفع التنافس الاستعماري الأوروبي إلى عقد مؤتمر مدريد عام ١٨٨٠ من أجل إيجاد توازن بين مصالح الدول المتنافسة الأوروبية في المغرب[١٨]. عند ذلك وضعت فرنسا في حساباتها أن أي خطوة تخطوها لفرض حمايتها على المغرب، ستواجه منافسة واعتراض من الدول الأوروبية الاستعمارية الأخرى ولا سيما بريطانيا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا، لذا عقدت اتفاقيات ثنائية مع هذه الدول[١٩]؛ ففي عام ١٩٠٢، عقدت فرنسا اتفاقية مع ايطاليا لإطلاق يدها في طرابلس وبرقه مقابل ابتعادها عن المسألة المغربية. ووقعت مع بريطانيا الاتفاق الودي عام ١٩٠٤ والذي أطلق يد بريطانيا في مصر مقابل إطلاق يدها في المغرب. مع إبقاء منطقة طنجة منطقة دولية ومراعاة أطماع

---

(١١) فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني (موسكو: دار التقدم، ١٩٧١)، ص ٣٤٥.

(١٢) روم لاندو، سلطان مراكش، ترجمة عبد المجيد بن جلون (القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٥٢)، ص ١٣.

(١٣) صلاح العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٥٧)، ص ١٤٢.

(١٤) عبد القادر الجزائري: زعيم المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي منذ عام ١٨٣٢ حتى عام ١٨٤٧، ينتمي إلى أسرة عربية هاشمية، استسلم للقوات الفرنسية عام ١٨٤٧، ونفي إلى فرنسا ثم إلى سوريا حتى مات فيها عام ١٨٥٩. انظر: يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر: رائد الكفاح الجزائري (الجزائر: عالم المعرفة، ٢٠٠٩)، ص ٢٢.

(١٥) جلال يحيى، المغرب الكبير، ٤ ج (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١)، ج ٣: العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ص ٣٦١.

(١٦) William C. Atkinson, *A History of Spain and Portugal* (London: Penguin, 1960), pp. 98-99.

(١٧) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ٣٤٦.

(١٨) Jamil M. Abun-Nasr, *A History of the Maghrib in the Islamic Period*, 2nd ed. (London; New York: Cambridge University Press, 1955), p. 293.

(١٩) محمود الشرقاوي، المغرب الأقصى: مراكش (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، [د. ت.])، ص ٢٥.

إسبانيا في شمال المغرب[20]. وفي ٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٠٤، عقدت فرنسا اتفاقية مع إسبانيا، وافقت فيها الأخيرة على ما ورد في الاتفاق الودي، فضلاً عن تضمينها بنداً سرياً، أكد على تحديد منطقتي نفوذ الدولتين في المغرب، والوضع الخاص لمنطقة طنجة[21]. فكانت تلك الاتفاقية بمثابة استهلال لحماية ثنائية على المغرب[22].

كان من الطبيعي جداً أن يظهر أثر هذا الواقع في سياسة السلطان عبد العزيز[23] الذي أدرك حاجة المغرب إلى الاستعانة بألمانيا التي يرى فيها حليفة له للوقوف أمام مطامع الدول الأوروبية الأخرى وتنافسها من أجل السيطرة والنفوذ[24]. زار القيصر الألماني غليوم الثاني طنجة في عام ١٩٠٥، ليؤكد صداقته للسلطان المغربي[25]. وبالطبع لم يكن أمام القيصر الألماني سوى الاتفاق على عقد مؤتمر لحل المسألة المغربية. وقد استجابت الدول الأوروبية لرغبة القيصر الألماني، فعقد مؤتمر الجزيرة عام ١٩٠٦[26].

أصدر المؤتمر قراراته في وثيقة عرفت بـ ميثاق الجزيرة، نصت على الاعتراف بسيادة السلطان واستقلال ووحدة أراضيه مع المساواة التجارية لجميع الدول في المغرب ومساعدة السلطان على تنفيذ برنامج الإصلاح[27].

يبدو أن قرارات مؤتمر الجزيرة فتحت الطريق، من قصد أو من غير قصد، أمام فرنسا لاحتلال المناطق الرئيسة في المغرب، متذرعة ببعض الحوادث التي نتجت من تصادم بين رعاياها وأهل البلاد[28]. ففي عام ١٩٠٧، قتل طبيب فرنسي في مدينة مراكش، كان يعمل جاسوساً لصالح فرنسا، من قبل أحد المغاربة[29]. وفي السنة نفسها، حدث تصادم بين عمال فرنسيين وإسبان وبين مواطني

---

(٢٠) عبد المنعم إبراهيم الجمعي، «أثر الاتفاق الودي على مستقبل المغرب ومصر السياسي،» مجلة التاريخ العربي (جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط)، العدد ٣٥ (تموز/يوليو ٢٠٠٥)، ص ٤٩ ـ ٥٢.

(٢١) الفيلالي، دروس تاريخ المغرب، ص ٢٥٤.

(٢٢) محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، دراسات في تاريخ شمال أفريقية الحديث (دمشق: [د. ن.]، ١٩٧٢)، ص ٩ ـ ١٠.

(٢٣) السلطان عبد العزيز: تولى السلطة عام ١٨٩٤ وهو في عمر ١٣ ووضع تحت الوصاية وفي عهده تدخلت الحاشية في شؤون الحكم وأثقلت البلاد بالقروض الخارجية خصوصاً من فرنسا، وعمت البلاد الفوضى وتمردات القبائل حتى تم عزله عام ١٩٠٨. انظر: الفيلالي، المصدر نفسه، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢.

(٢٤) فارس، المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢٥) عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، ١٠ مج (الرباط: مطبعة فضالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، مج ١٠: عهد العلويين، ص ٩٠.

(٢٦) مؤتمر الجزيرة: عقد في ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٠٦، في الجزيرة الخضراء، وهي مدينة إسبانية صغيرة بالقرب من جبل طارق، شاركت فيه أغلب الدول الأوربية فضلاً عن المغرب واستغرق ثلاثة أشهر، إذ تفاقم فيه الصراع الدبلوماسي الذي لم يكن لمصلحة ألمانيا وإنما لمصلحة فرنسا بما يخص القضية المغربية. انظر: لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢٧) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ١٢.

(٢٨) لوتسكي، المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٢٩) محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ٢ ج (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥)، ج ٢، ص ٣٥.

الدار البيضاء نتج منه وقوع ضحايا من الجانبين[٣٠]. وهذا ما دفع القوات الفرنسية إلى احتلال الدار البيضاء والتوغل باتجاه وجدة ومراكش، بعد أن أجبروا السلطان عبد العزيز على القبول باتفاقيات جديدة[٣١]، وإثر ذلك، حدث سخط شعبي ضد السلطان سرعان ما تحول إلى ثورة أطاحت به وجاءت بأخيه عبد الحفيظ للسلطة بدلاً منه[٣٢]. بقرار اتخذ في مؤتمر شيوخ القبائل وعلماء الدين عقد في عام ١٩٠٨[٣٣].

بدأ السلطان عبد الحفيظ بإجراء مفاوضات مع فرنسا التي اشترطت للاعتراف به كسلطان أمام المجتمع الدولي، الموافقة على جميع الاتفاقيات السابقة التي وقعتها مع أخيه عبد العزيز المخلوع، وكان من شان ذلك أن يثير القبائل ضد التدخلات الفرنسية في شؤون البلاد، فحدثت اضطرابات داخلية شجعت فرنسا على اقتحام مناطق جديدة من البلاد[٣٤]. وعندما تفاقمت الأمور إلى درجة كبيرة، حدثت انتفاضة قام بها رجال القبائل الذين حاصروا فاس[٣٥]، الأمر الذي دفع بالسلطان إلى طلب المساعدة من الفرنسيين لفك الحصار عن المدينة التي فيها مقر أقامته[٣٦]، فكان هذا كافياً للفرنسيين لاتخاذه ذريعة لاحتلال المدينة في ٢١ أيار/مايو ١٩١١[٣٧].

جاء رد الفعل الألماني سريعاً على هذا التدخل الفرنسي؛ ففي عام ١٩١١، وصل طراد ألماني حربي قرب سواحل المغرب[٣٨]، ما دفع بريطانيا إلى التدخل لحل النزاع بين ألمانيا وفرنسا، وتم تسوية الأزمة باتفاق برلين في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١١. والذي تضمن موافقة ألمانيا على إعلان الحماية الفرنسية على المغرب، مقابل تنازلها، أي فرنسا، لمصلحة ألمانيا عن الكونغو الفرنسية[٣٩]. أعقب ذلك إرسال فرنسا، قواتها إلى المغرب في العام نفسه، تحت ستار حماية

---

(٣٠) إحسان حقي، المغرب العربي (بيروت: دار اليقظة العربية، [د. ت.])، ص١٤٢.

(٣١) المنوني، المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(٣٢) عبد الحفيظ (١٩٠٨ ـ ١٩١٢)، تولى السلطة بعد خلع أخيه عام ١٩٠٨. وقد وجد البلاد مثقلة بالديون الخارجية والاتفاقات غير المتكافئة. حاول التغلب عليها بفرض الضرائب؛ فحدثت في عهده مجاعة واضطرابات داخلية دفعته إلى طلب مساعدة فرنسا، ما أتاح لها التدخل في البلاد وفرض الحماية عليها، التي بسببها تنازل عن العرش عام ١٩١٢ وغادرها إلى باريس وبقي فيها حتى مات عام ١٩٣٨. ونقل جثمانه إلى فاس ودفن في مقبرة أسلافه. انظر: الفيلالي، دروس تاريخ المغرب، ص ٢٤٤.

(٣٣) التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، ص ٩٥.

(٣٤) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ٣٥٧.

(٣٥) فاس: عاصمة المغرب التاريخية والثقافية تقع في السهل الشمالي بين جبال الأطلسي وجبال الريف وقد أدت في التاريخ الإسلامي أدواراً شبيهة بأدوار القاهرة وبغداد ودمشق من النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وظلت عاصمة للمغرب منذ أن أنشأها إدريس بن إدريس عام ٧٨٠م حتى فرض الحماية على المغرب عام ١٩١٢ باستثناء فترات قصيرة. انظر: الشرقاوي، المغرب الأقصى: مراكش، ص ١٧، وعبد العزيز بنعبد الله، فاس، منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ٢ ج (الرباط: المطبعة الملكية، ٢٠٠١)، ج ١.

(٣٦) Edmund Burke, III, *Prelude to Protectorate in Morocco 1860-1912: Precolonial Protest and Resistance, 1860–1912* (Chicago, IL: University of Chicago Press, 1967), p. 56.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٣٨) التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، ص٩٠.

(٣٩) Winston S. Churchill, *The Great War* (London: George Newnes Limited, 1933), vol. 1, pp. 8-9.

السلطان، والرعايا الأوروبيين هناك، فاحتلت مدينة مكناس، وأكملت احتلال مدن وجدة والدار البيضاء والشاوية وفاس وغيرها من المدن[٤٠]. في الوقت نفسه، تحركت القوات الإسبانية للاستيلاء على بعض المدن المغربية مثل العرائش والقصر الكبير[٤١]. وقد انتهى الغزو العسكري الفرنسي، بفرض معاهدة الحماية على السلطان عبد الحفيظ في ٣٠ آذار/مارس ١٩١٢[٤٢]. وأكدت فيها فرنسا التزامها حماية السلطان ضد أي خطر أو تهديد له، مقابل موافقة السلطان على احتلال القوات الفرنسية لأي منطقة من المغرب، وبذلك أضفت صفة الشرعية على احتلالها[٤٣].

بالطبع، لم يكن بمقدور السلطان، بموجب المعاهدة، إصدار المراسيم من دون موافقة المقيم العام الفرنسي الذي نصت المعاهدة على تعيينه من فرنسا متمتعاً بحق الموافقة على كل المراسيم الصادرة من السلطان أو رفضها[٤٤].

دخلت فرنسا طرفاً أساسياً في رسم السياسة الخارجية للمغرب وذلك من خلال تعهد السلطان بعدم إبرام أية اتفاقية ذات صبغة دولية من دون موافقة مسبقة من الحكومة الفرنسية، وأصبح المقيم العام الفرنسي نائباً عن السلطان في الشؤون الخارجية[٤٥].

ترك إبرام المعاهدة المغربية ـ الفرنسية آثاراً مباشرة على علاقات مختلف القوى والفئات الشعبية في فاس، وأدى إلى بروز مظاهر الصراع بين أهالي فاس والسلطات الفرنسية التي كانت تروم التمركز داخل المدينة، الأمر الذي دفع الفرنسيين إلى فرض حصار عليها استمر ثلاثة أيام كاملة (١٧، ١٨، ١٩) نيسان/أبريل عام ١٩١٢. سميت هذه الأيام، بـ «الأيام الدامية»، سقط ضحيتها عدد كبير من أهالي فاس، وكذلك من الفرنسيين الذين أطلقوا على المدينة «المدينة المجرمة» لما لاقوه من مقاومة عنيفة من أهاليها[٤٦].

سرعان ما نقل الفرنسيون العاصمة من مدينة فاس التاريخية إلى مدينة الرباط[٤٧].

لم يكن بوسع السلطان عبد الحفيظ إزاء ما آلت إليه أوضاع البلاد، وازدياد معارضة أوساط مختلفة من المجتمع المغربي لأسلوب تعامله مع السلطات الفرنسية، وخضوعه لرغبات المقيم

---

(٤٠) عبد الهادي التازي، الحماية الفرنسية: بدايتها ـ نهايتها حسب إفادات معاصرة، ط ٢ (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ص ٢٤.

(٤١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦)، ص ٦٣٦.

(٤٢) للاطلاع على نص الحماية، انظر: حقي، المغرب العربي، ص ١٤٤ ـ ١٥٥.

(٤٣) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٤٤) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ص ٣٦٢.

(٤٥) العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ص ٢٩٤.

(٤٦) التازي، الحماية الفرنسية: بدايتها ـ نهايتها حسب إفادات معاصرة، ص ٢٩.

(٤٧) حقي، المغرب العربي، ص ١٥٥.

الفرنسي، سوى التنازل عن العرش في ١٢ آب/أغسطس١٩١٢[٤٨] لمصلحة أخيه يوسف بن الحسن[٤٩].

ومن جانب آخر، وقّعت فرنسا في ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٢، على الاتفاق الفرنسي - الإسباني، الذي نص على تنازل فرنسا، لإسبانيا عن منطقة منفصلة في شمال المغرب، على أن تبقى تحت سيادة السلطان الاسمية، ويمثله فيها نائب أو ممثل عنه، يختاره من بين مرشحين اثنين تعرضهما عليه الحكومة الإسبانية[٥٠]. وتعين إسبانيا مندوباً سامياً، مهمته الإشراف على الإدارة المغربية في المنطقة، ويمثل السلطان أمام قناصل الدول الأجنبية[٥١].

وبهذه الاتفاقية قسم شمال المغرب قسمين، ضم القسم الأول، سبتة ومليلة ومنطقة أيفي، وتمارس فيه إسبانيا السيادة من دون قيد؛ بينما وُضع القسم الثاني، الذي يمتد من الحدود الشمالية الشرقية للمغرب إلى ميناء العرائش على ساحل المحيط الأطلسي، تحت سيطرة إسبانيا بموجب ما جاء في معاهدة الحماية بين فرنسا والسلطان المغربي، ويمثل السلطان فيه مندوباً غير مقيم في تطوان، يخضع لإشراف الإدارة العامة الإسبانية[٥٢]، وأصبحت منطقة طنجة في الشمال الغربي منطقة دولية[٥٣]. وبذلك أصبح المغرب مقسماً إلى أربع مناطق، تختلف كل منها عن الأخرى من حيث الوضع القانوني.

أدت السياسة الفرنسية تجاه المغرب إلى وضع إدارة البلاد بيد ثلاثة أجهزة هي، إدارة المخزن[٥٤]، والتي احتفظت بطابعها القديم، والإدارة الشريفة الجديدة التي يتولى بها المتعلمون المغاربة إدارة الشوؤن الإدارية الخاصة بالأهالي، والإقامة العامة التي تهيمن على سيادة وسياسة

---

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٤٩) السلطان يوسف بن الحسن (١٩١٢ ـ ١٩٢٧)؛ تولى السلطة بعد تنازل أخيه السلطان عبد الحفيظ عام ١٩١٢، وتميز هذا السلطان بالتواضع والهدوء والضعف في الوقت نفسه، وامتاز عهده بالاضطرابات والمشكلات بسبب الحماية الفرنسية التي عملت على تثبيت أقدامها في المغرب. توفي عام ١٩٢٧ ليخلفه أبنه محمد. انظر: الفيلالي، دروس تاريخ المغرب، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٥٠) حقي، المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٥١) الفيلالي، المصدر نفسه، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٥٢) العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٥٣) ظلت منطقة طنجة محايدة تحت سيطرة قوة دولية حتى تم عقد مؤتمر في باريس عام ١٩٢٣، وحضره عدد من الدول الأوروبية التي لها مصالح هناك. وتقرر في المؤتمر تشكيل مجلس تشريعي دولي من خمسة وثلاثين شخصاً (٤ فرنسيين، و١٤ إسبانيا، و٣ بريطانيين، إيطاليّان، وبلجيكي واحد، وهولندي، وبرتغالي، و٦ مسلمين، و٣ يهود) وعهد بإدارة المدينة إلى لجنة يرأسها فرنسي، بينما تولت إسبانيا الإشراف على شؤون الشرطة ورئاسة دوائر الأمن فيهما. وقد ألغي هذا النظام أواخر عام ١٩٥٦ لتعود المنطقة إلى حضن البلاد بعد الاستقلال. انظر: عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث (بيروت؛ عمّان: الأهلية للنشر، ١٩٨٧)، ص١٨٧.

(٥٤) المخزن: وهو التعبير أو التسمية التي تطلق على الحكومة المغربية آنذاك وتعني الدولة الشريفية. ويعود أصل هذه التسمية إلى القرن الثاني الهجري إذ كان إبراهيم بن الأغلب أمير أفريقيا في العهد العباسي يحفظ أموال الدولة في صندوق حديدي سماه «المخزن». واستمرت هذه التسمية إلى عهد الدولة العلوية في المغرب وصولاً إلى فرض الحماية عام ١٩١٢. انظر: روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة؛ مراجعة أنيس فريحه (بيروت: دار الثقافة =

البلاد العليا في المجالات الخارجية والدفاع والأمن العام. اقتصر مجلس الوزراء على ثلاثة مسؤولين هم: الصدر الأعظم الذي تولى الكاتب العام للحماية معظم اختصاصاته، ووزير العدل الذي أسندت سلطته إلى المحاكم الشرعية، والمعاهد الدينية إلى مراقب العدل بالإدارة الشريفية. وعلى الغرار نفسه، لم يكن وزير الأوقاف أفضل حالاً من سابقيه؛ فالسلطة الفعلية كانت بيد موظف فرنسي لدى الإدارة الشريفية، في الوقت الذي وضعت فيه إدارات الفلاحة والمالية والأشغال العامة والبريد والصناعة، بيد مديرين فرنسيين يديرونها إدارة مباشرة. كما عين مراقبون فرنسيون خارج العاصمة لمراقبة الباشوات وقادة الأقاليم المغاربة[٥٥]. وقسم المغرب سبع مناطق، ثلاث تحت إدارة مدنية هي (الرباط والدار البيضاء ووجدة). وكان قادة وباشاوات هذه المناطق يخضعون لمراقبين مدنيين يتم تعيينهم من قبل المقيم العام. وثلاث مناطق تحت إدارة عسكرية يتولى الإشراف والمراقبة على قادتها وباشاواتها، ضابط الشؤون الأهلية الذي يرتبط بوزارة الحربية الفرنسية وتحت إشراف المقيم العام. والقسم الأخير هو مدينة مراكش التي خضعت لنظام مدني وعسكري في آن واحد وكان لها وضع خاص، إذ إن ضباط الشؤون الأهلية والمسؤولين المدنيين كانوا يتمتعون بسلطة كاملة[٥٦].

من دون شك كانت المعاهدة المغربية ـ الفرنسية قد جردت السلطان من سلطاته ومنعته من ممارسة سياسة مستقلة في المجال الداخلي والخارجي، بينما تمتع المقيم الفرنسي بصلاحيات واسعة للإشراف على شؤون الإدارة والقضاء والشؤون المالية والعسكرية والتمثيل الخارجي، في الوقت الذي لم يعد السلطان يملك من السلطة سوى توقيع المراسم التشريعية. وينطبق القول نفسه على حكومة المخزن، التي لم تعد مؤهلة للاضطلاع بمهامها بسبب خضوعها لإدارة المقيم العام[٥٧].

يعد الجنرال لوي هوبرت لايوتيه (Louis Hubert Lyautey)[٥٨] أول مقيم عام فرنسي في المغرب انتهج سياسة تعليمية، أظهرت أبعاد السياسة الفرنسية قائمة على محاربة التعليم الديني والعربي ونشر التعليم والثقافة الفرنسية، ونشطت حملات التبشير المسيحية، خصوصاً بين البربر

= للنشر والتوزيع، ١٩٦٣)، ص ٣٩، وحسن صبحي، تاريخ شمال أفريقيا الحديث والمعاصر (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧٣)، ص ١١٥.

(٥٥) ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية (الرباط: دار الخطابي، ١٩٨٥)، ص ٩٦.

(٥٦) جون واتربوري، الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة ماجد نعمة وعبود عطية (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢)، ص ٣٥.

(٥٧) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ١٨١.

(٥٨) لايوتيه (Lyautey): عين كأول مقيم فرنسي في المغرب منذ فرض الحماية عام ١٩١٢ حتى عام ١٩٢٥، والذي وصف بخبرته الإدارية والعسكرية الاستعمارية، إذ كان يعمل ضمن السلطة الفرنسية في الجزائر، وانتهج سياسة التفرقة لإضعاف البلاد، توفي عام ١٩٣٧ في المغرب ودفن في الرباط بحسب وصيته، وبعد نيل المغرب الاستقلال نقل جثمانه إلى داخل السفارة الفرنسية في المغرب. انظر: حقي، المغرب العربي، ص ١٤٦.

في محاولة إلى طمس الهوية الإسلامية والعربية للمغرب(٥٩)؛ فقد استصدر لايوتيه ظهيراً(٦٠) موقعاً من السلطان عبد العزيز عام ١٩١٤، خاصاً بتعليم البربر(٦١). أرادت منه فرنسا أن تثبت أن المغرب هو عبارة عن قبائل غير متجانسة ومختلفة، وأنه يتطلب وجود قوانين بربرية إلى جانب الشريعة الإسلامية التي تحكم البلاد(٦٢).

كذلك شهدت البلاد في عهد إدارة لايوتيه، دخول أعداد كبيرة من المستوطنين الفرنسيين من أصحاب الحرف ورجال الأعمال والتجار. وبلغت مساحة الأراضي التي أمتلكها الفرنسيون حوالى الـ (٤٠٠) ألف هكتار. وأصدرت الإقامة العامة ظهيراً عام ١٩١٩ أجازت فيه استغلال أراضي القبائل غير المزروعة، في مقابل إيجار رمزي، حتى بلغت الملكيات الأوروبية حوالى المليون هكتار استأثرت بنصيب الأسد في توزيع المياه، كما تسبب الظهير بأضرار كبيرة بالزراعة المغربية، وقامت شركات رأسمالية فرنسية خاصة بالبحث واستغلال الثروات الطبيعية والمعدنية ومناجم الفوسفات والحديد، والرصاص في البلاد(٦٣).

حاولت الإدارة الفرنسية، وبتوجيه من لايوتيه، القيام بإجراءات إدارية وعمرانية في مدينة فاس. توخت منها تثبيت أقدام الفرنسيين في تلك المدينة، ومحاولة التغلغل في أرجائها(٦٤). ومن هذا المنطلق أمر لايوتيه، بإنشاء خط سكك حديدي يربط مدينة فاس بمدينة طنجة لكي يتم التواصل مع المنطقة الشمالية(٦٥). وعندما لاحظ لايوتيه مدى ما تتمتع به هذه المدينة من تأثير ديني وتاريخي في أبناء المغرب كافة، لم يرد أن يتدخل في تركيبتها السكانية والعمرانية(٦٦)، لذلك عمل على استصدار عدد من الظهائر لتهديم أسوار المدينة القديمة واستبدالها بثلاثة أبواب جديدة بهدف طمس المعالم القديمة لهذه الأسوار وتسهيل السيطرة عليها في الوقت نفسه. وكذلك تهديم بعض القصبات القريبة من المدينة وإنشاء مدينة عصرية جديدة لسكن الأوروبيين(٦٧).

---

(٥٩) فارس، المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٦٠) الظهير: هو المرسوم السلطاني الذي يعرف عند المغاربة بمصطلح الظهير. انظر: الساعدي، «الملك محمد الخامس دوره السياسي في المغرب الأقصى حتى عام ١٩٦١،» ص ٣٠.

(٦١) ظهير عام ١٩١٤: نص هذا الظهير على أن تحكم القبائل البربرية طبق قوانينها وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطان من دون الحاجة إلى الرجوع إلى الشريعة الإسلامية. وتعيين القبائل البربرية التي سيطبق عليها هذا الظهير. للمزيد من تفاصيل هذا الظهير، انظر: إبراهيم كريديه، السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب (الدار البيضاء: شركة الطبع للنشر، ١٩٨٥)، ص ٣٩ ـ ٤٢.

(٦٢) العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٥.

(٦٤) Charlotte Jelidi, «La Fabrication des «villes nouvelles» sous le protectorat français au Maroc: De l'idéologie aux réalités, ou la place des archives dans le renouvellement de l'historiographie,» dans: Hélène Vacher, dir., *Villes coloniales aux XIX-XX^ème siècles: d'un sujet d'action à un objet d'histoire* (Paris: Maisonneuve Larose, 2006), pp. 33-35.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٤٨ ـ ٥١.

(٦٦) Daniel R. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat français au Maroc, 1912-1925* (Paris: L'Harmattan, 1988).

(٦٧) Jelidi, Ibid., pp. 55-58.

وهكذا كانت بصمات لايوتيه وفريقه من المهندسين والمعماريين واضحة والتي حرص فيها على التميز بين أحياء المدينة القديمة وبين الحي المخصص للأجانب(٦٨).

ويبدو أن الهدف المعلن من وراء السياسة العمرانية الفرنسية في فاس هو التوفيق بين الحفاظ على حالة الموروث العمراني وتقاليد المغاربة وعاداتهم، وبين ضرورة استحداث عمران عصري يوفر للسكان نمط عيش أوروبي(٦٩) ولكن المغاربة في فاس عدّوا هذه الإجراءات العمرانية، نزعة عنصرية مبنية على إقامة الحواجز بين أهل «البلاد المتخلفين» و«المعمرين المتمدنين»(٧٠).

كان أمراً طبيعياً أن تمس السياسة الفرنسية وإجراءاتها الإدارية مشاعر الشعب المغربي في الصميم. إذ تركت تلك السياسة وإفرازاتها تأثيراً مباشراً في أفكار العديد ممن نشأ وعاش في تلك الحقبة من تاريخ المغرب. وكان عبد الهادي التازي أحد هؤلاء.

ثانياً: نسبه وولادته

عرفت أسرة عبد الهادي بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحاج محمد مخا بن محمد بن عبد السلام(٧١) بانتسابها إلى مدينة تازة(٧٢).

وكما تؤكد المصادر أن الجد الأعلى لهذه الأسرة الحاج محمد، كان أول من اشتهر بلقب «مخا» نسبة إلى الميناء المعروف في اليمن وذلك لقيامه باحتكار تجارة البن اليمني الذي كان يصدّر إلى المغرب عبر الميناء المذكور(٧٣).

وكما يؤكد عبد الهادي التازي، أن أصل أسرته يعود إلى إحدى القبائل العربية اليمانية التي هاجرت إلى المغرب واستقرت في مدينة تازة(٧٤) ودخلت في خدمة الأسرة العلوية الحاكمة في

---

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٦٩) Rivet, Ibid., p. 108.

(٧٠) Jelidi, Ibid., p. 87.

(٧١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١.

(٧٢) تازة: مدينة تقع إلى الشرق من فاس، اتخذها أول سلطان علوي (السلطان رشيد) مقراً له قبل أن ينتقل إلى مدينة فاس ويتخذها عاصمة له، يذكر عبد الهادي التازي، أن هنالك ثلاث مناطق تحمل اسم تازة (تازة في مدينة لوركه الإسبانية، وتازة في مدينة كركوك العراقية، وتازة المغربية) وأن لفظة تازة باللهجة الأمازيغية (تز) تعني المنطقة كثيرة المنعرجات والمنحدرات في مختلف جوانبها، ويمتاز أهل تازة بكثرة التنقل والترحال. للتفاصيل انظر: عبد الهادي التازي، رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه السلطان مولاي عبد العزيز تتعلق بأمين الأمناء محمد (مُخا) التازي وشقيقه عبد السلام (١٢٢٩ ـ ١٣٢٢هـ/١٨٧٥ ـ ١٩٠٤م) (الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٩٧٩)، ص ١١.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٩.

(٧٤) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٤. إن علاقة اليمن بالمغرب علاقة قديمة قدم البلدين، إذ إن الكثير من العائلات اليمنية استقرت بالمغرب في مراحل مختلفة من تاريخه لأغراض سياسية وتجارية كون البلدين يمتلكان سواحل بحرية واسعة. للاستزادة حول هذا الموضوع، انظر: محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩١)، ص ١٢٩.

عهد السلطان المغربي محمد بن عبد الرحمن[٧٥]. واحتل العديد من أفرادها مواقع إدارية في بلاط السلطان الحسن الأول[٧٦] وفي بداية عهد السلطان عبد العزيز[٧٧].

تؤكد المصادر، أن أول من اشتهر من هذه الأسرة هو السيد عبد السلام الذي عرف بـ (التازي المرابط) لارتباطه بالزاوية الدلائية وهي إحدى الطرائق الصوفية وكان قد ترك مدينته تازة واستقر في فاس[٧٨]. وقام بتزويج ابنه أحمد من إحدى بنات عائلة (دادون) تدعى خديجة، لتنجب له محمداً الذي حمل في ما بعد لقب الحاج «محمد مخا» كما مر بنا.

برز الحاج محمد بعدَه من أتباع الطريقة التيجانية[٧٩]. نشط في مجال نشر الطريقة في المغرب وتشجيعها وأوقف على الزاوية التيجانية بعضاً من أملاكه، وكان يقضي معظم أوقات فراغه في خدمة الزاوية في فاس[٨٠]. وتعد الطريقة التيجانية من أبرز الطرائق الصوفية في المغرب، لذا لا غرو أن انتسب إليها العديد من العلماء الأعلام والعباد والزهاد[٨١].

وكما تشير المصادر، كان للحاج محمد ولدان. الأول من زوجته الفاسية هو الحاج أحمد الذي عرف عنه ورعه وتقواه، وظل ملازماً للزاوية التجانية في فاس ولم يغادرها مؤكداً عدم رغبته في اللحاق بإخوته الذين فضلوا الانتقال إلى الرباط[٨٢].

لم يكن محمد شقيق الحاج أحمد والمعروف باسم «مخا التازي»[٨٣]، شخصاً مغموراً، فإنه كان معروفاً في الوسط الإداري، عينَه السلطان الحسن الأول بمنصب «أمين الأمناء» عام ١٨٧٥

---

(٧٥) السلطان محمد بن عبد الرحمن (١٨٥٩ ـ ١٨٧٣): شهدت بداية عهده هزيمة المغرب أمام اسبانيا سنة ١٨٦٠، فاتجه إلى إجراء إصلاحات داخلية في البلاد لتحسين الأوضاع فيها، وكذلك شهدت مدة حكمه، تدهور العلاقات مع فرنسا، وبسبب التدخلات الأوروبية بحجة دعم الإصلاحات في البلاد، أخفق السلطان في مشروعه الإصلاحي. انظر: العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، ص ٢٤٣.

(٧٦) السلطان الحسن الأول (١٨٧٣ ـ ١٨٩٤)، شهدت بداية عهده اضطرابات داخلية، فقاد حملة للقضاء عليها. وبعد ذلك بدأ بإجراء إصلاحات داخلية وخارجية في شؤون البلاد كافة، واستطاع الحد من التدخلات الأوروبية في شؤون حكمه. انظر: انتصار جاسم سعد، «السلطان الحسن الأول ودوره السياسي في المغرب الأقصى (١٨٧٧ ـ ١٨٩٤)،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٢٩ وما بعدها.

(٧٧) التازي، رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه السلطان مولاي عبد العزيز تتعلق بأمين الأمناء محمد (مُخا) التازي وشقيقه عبد السلام (١٢٢٩ ـ ١٣٢٢هـ/١٨٧٥ ـ ١٩٠٤م)، ص ٨.

(٧٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣.

(٧٩) الطريقة التيجانية: إحدى الطرائق الصوفية الدينية التي دخلت المغرب من طريق الشيخ أحمد التيجاني، الذي لجأ إلى المغرب بعد اضطهاده ونفيه من قبل الداي عثمان صاحب ولاية وهران في الجزائر، فدخل في حماية السلطان العلوي سليمان، الذي منحه داراً في مدينة فاس وسمح له بنشر طريقته. انظر: التازي، المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٨١) المصدر نفسه، ص ١٥ ـ ١٨.

(٨٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣.

(٨٣) التازي، رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه السلطان مولاي عبد العزيز تتعلق بأمين الأمناء محمد (مُخا) التازي وشقيقه عبد السلام (١٢٢٩ ـ ١٣٢٢هـ/١٨٧٥ ـ ١٩٠٤م)، ص ٩. ومن المفيد أن نذكر أن محمد مخا التازي هو ابن الحاج محمد من زوجته الرباطية.

في فاس[٨٤] لدوره في حركة الإصلاحات والإدارية والاقتصادية في المغرب[٨٥]. وورد عنه بهذا الخصوص أنه كان من أبرز الشخصيات في البلاط السلطاني، عارفاً بأمور البلاد شديد الإخلاص للدولة العلوية وقد وصفه صاحب كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة العلوية) كالأتي:

«هذا الرجل من أمثل أهل المغرب، وأصدقهم وأنصحهم للسلطان وأشدهم غيرة عليه وعلى الدين والوطن، حتى لو كان في الدولة عشرة رجال على شاكلته لكان للبلاد النجاح التام»[٨٦].

وقد أدركه الموت وهو في ركب السلطان في فاس فدفن في زاوية الصقلين عام ١٨٩٠[٨٧].

لكن سرعان ما جرد أخاه عبد السلام من وظيفته «أمين الأمناء» التي تولاها بعد وفاة شقيقه محمد؛ فقد أصدر السلطان عبد العزيز أمراً ظهيراً» أعفى بموجبه أمين الأمناء من المناصب المنوطة به وجميع إخوته من دون المساس بمكانتهم المعنوية والمادية في البلاد[٨٨].

لم يعمّر محمد ـ جد عبد الهادي التازي ـ طويلاً؛ فقد وافته المنية وهو شاب تاركاً زوجته وابنه محمد[٨٩] وشقيقه أحمد وشقيقة واحدة هي فاطمة[٩٠] واضطرت الأسرة إلى الانتقال إلى دار تقع في «حومة العين»، إثر خلاف حصل بشأن دارهم في محلة «درب الجياد».

---

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٨٥) تناولت الإصلاحات في المغرب التي ابتدأت في عهد السلطان الحسن الأول النواحي الإدارية والقضائية والعسكرية والاجتماعية واستمرت حتى عهد ابنه السلطان عبد العزيز للحيلولة دون تدخل الدول الأوروبية في شؤون البلاد وكان من ضمن تلك الإصلاحات استحداث منصب جديد هو (أمين الأمناء) الذي كان يشرف على تسيير أمور القصر ومتابعة تعاملات السلطان مع ولاته وحفظ الكتب والرسائل السلطانية، وهو أول من استحدث مكتبة في القصر، ضمت الكتب والرسائل كافة التي تخص ملوك الدول العلوية منذ عهود قديمة. انظر: رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ص ٨٢ ـ ٨٤؛ التازي، المصدر نفسه، ص ٢٠، وسيدي محمد بنعبد الرحمن، «حركة الإصلاحات والتحديث في المغرب الأقصى (١٨٤٤هـ/١٩١٢م)،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٢٦١ ـ ٢٦٧.

(٨٦) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٥٥)، ج ٩، ص ١٦٦.

(٨٧) التازي، المصدر نفسه، ص ٩.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ١١.

(٨٩) والد عبد الهادي التازي. ومن الملاحظ أن أسرة عبد الهادي التازي كانت تطلق اسم «محمد» على الأبناء والحفدة جرياً على عادة أهل المغرب في التبرك باسم الرسول الأعظم محمد (ﷺ).

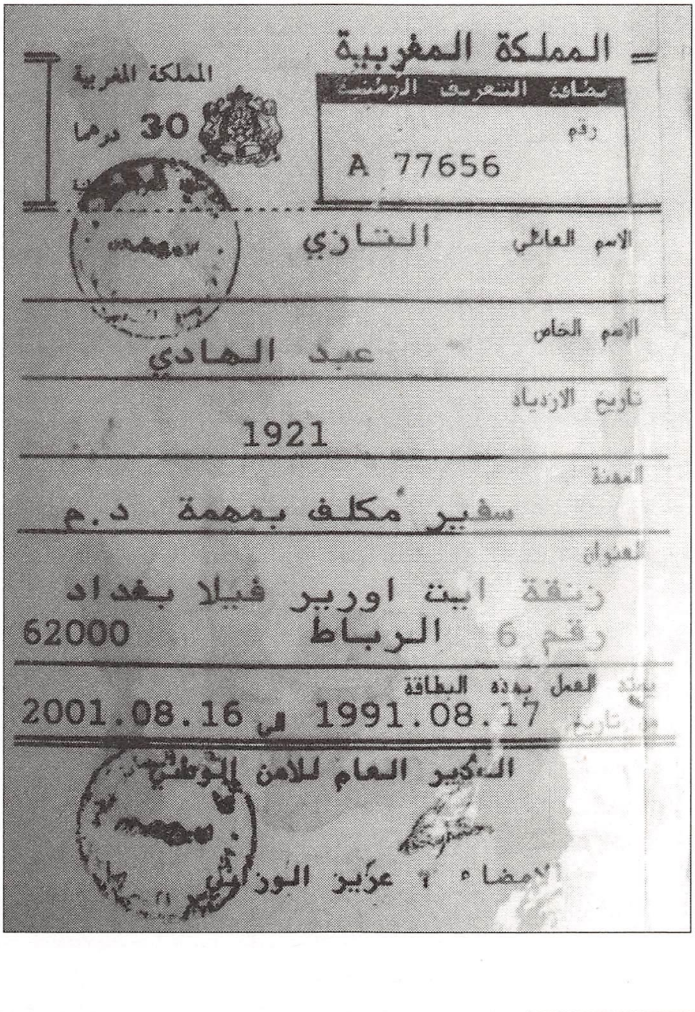
(٩٠) تزوج الحاج محمد من السيدة فاطمة بنت عبد الرحمن الأزرق، وأسرة «الأزرق» ينسب إليها إدخال المطبعة إلى المغرب.

ويُشير عبد الهادي إلى معاناة والده الحاج محمد والصعاب التي لاقتها أسرته في تأمين حاجاتها جراء الضائقة المالية، فاضطر الحاج محمد إلى مزاولة مهنة أبيه في سوق العطارين[91].

وفي مثل تلك الظروف التي مرت بها أسرة الحاج محمد، ووقوع المغرب تحت الحماية الفرنسية. ولد التازي في فاس يوم الأربعاء الموافق ١٥ حزيران/يونيو ١٩٢١. انظر الملحق الرقم (١ ـ ١) أدناه. وكانت ولادته في دار استأجرها والده في منطقة «الشراطين»[92].

الملحق الرقم (١ ـ ١)

مولد التازي في فاس يوم الأربعاء الموافق ١٥ حزيران/يونيو ١٩٢١



المملكة المغربية

بطاقة التعريف الوطنية

رقم

A 77656

المملكة المغربية

30 درهما

الاسم العائلي التازي

الاسم الخاص عبد الهادي

تاريخ الازدياد 1921

المهنة سفير مكلف بمهمة د.م

العنوان زنقة ابن اوربر فيلا بغداد رقم 6 الرباط 62000

يبتدئ العمل بهذه البطاقة من تاريخ 1991.08.17 الى 2001.08.16

المدير العام للأمن الوطني

الامضاء : عزيز الوزاني

---

(٩١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢.

(٩٢) المصدر (المخطوط) نفسه، ص ٣.

كان لعبد الهادي التازي خمسة أشقاء هم: محمد وعبد السلام وعبد الكافي[٩٣] وعبد الحكيم[٩٤] وعبد الرفيع[٩٥] وأربع شقيقات هن: زبيدة وخدوج وزهور وأم الغيث[٩٦].

نشأ عبد الهادي التازي وعاش في كنف أسرته، وقد عرف عن أسرته شدة التدين والمواظبة على الصلاة وتلاوة القرآن؛ فقد شجع محيط فاس وجوها الثقافي واتجاهها العروبي الإسلامي[٩٧] على المواظبة على قراءة الكتب الفكرية والأدبية والتي تحولت إلى واحدة من أفضل هواياته واهتماماته في الحياة.

يصف علي الصقلي، الذي عرفه عن قرب وجمعتهما علاقات صداقة حميمة أنه: «يمتلك دماثة خلق وكريم ومتواضع في العلم والمعرفة وصاحب موقف وذاكرة قوية، ويمتاز بالمزاح وصاحب طرفة، ومثابر فإنه لا يدخر أي جهد في الوصول إلى المعلومة حتى لو كانت في أي مكان»[٩٨].

ويعزز الشيخ محمد الصقلي ما ذكره زميله علي الصقلي بقوله: «جريء وذو موقف ثابت ومشرف، كذلك فإن له هواية هو حب الحمام بشكل كبير ويحب السفر والترحال»[٩٩].

تفاعل هذا الواقع الذي عاشه التازي ونشأ في جوه، مع مؤثرات عديدة أخرى داخلية وخارجية أسهمت في تكوينه الفكري، وهيأت الجو المناسب لتحركِهِ السياسي مستقبلاً.

ثالثاً: المرحلة الأولى من حياة عبد الهادي التازي، ١٩٢٧ ـ ١٩٣٦

عنى والد عبد الهادي التازي بتعليم ابنه العلوم العربية والدينية، بعد أن حرم هو من فرص التعليم، فقد تتلمذ عبد الهادي التازي في مدرسة «المسيد»[١٠٠] ليقضي فيها السنوات الأولى من تعليمه الابتدائي، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن على يد الشيخ عبد السلام الحياني. وما شجع الأسرة على الاهتمام بتعليم ابنها، عودتها إلى سكنها القديم في منطقة «حومة العين»[١٠١].

---

(٩٣) كان محمد وعبد السلام وعبد الكافي قد وافتهم المنية في مقتبل أعمارهم.

(٩٤) أكمل تعليمه في كلية الطب ويعمل جراحاً في مدينة الرباط.

(٩٥) يعمل مهندساً زراعياً في مدينة الرباط.

(٩٦) شغلت وظيفة مديرة لإحدى مدارس مدينة الرباط.

(٩٧) سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار، تحت إشراف عبد الحق عزوزي وأسماء علوي (فاس: منشورات المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٥.

(٩٨) مقابلة شخصية مع علي الصقلي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٨. أحد طلاب عبد الهادي التازي ورئيس جامعة القرويين حالياً.

(٩٩) مقابلة شخصية مع محمد الصقلي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٧. زميل التازي في القرويين ولا زال يدرس فيها وهو بصير منذ ولادته وله مواقف وطنية ضد الحماية الفرنسية.

(١٠٠) المسيد، يطلق على المدرسة القرآنية في المغرب وهو تخفيف لكلمة «المسجد» يتلقى فيه التلاميذ الصغار مبادئ الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم. انظر: فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٣١٧.

(١٠١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٦، وعبد الفتاح الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي (الرباط: مطبعة إليت، ١٩٩٢)، ص ٢٦.

وفي مدة دراسته في «المسيد»، حرص عبد الهادي على الاستزادة من الدروس الدينية، فقد كان يدرك مدى اهتمام والده بتعليمه، إذ كان يتحسس آلامه بعد أن فقد اثنين من أخوته في سن مبكرة[١٠٢].

يذكر عبد الهادي أن والده ارتبط «بعلاقة وطيدة مع شيخه في «المسيد»، وأن الشيخ حرص على تعليم ابنه في كل وقت صباحاً ومساءً حتى في فصل الصيف»[١٠٣].

ولم يكتفِ عبد الهادي بالتعلم في «المسيد»، بل أخذ يتردد، بتشجيع من والده، على المسجد المجاور للمسيد والاستزادة من العلوم على يد شيخه الحياني، والتعرف إلى رواد المسجد من طلبة الشيخ[١٠٤]. لم يكتفِ عبد الهادي التازي بما حصل عليه من تعليم في «المسيد»، فقد ألحقه والده بمجالس الشيخ «أبي شعيب الدكالي»[١٠٥]، ليرتشف من العلوم العربية والدينية وحفظ القرآن الكريم وتفسيره وحفظ الأحاديث النبوية. من هنا، فإن اهتمام عبد الهادي بأمور الدين والشريعة كان كبيراً تجسد في إتقانه علوم القرآن واستظهاره.

يقول عن ذلك إنهُ:

«توجه مع والده للسلام على الشيخ وتقبيل يده، وأعلم الشيخ بأنه استظهر القرآن فأثنى عليه الشيخ وتوقع له مستقبلاً عظيماً»[١٠٦].

جرت العادة في المغرب في الزمن الذي نشأ فيه التازي، على الاهتمام بمجالس الذكر والدروس الدينية التي كانت تقام بالقرب من أضرحة الأولياء. من هنا، حرص التازي على تلقي علوم الحديث والفقه والتفسير على يد الشيخ الحسن العراقي بزاوية الصقلين، والشيخ محمد بن عبد القادر بزاوية ضريح المولى المليلي، والشيخ محمد بن الحاج في ضريح الإدريسي، والشيخ أحمد العمراني في جامع محمد بن الفقيه[١٠٧].

شجع محيط فاس الثقافي والديني عبد الهادي التازي على المواظبة على تلقي العلوم والارتقاء بمستوى تحصيله الدراسي وقراءة الكتب التي تُعنى بالأدب والتفسير والفقه واللغة، والتي تحولت

(١٠٢) أصاب المرض شقيقَي عبد الهادي بسبب تردي الأوضاع الصحية في المغرب فلم تكن الإدارة الفرنسية تهتم كثيراً بتحسين الواقع الصحي للبلاد. وتشير الإحصائيات الطبية إلى ازدياد نسبة الوفيات في المغرب خلال فترة الحماية الفرنسية. انظر: لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ص ٢٩٦.

(١٠٣) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٨.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٧.

(١٠٥) أبو شعيب الدكالي (١٨٧٨ ـ ١٩٣٧)، ولد في فاس وأكمل دراسته في الأزهر بالقاهرة، وعاد متشبعاً بالأفكار الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا. وعُدَّ من أوائل المصلحين في المغرب الذين دعوا بالعودة إلى نهج السلف الصالح. تصدى لأصحاب الطرائق الصوفية. عين أستاذاً في القرويين عام ١٩٠٨، ووزيراً للعدل عام ١٩١٢. انظر: إبراهيم خلف العبيدي، دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (بغداد: منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٩٣ ـ ٩٤.

(١٠٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١١.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٢.

إلى واحدة من أفضل هواياته واهتماماته في الحياة. وما شجعه على إكمال دراسته، مغادرة الشيخ عبد السلام الحياني فاس في أيلول/سبتمبر ١٩٣١، إلى مدينة طنجة، وهو ما اعتاد عليه في كل سنة، لزيارة أحد العلماء هناك. وكان من عادة الشيخ الحياني أن ينوب عنه طيلة مدة غيابه الشيخ حسن الكفيف، إلا أن الشيخ أناب عنه في تلك السنة ابنه محمد[١٠٨]. ولما كان الأخير صغير السن مقارنة مع التلاميذ الذين كان قسماً منهم أكبر منه سناً، لذا لم يسلم من تعليقاتهم وتندرهم[١٠٩].

لم يطق التازي البقاء في (المسيد) والاستماع إلى دروس الشيخ محمد الذي وصفه التازي بـ «المتشبه بالفقهاء»، ولما كان يرنو إلى توسيع أفق ثقافته وتعليمه، ويعتبر أن بقاءه في «المسيد» يلزمه الاكتفاء بما تلقى فيه من الدروس، ما يتنافى وطبعه وطموحه، لذا عمد إلى التخاطب مع الشيخ بأسلوب أثار حفيظة الشيخ ودفعه إلى تأديبه بقسوة فكان هذا كافياً لأن يعرض التازي على والده رغبته في الانتساب إلى المدرسة الإسلامية. وكان رد الوالد أنه «سيحرمه من التعليم، ويزج به في مصنع الأحذية الموجود قرب دارهم»[١١٠].

جاء رد التازي أنه «يفضل العمل في مصنع الأحذية على البقاء والتعلم في هذا «المسيد»».

وهكذا عمل التازي في مصنع الأحذية مدة من الزمن، لكن ذلك لم يكن من شأنه أن يقلل من إصراره على الانتساب إلى المدرسة الإسلامية. وكان ما أراده بعد موافقة الشيخ عبد السلام الحياني الذي طلب من والد التازي تحقيق رغبة ابنه[١١١].

تلقى التازي في المدرسة الإسلامية التي كان يديرها أحمد الرجراجي، إلى جانب العلوم العربية والدينية، علوماً عصرية؛ ففيها تلقى مبادئ العلوم الرياضية وغيرها من العلوم الحديثة[١١٢].

وفي ظل رعاية والده الذي حرص على توفير أسباب الراحة ومستلزمات الدراسة، تمكن التازي من تجاوز ما لاقاه من صعاب في المدرسة بسبب حداثة بعض المواد الدراسية المقررة في مناهج المدرسة، فقد أعد لهُ مدير المدرسة دروساً خصوصية اجتازها عبد الهادي بنجاح. كما اجتاز الاختبار الأول بتفوق واضح، الأمر الذي أثار إعجاب المدير الذي أثنى عليه وقرر قيامه بتدريس التلاميذ في القسم الأول دروس التلاوة وقراءة القرآن ومادة الحساب[١١٣].

أظهر التازي خلال دراسته، قابلية جيدة على استيعاب الدروس وتحصيل العلوم التي كانت تقدم في المدرسة، لذا اختير ليتولى مهمة إلقاء الخطب والقصائد في المناسبات الدينية والوطنية،

---

(١٠٨) عبد الهادي التازي، «صفحات من مذكراتي عن مدرسة الفقيه الرجراجي،» مجلة الجواهر (الرباط)، العدد ٢٣ (أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٦)، ص ١٩.

(١٠٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٣.

(١١٠) التازي، «صفحات من مذكراتي عن مدرسة الفقيه الرجراجي،» ص ٢٠.

(١١١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٣.

(١١٢) التازي، «صفحات من مذكراتي عن مدرسة الفقيه الرجراجي،» ص ٢٠.

(١١٣) لم يكن عبد الهادي التازي قد أجاد في حصة تعلم الحساب. مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.

وساهم على نحو فاعل في نشاطات المدرسة، وكثيراً ما كان يردد قصائد الشاعر السموأل وأبن كلثوم في خطبه الحماسية، كما نال من إعجاب المحتفلين ورضا إدارة المدرسة التي منحته جوائز عديدة وشهادات تقدير[١١٤].

الأمر الذي تحول إلى عامل مهم، وساهم مع عوامل أخرى في تحديد ملامح شخصيته واتجاهه الفكري ومنطلقاته النظرية.

رابعاً: تأثير النهضة الفكرية والثقافية في بناء شخصية التازي ومنطلقاته الفكرية والسياسية حتى عام ١٩٤٣

احتلت مدينة فاس في ميدان النهضة الدينية والفكرية، مركزاً متقدماً قياساً بأقطار المغرب العربي الأخرى؛ فمنذ العهود الإسلامية تحولت المدينة إلى قبلة العلماء والمفكرين والزهّاد وطلاب العلم. وقد نشأ مفكرو فاس في مجتمع يتمتع به الدين وشعائره بالمقام الأسمى في النفوس[١١٥]، ومن ثم تعددت مراكز العلم ودور العبادة وتجاوز عدد العلماء فيها ١٧٠ عالماً وفقيهاً من مجموع ٤٠٠ عالم في المغرب[١١٦].

تزامنت دراسة التازي في المدرسة الإسلامية في تلك الحقبة الزمنية من حياته مع اشتداد حركة المعارضة الوطنية ضد الحماية الفرنسية على المغرب، في الوقت الذي كانت الأوساط المتعلمة ولا سيما في فاس تعاني من الآثار السلبية للسياسة الفرنسية في مجال التربية والتعليم وفي مجالات أخرى[١١٧].

غير أن تلك السياسة واجهت معارضة شديدة في مدن المغرب ولا سيما في فاس[١١٨] التي احتلت مكانة الصدارة في معارضة السياسة الفرنسية بأسلوب الكفاح الوطني السلمي منذ عام ١٩٢٦[١١٩]. وكان لطلاب وأساتذة جامع القرويين[١٢٠] الدور البارز في فضح أساليب سلطات الحماية الفرنسية

---

(١١٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢١.

(١١٥) روم لاندو، أزمة المغرب الأقصى، ترجمة محمد إسماعيل علي وحسين الحوت (القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦١)، ج ١، ص ١٧٩.

(١١٦) إبراهيم حسن شحاته، نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم «الحماية»: تنظير وتطبيق (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٢)، ص ٢٦٥.

(١١٧) محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر (الموصل: دار ابن الأثير، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٤٩.

(١١٨) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ١١ مج (الرباط: منشورات عكاظ، ٢٠٠٥)، مج ٢، ج ١، ص ٢٩٨.

(١١٩) لقد أدرك المغاربة بعد خسارة حرب الريف عام ١٩٢٦، التي قادها الخطابي ضد الوجود الإسباني في شمال المغرب، القدرة العسكرية للقوى المحتلة أنّه لا يمكن مواجهتها عسكرياً، لذلك اتجه التفكير نحو الحركة السياسية السلمية. انظر: داهش، المصدر نفسه، ص ٢٩.

(١٢٠) جامع القرويين، سمي الجامع بالقرويين نسبة للقيروانيين الذي وفدوا إلى مدينة فاس في القرن الثالث الهجري وجاء ذكرهم في الكتب القديمة بالقرويين للتخفيف. وكانت من بين الوافدين السيدة (فاطمة الفهرية)، والتي ترك لها والدها =

وخطورتها، تمثل في المشاركة في تأسيس الجمعيات والنوادي تحت تسميات اجتماعية وثقافية ودينية للوقوف في وجه محاولات سلطات الحماية إبعاد البلاد عن هويتها العربية الإسلامية.

وسرعان ما تحولت «القرويين»، في ما بعد، إلى مقر الحركة الوطنية ساهم في دفع زخم المعارضة ضد سلطات الحماية. وتصدر حركة المعارضة رجال أمثال أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي[١٢١] وعلال الفاسي[١٢٢]. وغيرهم من الذين تمسكوا بضرورة الرجوع إلى «السلف الصالح»[١٢٣].

= ثروة طائلة، تبرعت بجزء منها لبناء هذا الجامع عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م). ومع مرور الزمن أصبحت هذه المؤسسة الدينية مركز علم ومعرفة، جعلت من مدينة فاس أكبر المراكز في العالم للحفاظ على الكيان الإسلامي العربي في المغرب. إذ استمر جامع القرويين في رفد المغرب وبقية الدول الإسلامية في أفريقيا بالعلماء وأصحاب المعرفة، ولم يقتصر دور القرويين على الجانب العلمي فقط بل كان له دور في الحياة السياسية في المغرب من خلال الدفاع عن استقلاله والوقوف في وجه الأجنبي عبر التاريخ مما جعله محط اهتمام كل من حكم المغرب عبر التاريخ. للاستزادة انظر: جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف (٢٤٥ ـ ١٣٧٩هـ/٨٥٩ ـ ١٩٦٠م)، الكتاب الذهبي (الرباط: وزارة التربية الوطنية، ١٩٧٢)؛ دليل جامعة القرويين (الدار البيضاء: مديرية التعليم الأصيل بوزارة التعليم الوطنية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وأحمد التازي، «القرويين ودورها في ترسيخ الهوية المغربية،» (بحث مقدم لنيل الإجازة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٠٦).

(١٢١) محمد بن العربي العلوي: ولد في مدينة قصر الجديد عام ١٨٨٠ وانتقل وأسرته إلى مدينة فاس عام ١٩١٢، ويُعدّ القائد الروحي للحركة الوطنية في المغرب ممن تأثر بأفكار أبي شعيب الدكالي الإصلاحية. درس ودرّس في القرويين وعين وزيراً للعدل واستقال من المنصب بعد تقديم وثيقة الاستقلال عام ١٩٤٤، ورفض مبايعة بن عرفة بديلاً من السلطان محمد بن يوسف ما أدى إلى نفيه إلى جنوب البلاد. بعد ذلك، عاد من منفاه وظل يمارس دوره التعليمي في القرويين إلى أن توفي عام ١٩٦٤. انظر: المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ١، ج ١، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩، وظاهر محمد الصكر، «شكيب أرسلان ودوره السياسي (١٨٦٩ ـ ١٩٤٦)،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص ١٤٧، والعبيدي، دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، ص ٩٤.

(١٢٢) علال الفاسي، ولد في فاس عام ١٩١١، تخرج في القرويين عام ١٩٣٠، وعين بعد ذلك مدرساً فيها لمادة التاريخ الإسلامي وكان لمحاضراته تأثيرها الكبير في نفوس طلبة القرويين وفئات الشعب المختلفة. وبعد أن منع من التدريس في القرويين سافر إلى شمال أفريقيا ومنها إلى فرنسا وهناك اتصل بالأوساط الفكرية. وبعدها سافر إلى جنيف واتصل بالمناضل العربي شكيب أرسلان. ساهم في تأسيس أول تنظيم سياسي في المغرب، وهي كتلة العمل المغربي عام ١٩٣٢، وبعد حلها أسس الحزب الوطني عام ١٩٣٧، ثم نفي إلى الغابون. وفي العام نفسه نقل إلى الكونغو. كانت له اتصالات مع قادة فرنسا الأحرار. وبعد تأسيس حزب الاستقلال ١٩٤٤ انتخب زعيماً للحزب، عاد إلى المغرب عام ١٩٤٦، وأستأنف نشاطه السياسي، قام بجولات في الأقطار العربية والأسيوية، والأمريكيتين للدعاية للقضية المغربية، استمر نشاطه السياسي بعد الاستقلال. توفي عام ١٩٧٤ في بوخارست (رومانيا) أثناء زيارته لها. أصدر العديد من الكتب التي تعبر عن آرائه للاستزادة. انظر: سيدي محمد عبد الرحمن، «علال الفاسي ودوره في الحركة الاستقلالية في المغرب الأقصى، ١٩٢٥ ـ ١٩٥٦،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ١٤١٣هـ/١٩٩٦م).

(١٢٣) يرجع هذا التوجه الديني بجذوره إلى أفكار المصلحين المسلمين أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والتي اتخذت منحنىً أيديولوجياً لحركة فكر اجتماعي وسياسي واسع عرف هيمنته في المراحل الأولى من الكفاح الوطني السلمي ضد الحماية الفرنسية، فهي سلفية تختلف في مضمونها الاجتماعي والسياسي عن السلفية الوهابية التي ظهرت في الجزيرة العربية والتي ترتبط بقوى عشائرية ونمط متصلب، لذا كانت عملية إصلاح اجتماعي وسياسي، وازدهرت هذه الدعوة من خلال جامع القرويين من طريق دروس أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي، وعلال الفاسي. وأنتجت جيلاً من الوطنيين واكب النضال التحرري في البلاد. للمزيد من التفاصيل، انظر: علال الفاسي، «حاجتنا إلى التجديد،» مجلة المغرب الجديد، العدد ١٢ (حزيران/يونيو ١٩٣٦)، وعلال الفاسي، منهج الاستقلالية (الرباط: مطبعة الرسالة، =

وكان عبد الهادي التازي أسهم مع رفاقه، في ما بعد، في «القرويين» في النضال ضد سلطة الحماية[١٢٤].

وكما هو متوقع، فقد أثار نشاط «القرويين» ردود فعل معادية من سلطات الحماية التي أطلقت عليه تسمية «البيت المظلم»، ومما له مغزاه ما ذكره أول مقيم فرنسي في المغرب «لايوتيه» إذ قال ما نصه:

«أني لا أخاف على وضعيتنا إلا من أصحاب هذه البرانص، الذين يترددون على القرويين ليتحلق حولهم الطلبة، فيبثوا فيهم روحاً إسلامية متعصبة، قبل أن يلقنوهم دروساً في الشريعة الإسلامية»[١٢٥].

تجسدت معارضة «القرويين» والحركة الوطنية المغربية لسياسة الاستعمار الفرنسي في التصدي للظهير البربري[١٢٦]، الذي أصدره المقيم الفرنسي لوسيان سانت (Lucien Saint) في ١٦ نيسان/أبريل عام ١٩٣٠[١٢٧].

أسفر إعلان الظهير البربري»، وتصرفات إدارة الحماية الفرنسية، عن قيام حركات احتجاج واسعة في العديد من المدن المغربية، كان من أبرزها التظاهرات التي خرجت في فاس[١٢٨]. طالب المتظاهرون الذين تجمعوا في جامع القرويين بإلغاء الظهير، وكانت هذه وسيلة الفاسيين في تنبيه أذهان الناس واستنهاض هممهم لمواجهة الأزمات والأخطار، قراءة «اللطيف»[١٢٩].

= (١٩٦٢)، و: Abdullah Al-Arawi, *Les Origines sociale et culturelles de la nationalité marocaine*, 1830-1912 (Paris: Maspéro, 1977), p. 458.

(١٢٤) التازي، «القرويين ودورها في ترسيخ الهوية المغربية،» ص ٦٦.

(١٢٥) قدور الورطاسي، ذكريات الدراسة في فاس (الدار البيضاء: دار الطباعة الحديثة، [د. ت.])، ص٥٠.

(١٢٦) نص الظهير الذي عرف بالظهير البربري على جعل إدارة المنطقة البربرية تحت سلطة الإدارة الفرنسية، فيما تبقى المناطق العربية تحت حكم السلطان المغربي وبموجبه يتم إنشاء محاكم على أساس العرف والعادة المحلية للبربر، بدل الشريعة الإسلامية، وكان البربر يشكلون حوالى نصف سكان المغرب في تلك الفترة، وينتشرون في بلاد الريف وجبال الأطلسي. جاء إصدار هذا القانون ضمن سياسة فرنسية عرفت بـ «السياسة البربرية» التي تركز على أن البربر «ذو إسلام سطحي»، فهم ما زالوا محتفظين بكثير من عاداتهم القبلية، وهؤلاء يمكن «تنصيرهم» بعد خلق فجوة بينهم وبين العرب، وبهذا فمن الضروري على فرنسا أن تعطي فرصة لنمو مشاعر التمايز بين عنصري الأمة بعد إبعاد البربر عن الإسلام واللغة العربية، ولم يمض وقت طويل على إصدار هذا الظهير، حتى فتحت الإدارة الفرنسية مدارسها في المناطق البربرية لتشجيع النزعة الانعزالية، ومنع الحديث باللغة العربية، وكذلك منع دروس التاريخ التي تتحدث عن العرب والإسلام، والتركيز على إعطاء فكرة على أن العرب هم «غزاة» وإن البربر أصحاب البلاد الأصليين، وأنهم قريبون من الحضارة الأوروبية. للتفاصيل انظر: «ملفات مكتبة الجامعة الأردنية،» (كلمة محمد مكي الناصري مندوب مراكش في المؤتمر الإسلامي العام في القدس عام ١٩٣١، الوثيقة المرقمة ٤٦٩٦٤).

(١٢٧) لقمان صالح أحمد القطان، «سياسة فرنسا البربرية وأثرها في الحركة الوطنية المغربية،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٦١.

(١٢٨) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط ٤ (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٠)، ص ١٤٥.

(١٢٩) «اللطيف»: كان من عادة المغاربة، إذا ما تعرضوا إلى مصيبة أو خطر، حضور المساجد، والابتهال إلى الله أن يدفع عنهم غائلة العدوان والظلم. انظر: القطان، المصدر نفسه، ص ٧٤.

أدرك قادة الحركة الوطنية أهمية قراءة «اللطيف» في جامع القرويين لدعم الحركة، وتأثيرها بصورة ملموسة في جمع شمل المغاربة، وحمل راية المعارضة ضد الظهير البربري(١٣٠).

بلغ سخط الجماهير الشعبية على فرنسا وقواتها وإدارة الحماية بعد قراءة «اللطيف»، وإصرار المقيم العام على تطبيق الظهير الذي عد طعناً في الآمال الوطنية والوحدة الدينية، ما أدى بالنتيجة إلى استمرار التجمعات والتظاهرات المنددة بالظهير بلغت ذروتها يوم ١٨ تموز/يوليو ١٩٣٠(١٣١)؛ ففي ذلك اليوم، تجمع المتظاهرون أمام ضريح «المولى إدريس»(١٣٢) ثم توجهوا نحو مقر حاكم مدينة فاس «البغدادي»(١٣٣)، ولم تتوقف التظاهرات إلا بعد أن أمر الحاكم جنوده بضرب المتظاهرين والقبض على بعضهم وجلدهم، الأمر الذي أحبط جهود زعماء الحركة الوطنية في فاس(١٣٤).

لمس عبد الهادي التازي، الذي كان ممن ساهموا في التظاهرات بحماسة بالغة، الكثير من آثار سياسة المقيم العام، ولم تكن خيبة آماله هينة عليه وهو يرى كيف تعرض المتظاهرون إلى الضرب والاعتداء، الأمر الذي انعكس على وضعه النفسي، لذا آثر الانزواء في إحدى الدور المجاورة. يروي التازي بهذا الصدد ما نصه: «بدأت أبحث عن أسباب الاحتلال الفرنسي للمغرب: هل هي بفعل قوة المحتل الأجنبي وأطماعه أو ضعف المغاربة؟»(١٣٥). وإثر أحداث فاس، أصدر القائد الفرنسي في المدينة «ميلي» (Meele) منشوراً موجهاً إلى الأهالي مبرراً إجراءات الإدارة الفرنسية وإصدارها للظهير البربري، وبأنها جاءت لغرض تنظيم القضاء القديم وصحة إسلام البربر(١٣٦).

كان من الطبيعي أن تعبر الحركة الوطنية عن معارضتها إجراءات الحماية الفرنسية بالدعوة إلى مقاطعة البضائع الأجنبية ولا سيما الفرنسية منها. ومن هذا المنطلق امتنع التازي عن شراء الشاي والسكر المستوردين من قبل تجار فرنسيين وخلع الطربوش وارتدى العمامة بدلاً منه(١٣٧).

ومن جانب آخر، تركت المطبوعات والصحف والدوريات المختلفة الصادرة في فاس ومدن المغرب الأخرى بعض الأثر في التطور الفكري لدى التازي؛ فظهرت صحف ودوريات مثل مجلة

---

(١٣٠) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ٢، ج ١، ص ٢٨٩.

(١٣١) لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ص ١٨١.

(١٣٢) يعده الفاسيون مؤسساً مدينتهم.

(١٣٣) القطان، «سياسة فرنسا البربرية وأثرها في الحركة الوطنية المغربية،» ص ٧٤.

(١٣٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٣.

(١٣٥) سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار، ص ٢٠.

(١٣٦) القطان، «سياسة فرنسا البربرية وأثرها في الحركة الوطنية المغربية،» ص ٧٥.

(١٣٧) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٤. من المفيد أن نذكر أن لبس الطربوش هو تقليد عثماني، وأن الطرابيش كانت تصنع في فيينا (عاصمة النمسا)، استجابة لرغبة رعايا الدولة العثمانية.

السلام التطوانية[١٣٨] وصحيفة عمل الشعب (*L'Action du Peuple*) الأسبوعية[١٣٩] التي كان يزوده بها «عمه أحمد» وصحيفة السعادة[١٤٠] التي كان يجلبها للتازي جاره «حسن الدباغ»[١٤١]، ساهم فيها العديد من رجال الحركة الوطنية أمثال علال الفاسي ومحمد داود وغيرهم. وإن خير دليل مقنع على ما تركته مجلة السلام وصحيفتا عمل الشعب والسعادة ، من تأثير في عبد الهادي التازي، أنه كان يقرأ كل عدد يصدر من المطبوعات الثلاث، وأن بعض كتابات وقصائد علال الفاسي في السلام[١٤٢]، قد بقيت عالقة في ذهن التازي، ليجد طريقه بعد ذلك في أحاديثه مع الطلاب في المدرسة الإسلامية[١٤٣].

إن أحاديث التازي في المدرسة الإسلامية وتعليقه على ما تنشره صحيفة عمل الشعب، ينم عن بزوغ اتجاه جديد في تفكيره يتمحور في دور تحرري واضح. ومهما يكن من أمر، فقد عد مدير المدرسة أحمد الرجراجي نشاط التازي إخلالاً في نظام المدرسة ما سيجلب أنظار الإدارة الفرنسية في فاس ويثير غضبها، ويمكن أن يؤدي، في رأي المدير، إلى إقفال المدرسة، ومحاسبة القائمين عليها[١٤٤]، ولا سيما أن الإدارة الفرنسية كانت قد أصدرت في ١٠ نيسان/أبريل عام ١٩٣١ «ظهيراً» نص على «تأديب المدرسين والموظفين والطلبة في القرويين أو خارجها في حالة إلقائهم دروساً أو خطباً أو تحرير مقالات ومنشورات من شأنها إثارة أفكار الطلبة، وتوجيه تهمة الانخراط بحزب سياسي، ما يعني تعرضهم للعقوبات، والفصل النهائي، والمنع من الحقوق العلمية، والمنع من الوظيفة»[١٤٥].

---

(١٣٨) مجلة السلام: بدأت بالصدور في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٣٣، في المنطقة الخاضعة للسيطرة الإسبانية وباللغة العربية ساهم فيها محمد داود أحد قادة الحركة الوطنية هناك وكانت توزع في المدن المغربية ومنها فاس أسهمت في أهداف الحركة الوطنية المغربية الأمر الذي دفع سلطات الحماية الفرنسية إلى ممارسة الضغط على الإدارة الإسبانية لحصر أعداد المجلة في المنطقة الخاضعة للإسبان. انظر: Jamaâ Baida et Jean-Claude Allain, *La Presse marocaine d'expression française: Des origines à 1956* (Rabat: Faculté des lettres et des sciences humaines, 1996), p. 67.

(١٣٩) أصدرها في فاس باللغة الفرنسية في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣، محمد بن الحسن الوزاني، وصاحب امتياز الصحيفة جورج هربر فرنسي الجنسية وكانت سلطات الحماية الفرنسة لا تسمح للمغاربة بإصدار الصحف في المناطق الخاضعة للإدارة الفرنسية، ساهمت الصحيفة في تحريك أذهان المغاربة إلى قضايا الوطن والأمة، ويبدو أن الصحيفة جلبت أنظار سلطات الحماية فأمرت بتعطيلها للمرة الأولى. ثم أوقفتها للمرة الثانية في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣، قبل أن توقفها نهائياً في المرة الثالثة في آذار/مارس ١٩٣٤. انظر: المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٤٠) صحيفة السعادة، أصدرها الفرنسيون باللغة العربية في طنجة عام ١٩٠٥ بإشراف القنصلية الفرنسية للدفاع عن مصالحهم ضد المنافسة الأوروبية. وبعد فرض الحماية الفرنسية انتقلت إلى الرباط تحت إشراف الإدارة الفرنسية. وعُرفت بمواقفها المؤيدة للسياسة الفرنسية في المغرب ما اعتبرها الوطنيون ضد مصالح البلاد، ومع ذلك فإن بعض رجال الحركة الوطنية نشر مقالات عامة بها لإيصال صوتهم إلى الرأي العام. انظر: المصدر نفسه، ص ٣٥.

(١٤١) الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٢٦.

(١٤٢) نظم علال الفاسي قصيدة « نموت ليحيى الوطن »ونشرها في مجلة السلام ومطلعها:

لـــذة الـــعـــيـــش حـــيـــاة الـــوطـــن وفـــــداء مـــن صـــــروف الـــزمـــن

(١٤٣) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥.

(١٤٤) المصدر نفسه، ص ١٦.

(١٤٥) عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة (الرباط: المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧)، ص ١٥٩ ـ ١٦٤، وعبد الهادي التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ٣ ج (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢)، ج ٣، ص ٧٥٩.

يبدو أن تطلعات التازي الفكرية دفعته إلى محاولة تعلم اللغة الفرنسية في إحدى المدارس العمومية الفرنسية. فقد شهدت المدن المغربية ومنها فاس في تلك الحقبة الزمنية ازدياداً ملحوظاً في عدد المدارس الفرنسية، وإقبالاً من الدارسين على تلك المؤسسات[١٤٦].

عرفت المغرب أنواعاً كثيرة من المدارس العمومية الفرنسية منها المدارس الفرنسية الخاصة بالجالية الفرنسية والمدارس الخاصة بالأقلية الأوروبية.

أما المدارس الفرنسية الخاصة بالمغاربة فتقسم إلى فئتين: **الأولى**، تضم المدارس (العربية والحضرية) مثل مدرسة ابن عدس في فاس. أما **الثانية**، فهي خاصة بأبناء الأعيان[١٤٧].

وما شجع التازي على المضي في الانتساب إلى إحدى المدارس العمومية الفرنسية، انتشار الصحف والمنشورات باللغة الفرنسية ذات التوجه الوطني. لذا سعى إلى تعلم اللغة الفرنسية حتى يجد متنفساً لما يجيش في صدره، وتكون أداة تعبيره تعكس نزوعه إلى الحرية والاستقلال.

وضمن هذا الإطار، انتسب التازي إلى المدرسة العمومية الفرنسية في «درب بني عدس»[١٤٨].

لم يكن بوسع التازي الاستمرار بالدراسة في المدرسة الفرنسية بعد أن علم به والده الذي عنفه بشدة وعمد إلى إخراجه من قاعة الدرس قائلاً له «أتريد أن تتعلم الكفر؟»[١٤٩] ومستشهداً بحادثة اعتناق أحد أفراد أسرة «محمد عبد الجليل» الفاسية المسيحية. وإزاء هذا قرر التازي العودة إلى الدراسة في المدرسة الإسلامية[١٥٠]. وما لا شك فيه أن المدارس العمومية التي أنشأتها إدارة الحماية الفرنسية، كانت تمثل أهم القنوات التي نفذت من خلالها الثقافة الفرنسية وخططت فرنسا في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي[١٥١]. ومع بروز دور المدارس العمومية الفرنسية، تضاءل دور المؤسسات التربوية التعليمية الوطنية ولاسيما أن الإدارة الفرنسية عمدت إلى تهميش دور تلك المؤسسات والمدارس[١٥٢] ومنها المدارس الحرة والإسلامية والقرويين وابن يوسف[١٥٣].

---

(١٤٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧.

(١٤٧) محمد الناصري، «رحلة محمد الخامس إلى طنجة ٩ ـ ١٣ أبريل ١٩٤٧،» (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٠٥)، ص ٢٥٣.

(١٤٨) الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٢٨.

(١٤٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧.

(١٥٠) هو شقيق عمر عبد الجليل أحد قادة الحركة الوطنية في المغرب. كان والدهما يعمل مدرساً للقرآن الكريم في «المسيد». ارتد ابنه محمد عن الإسلام واعتنق المسيحية بعد أن أنهى دراسته في المدرسة العمومية الفرنسية وأوفد إلى فرنسا لإكمال دراسته هناك. ما أثار غضب والده وعد ذلك تدنيساً لشرفه. انظر: فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٤٢٥.

(١٥١) محمد عابد الجابري، «المدرسة المغربية ووظيفتها الإيديولوجية،» مجلة الأقلام (الرباط)، العدد ٩ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥)، ص ٩ ـ ١٥.

(١٥٢) كانت تسمى المدارس الوطنية والدينية بـ«العتيقة».

(١٥٣) محمد بلكبير، المنهاج التربوي بالمدرسة المغربية زمن الحماية: الأسس والوظائف، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م (الرباط: دار النشر المعرفة، ٢٠٠٣)، ص ٥٧.

ولكن من المهم أن نلاحظ أن الكثير من الأسر المغربية لم تكن ترغب في تسجيل أبنائها في المدارس الفرنسية حفاظاً على الهوية العربية والثقافة الإسلامية لها[١٥٤].

وفي مثل هذه الظروف، كان من الطبيعي أن تترك زيارة السلطان محمد بن يوسف[١٥٥] إلى مدينة فاس في ٩ أيار/مايو عام ١٩٣٤، أثرها في إشعال جذوة الحماسة الوطنية لدى أهالي المدينة. والمؤشر المهم لذلك، هو حشود الجماهير التي خرجت لاستقباله وشارك فيها معظم أبناء المدينة. كما جرى تنظيم فعاليات خطابية للترحيب به، ساهم فيها طلاب المدارس الوطنية والدينية. وكان عبد الهادي التازي في طليعتهم، وقد أدى نشيداً وطنياً مطلعه «يا مليك المغرب يا بن عدنان الأبي»[١٥٦].

ومن الجدير بالذكر، أن سلطات الحماية طلبت من السلطان محمد الخامس، في محاولة منها إرغامه على الخروج من فاس، الامتناع عن التوجه إلى جامع القرويين لأداء صلاة الجمعة. كما طلبت منه اعتقال عدد من رجال الحركة الوطنية بحجة قيامهم بتمزيق العلم الفرنسي لدى مرور موكب السلطان في شوارع لمدينة[١٥٧].

كان أمراً طبيعياً أن تمس مطالب الإدارة الفرنسية مشاعر السلطان في الصميم، لذا امتنع عن الصلاة في جامع القرويين بوجود الحرس الفرنسي، كما لم يأمر باعتقال أي أحد من المواطنين من أهالي فاس، وقرر مغادرة المدينة[١٥٨].

تركت مجمل هذه التطورات آثارها على أوضاع مدينة فاس ولا سيما بعد أن قامت سلطات الإدارة الفرنسية بتضييق الخناق على الحركة الوطنية، فأمرت بإغلاق الصحف الوطنية ومنها صحيفة عمل الشعب ومنعت دخول مجلة السلام، وصادرت الأعداد المتوافرة منها في المدينة[١٥٩].

لا شك في أن إجراءات الإدارة الفرنسية كان لها صدى مؤثر في أوساط المثقفين وطلاب المدارس الإسلامية ومنهم عبد الهادي التازي، فكان ذلك بمثابة نقطة تحول وبداية درب جديد بالنسبة إليه.

---

(١٥٤) ديمس جون جيمس، حركة المدارس الحرة في المغرب، ١٩١٩ ـ ١٩٧٠، ترجمة السعيد معتصم (مراكش: منشورات تانسيفت، ١٩٩١)، ص ٢٢، وعلي منير العلوي، محمد الخامس... ورأيناه في القمر (الدار البيضاء: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٣)، ص ١٩.

(١٥٥) محمد بن يوسف: ولد عام ١٩٠٩، وهو أصغر أشقائه سناً. امتاز بالذكاء والهدوء، وحسن التصرف. تتلمذ على يد معلم لبناني في مقتبل عمره، تلقى دروساً في الدين والتربية الإسلامية والفقه والتاريخ. وعندما توفي والده يوم ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٧. اختير من قبل الصدر الأعظم لمبايعته بدلاً من شقيقه الأكبر، وذلك بضغط من فرنسا التي كانت تهدف إلى السيطرة عليه لصغر سنه. وعين الصدر الأعظم وصياً عليه. انظر: محمد العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٧٥)، ص ٢ وما بعدها.

(١٥٦) وقع الاختيار على التازي من قبل العزيز الوزاني أحد رجال الحركة الوطنية. انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧.

(١٥٧) عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الغرب (الرباط: البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ١٦٣.

(١٥٨) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(١٥٩) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٤٦٨.

وفي هذا الاتجاه، بدأ التازي يناقش مع زملائه الأمور المتعلقة بسياسة الإدارة الفرنسية، وكان يُسطر آراءه ومواقفه على جدران المدرسة، الأمر الذي دفع مدير المدرسة إلى تأديبه ومعاقبته(١٦٠). هيأت هذه المعطيات، على ما يبدو، ذهن عبد الهادي التازي لتقبل فكرة اختمرت في ذهنه، مفادها ضرورة ترك المدرسة الإسلامية والانتقال للدراسة في «مدرسة النجاح» من المدارس الحرة(١٦١).

بتشجيع من والده انتسب عبد الهادي إلى مدرسة النجاح المجاورة لجامع القرويين في ٢٠ أيار/مايو١٩٣٤ والتي يديرها أبو شتى الجامعي(١٦٢). قضى التازي ردحاً من الزمن في مدرسة النجاح يرتشف من العلوم العربية والدينية، فقد تتلمذ على يد أفضل المدرسين كان من بينهم الهاشمي الفيلالي(١٦٣) وعبد الهادي الشرايبي(١٦٤). صقل محيط مدرسة النجاح وجوها التعليمي مواهب التازي في التعليم، شأنه في ذلك شأن العديد من أقرانه في المدرسة. من هنا، كان اهتمام التازي بالمناهج الجديدة التي كانت تدرس في المدرسة كبيراً، تجسد في إتقانه تعلم علوم النحو والصرف والنقد والبلاغة والتاريخ والجغرافيا(١٦٥).

---

(١٦٠) كان عبد الهادي التازي يكتب الشعارات الوطنية التي تدعو إلى حب الوطن والدفاع عنه ومحاربة الاستعمار مثل «نموت ويحيى الوطن ويسقط الظلم». انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢١.

(١٦١) أسست المدارس الحرة على يد رجال الحركة الوطنية المغربية رداً على سياسة الإدارة الفرنسية التعليمية الهادفة إلى نشر الثقافة والفكر الفرنسي. تولى التدريس في المدارس الحرة نخبة من الوطنيين من حملة الفكر العربي الإسلامي، وتضمنت مناهجها دراسة القرآن الكريم وعلومه والحديث النبوي واللغة العربية والتاريخ العربي الإسلامي وتاريخ المغرب. انظر: جيمس، حركة المدارس الحرة في المغرب، ١٩١٩ ـ ١٩٧٠، ص ٢٤، والعبيدي، دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، ص ٩٨.

(١٦٢) أبو شتى الجامعي: ولد في فاس عام ١٩٠٥، وتخرج في القرويين. يعد من مؤسسي الحركة الوطنية، ومن مؤسسي كتلة العمل الوطني، ومن قادة حركة التعليم العربي الإسلامي. تصدّت للسياسة التعليمية الفرنسية. قام بتدريس الخلايا الطلابية في فاس بشكل سري بعد أن منع من التدريس، ثم منع من دخول فاس التي كان يزورها سراً. تعرض للاعتقال عام ١٩٢٨ وتكرر اعتقاله خمس مرات. وبعد الاستقلال عين عضواً في المجلس الرئاسي. انظر: قائمة الشرف: تراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال ١١ يناير ١٩٤٤ (الرباط: منشورات حزب الاستقلال، لجنة الإعلام والنشر، ١٩٨٨)، ص ١٦ ـ ١٧.

(١٦٣) الهاشمي الفيلالي: ولد في مدينة فاس عام ١٩١٢، أكمل دراسته في القرويين ويعد من قادة الحركة الوطنية الأوائل في فاس. أصدر عام ١٩٢٨ جريدة سرية بعنوان الإرشاد. من مؤسسي كتلة العمل الوطني، ومن واضعي خطط التعليم العربي الإسلامي في المدارس الحرة، عمل في إدارة وتسيير مدرسة النجاح. تعرض للاعتقال عام ١٩٣٦. كان من الموقعين على وثيقة الاستقلال عام ١٩٤٤، مما عرضه للاعتقال عام ١٩٤٤. وبعد الاستقلال، انتخب نائباً في المجلس التأسيسي عن الدار البيضاء، وفي عام ١٩٨٢ عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية، ثم مستشاراً للملك الحسن الثاني. انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

(١٦٤) عبد الهادي الشرايبي: ولد في فاس عام ١٩١٠، وتخرج في القرويين. ويعد من رواد حركة التعليم العربي الإسلامي وانشأ المدارس الحرة. انضم إلى الحزب القومي بعد حدوث الخلاف داخل كتلة العمل الوطني إلى جانب محمد بن الحسن الوزاني. أصدر مجلة الثقافة المغربية عام ١٩٤٢. انضم إلى حزب الشورى والاستقلال عام ١٩٤٤. طالب بإصلاح النظام التعليمي والإداري في جامع القرويين. بعد الاستقلال عمل في السلك الدبلوماسي المغربي. توفي عام ١٩٨٧. انظر: عبد الهادي الشرايبي، ثمن الحرية، التاريخ؛ ٩ (الرباط: دار المغرب، ١٩٧٨)، ص ٥٠ ـ ١٣٩، ومحمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب (الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٨٣)، ج ٣: الفترة المعاصرة، ١٧٩٠ ـ ١٩٣٠، ص ٤٣.

(١٦٥) مذكرات عبد الهادي التازي، (مخطوط)، ص٢٠٠.

ومن جانب آخر، تركت زيارة التازي إلى مدينة الرباط برفقة والده في ٧ أيلول/سبتمبر عام ١٩٣٤[١٦٦]، وتعرفه إلى سير الدراسة في مدارس الرباط، ومنها مدرسة جسوم النموذجية، تحت إدارة أحمد بلافريج[١٦٧] وضمت الكثير من رواد الحركة الوطنية، تركت بعض الأثر في نفس التازي، فقد مهدت تلك المدرسة الطريق أمامه ليتعرف على منجزاتها في مجالات العلم والفكر، والحلقات الدراسية في مناقشة القضايا العامة.

إنّ خير دليل مقنع على ما تركته مدرسة جسوم النموذجية من تأثير في التازي، أن مديرها توجه بالسؤال إلى زائريه عمّا إذا كانت المدارس معطلة في فاس ولما جاءه الجواب بالنفي علقّ بلافريج قائلاً: «إن الدروس كحلقة السلسلة إذا فقدت منها واحدة صعب جمعها مرة أخرى»[١٦٨].

بعد أن لبث التازي في مدرسة النجاح مدة عامين من الزمن عاد بعدها لإكمال دراسته في المدرسة الإسلامية وبعد تخرجه فيها بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٣٥ منح شهادة «الرضى» التي تؤهله للانتساب إلى نظام القرويين التعليمي[١٦٩].

الجدير بالذكر أن مدير المدرسة الإسلامية كتب في الشهادة الممنوحة للتازي مقدمة صغيرة مخاطباً فيها والد التازي ما نصه:

«إننا نبارك بتقدم نجلك الذكي السيد عبد الهادي أصلحه الله في المحفوظ القرآني والفنون العربية والدينية بلغ فيها المرتبة الخامسة» (الملحق الرقم (١ ـ ٢)).

تأهب عبد الهادي التازي بعد أن أكمل تحصيله الدراسي في المدرسة الإسلامية للالتحاق بجامع القرويين كأحد طلابها لغرض إكمال دراسته العالية. وبمقتضى نظام القبول في القرويين، عليه أن يخضع لاختبار شفهي من مشايخ المجلس العلمي في القرويين قبل أن يحوز على مقعد في المرحلة الثالثة من القسم الأول[١٧٠].

(١٦٦) الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٢٧.

(١٦٧) أحمد بلافريج: ولد عام ١٩٠٨ في مدينة الرباط أكمل دراسته الأولية فيها، والثانوية في القاهرة، وحصل في باريس على لسانس آداب من جامعة السوربون. شارك في كتلة العمل الوطني. وفي عام ١٩٣٧ عين أميناً عاماً للحزب الوطني (الذي ترأسه علال الفاسي) تميز بنشاطه السياسي خارج المغرب للتعريف بالقضية المغربية، فقد سافر إلى ألمانيا وإسبانيا وفرنسا وأمريكا لهذا الغرض. وحصل على جواز سفر باكستاني كأحد أعضاء الوفد الباكستاني في الأمم المتحدة للدفاع عن القضية المغربية. عين بعد الاستقلال رئيساً للوزراء عام ١٩٥٨ ووزير خارجية في عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٣. انظر: أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج، الدبلوماسي المحنك: ملامح من سيرته ونماذج من إنتاجه (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٦٩)، ص ٢١ وما بعدها.

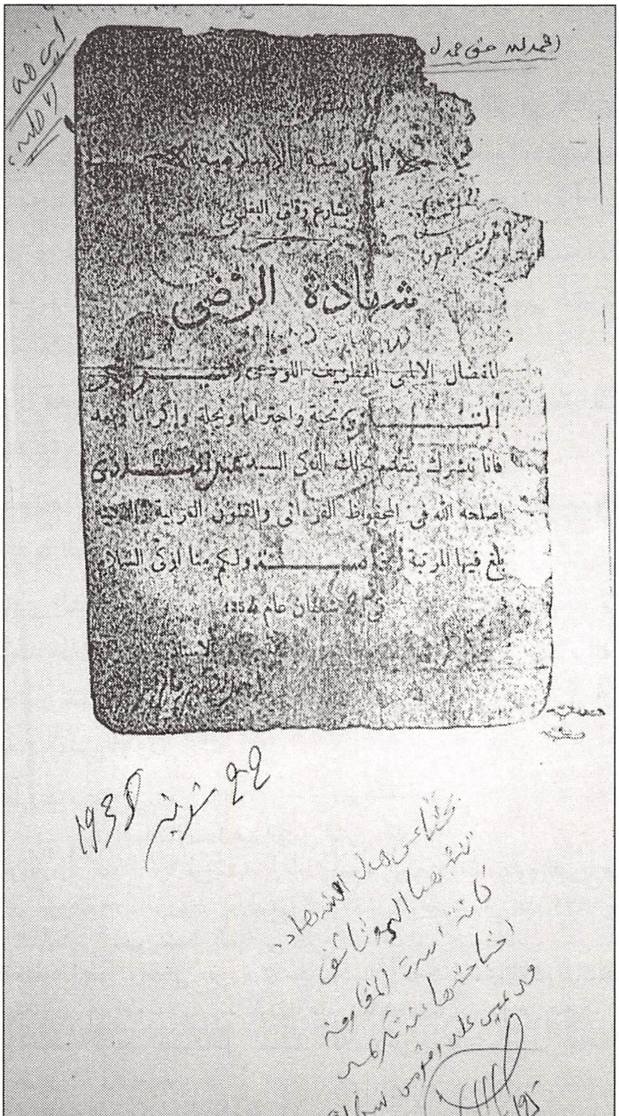
(١٦٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٢.

(١٦٩) كانت نظرة مسؤولي وأساتذة جامع القرويين إلى المدارس الحرة على أنها مدارس تغريبية ذات طابع علماني حتى أن الكثير من المفردات مثل النظام والدستور وفصل الدين عن الدولة وجدت طريقها بين أوساط المتعلمين فيها. انظر: العبيدي، دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، ص ٩٩.

(١٧٠) نظام التعليم في القرويين، يقسم إلى ثلاثة أقسام للتعليم. الأول (ابتدائي)، ويدرس فيه الأدب العربي والفقه. والقسم الثاني، يدرس فيه إضافة إلى إكمال دروس القسم الأول، الفلك، والمنطق. والقسم الثالث، يقسم إلى فرع أدبي وفرع شرعي، يدرس فيهما الطالب التاريخ والجغرافية والأدب العربي في الفرع الأدبي. أما الفرع الشرعي، فيدرس فيه =

الملحق الرقم (١ ـ ٢)

مدير المدرسة الإسلامية كتب في الشهادة الممنوحة للتازي مقدمة صغيرة مخاطباً فيها والد التازي


المدرسة الإسلامية
بشارع زقاق البغل
شهادة الرضى
للفاضل الأمثل [illegible]
التازي تحية واحتراما وتجلة وإكراما [illegible]
فانا نبشرك بتقدم [illegible] السيد [illegible]
أصلحه الله في المحفوظ القرآني والفنون [illegible]
بلغ فيها المرتبة [illegible] ولكم منا [illegible] السلام
في [illegible] شعبان عام 1354
الأستاذ

= إضافة إلى ذلك، الشريعة والفقه الإسلامي. يحق للمتخرج في الفرع الأدبي العمل كخطيب وإمام جامع، أما المتخرج في الفرع الشرعي، فيحق له العمل كقاضٍ أو مدرس. انظر: التازي، **القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، ص ٧٥٧.

كان عبد الهادي التازي مؤهلاً للالتحاق ضمن المرحلة الأولى من القسم الثانوي، وهي مرحلة متقدمة قياساً بالمرحلة الثالثة من القسم الأول، بما عرف عنه من عزيمة ورغبة في اختصار الزمن في مجال التعلم. وعلى ما يبدو، استجاب المجلس العلمي لرغبته، وعُرض للاختبار أمام رئيس المجلس الشيخ الفقيه الشريف التاكناوني الذي أجاز له الانتساب إلى نظام جامع القرويين التعليمي في ٢٤ أيار/مايو ١٩٣٦[١٧١].

ومن دون شك، ساهمت دروس علال الفاسي التي كان يلقيها على طلبة القرويين[١٧٢]، ومن ضمنهم التازي، في تعبئتهم ضد مساوئ الإدارة الفرنسية، وفي تنمية الوعي السياسي والفكري لديهم. والسعي إلى نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، والرجوع إلى السلف الصالح والاهتمام بدراسة السيرة النبوية والعلاقة الوثيقة بين السياسة والتاريخ[١٧٣]، وعوامل تقدم الأولين وانحطاط المتأخرين[١٧٤] وانتقاده أدعياء التصوف والزهد لأنهم أدخلوا شعائر مخالفة للإسلام. ولأنهم اتخذوا موقفاً سلبياً من ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي[١٧٥].

بلغ أعجاب التازي بطروحات علال الفاسي، ولا سيما في ما يتعلق بالطرائق الصوفية، إلى الحد الذي أثار غضب أحد أقربائه، وهو ابن عم أبيه، في مدينة الرباط خلال زيارته له، فقد أجاب التازي عن سؤال طرحه قريبه بشأن رأي الشباب في فاس بشيخ الطريقة التيجانية، قائلاً إنهم ينعتونه «بالجهل والشعوذة واستغلال الناس»[١٧٦]؟ وذاكراً له أن لدى مدير مدرسة النجاح الحرة في فاس كتاب **مشتهى الخارف الجاني في رد زلفات التيجاني الجاني**[١٧٧].

لكن موقف التازي من شيخ الطريقة التيجانية في فاس كان يمثل حالة استثنائية؛ في حين ميزً بين من يدعي التصوف وهو بعيد عن الزهد وتقاليد الصوفية، وبين الكثير من أتباع الطريقة التيجانية ممن حملوا راية الوطنية وكانت لهم مواقف مشرفة في مقارعة الاستعمار والتصدي للسياسة الفرنسية في المغرب[١٧٨]. تلقى التازي في السنة الأولى من التحاقه بالقروين عام ١٩٣٦، العلوم العربية في الأدب واللغة والقواعد والبلاغة وعلوم الفقه والحديث والمنطق والتوحيد؛ فضلاً عن

---

(١٧١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٦.

(١٧٢) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٥٤، ولاندو، أزمة المغرب الأقصى، ص ١٨٠.

(١٧٣) محمد السلوي أبو عزام، أسرار وحقائق عن علال الفاسي (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ١٣.

(١٧٤) الفاسي، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(١٧٥) المصدر نفسه. وكان محمد بن عبد الكريم الخطابي قد قاد الكفاح الوطني ضد المستعمرين الإسبان في شمال المغرب عام ١٩٢١ ولم تتمكن إسبانيا من إخضاعه إلا بعد أن استعانت بالقوات الفرنسية وتم نفيه إلى جزيرة «ريونيون» الفرنسية. للتفاصيل عن ثورة عبد الكريم الخطابي وجمهورية الريف. انظر: «الخطابي رجل بلا ثمن،» مجلة الوطن العربي (باريس)، العدد ٤٥٥ (آب/أغسطس ١٩٨٥)، ص ١٦ ـ ٣٩.

(١٧٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٦.

(١٧٧) الكتاب من تأليف محمد الخضر الشنقيطي مفتي المالكية في المدينة المنورة آنذاك.

(١٧٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٧.

علوم الحساب والتوقيت (الفلك) والهندسة، وكان من بين من تتلمذ على أيديهم، الشيخ محمد بن عبد الرحمن العراقي، الحسن الزهروني، محمد بن الهاشم العلوي، محمد بن عبد السلام البناني، محمد بن إبراهيم، ومحمد بن عثمان الشاهي[١٧٩].

كان أمراً طبيعياً أن تترك ملامح التازي، وصفاته الشخصية تأثيرها في توجهاته العلمية والفكرية؛ فقد آثر الاستزادة من العلوم، وتجسد ذلك في إقباله على دروس إضافية على يد أحمد الشيبي وعمر العراقي وعبد العزيز العراقي وأحمد بن يوسف الفاسي وعلال الفاسي[١٨٠].

كان التازي مؤهلاً للبروز في ميدان العلم بما عرف عنه من جدية في الدراسة والحرص على تحصيل العلوم المختلفة. ولكن ذلك لم يكن ليصرفه عن القضايا الوطنية والمطالبة بالحرية والتحرر؛ فخلال دراسته في السنة الأولى، ساهم التازي في الإضراب الذي دعا اليه قادة القرويين في فاس للمطالبة بإصلاح مؤسسة القرويين، الأمر الذي تسبب في انقطاعه عن الدراسة في أواخر المرحلة الأولى من دراسته في القرويين[١٨١].

وسرعان ما التحق التازي بالدراسة في القرويين بعد انتهاء الإضراب. ولما كان حريصاً على إتمام السنة الأولى من دراسته، تقدم لأداء الامتحان الثاني واجتاز الاختبار التحريري بنجاح[١٨٢].

ويشير التازي إلى أن أحد أساتذة القرويين، الذي قام باختباره شفهياً، لامه على تركه الدراسة والإسهام في الإضراب. وعلى ما يبدو أن الإضراب الذي دعا إليه قادة القرويين كان موجهاً ضد المجلس العلمي للقرويين حصراً[١٨٣].

تابع عبد الهادي التازي تعلُّمه في السنة الثانية في القرويين يرتشف من العلوم العربية والدينية والعلوم الحديثة، حريصاً على استيعاب الدروس بشكل أفضل. ما يجلب النظر إلى أن التازي كان يقوم بإعانة زميل له وكان كفيفاً على استظهار الدروس؛ فكان التازي يقرأ النصوص والفروض الدراسية أمام مسامعه مرات عدة. وقد أتاح له ذلك في الوقت نفسه، مذاكرة دروسه، واستيعاب المعارف والعلوم بوجه أفضل. ومن جهة أخرى، بدأ التازي يدرك أهمية انقطاعه للدراسة والتحصيل العلمي. وكان يذكر أن ما أعجبه في زميله الكفيف قدرته على الحفظ والاستظهار مع «أن وسائله محدودة. فلماذا لا افعل أنا؟»[١٨٤] وكثيراً ما كان يتردد على لسانه الحكمة المشهورة «أن الله إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب»[١٨٥].

---

(١٧٩) التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٥٧.
(١٨٠) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٥٢.
(١٨١) المصدر نفسه، ص ٣٨.
(١٨٢) التازي، المصدر نفسه، ص ٧٦١.
(١٨٣) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٩.
(١٨٤) المصدر نفسه، ص ٤٠.
(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.

ساعد هذا التوجه لدى التازي على الإلمام بوجه أفضل بما يقدم في القرويين من علوم ومعارف، إلى الحد الذي دفع أحد المدرسين إلى اتخاذه «سارداً»[١٨٦] لهُ يعينه في تحضير المادة الدراسية من نصوص ولوائح دراسية. وفي نهاية كل حصة دراسية يقوم التازي بإعادة شرح النصوص للطلاب[١٨٧].

حفز الجو العلمي للقرويين عبد الهادي التازي على المضي في دراسته وسعيه إلى اجتياز مراحل الدراسة بنجاح؛ ففي ٢٩ حزيران/يونيو عام ١٩٣٨، اجتاز اختبارين بتفوق ليُنقل إلى الدراسة في المرحلة الثالثة في الثانوي[١٨٨].

ومع اهتمامه بمذاكرة دروسه، لم يكن يصرفه ذلك عمّا كان يجري بين طلبة القرويين من مناقشات تتعلق بالسياسة الفرنسية وإجراءات سلطة الحماية، فقد آثر الخوض في النشاط الفكري والسياسي عبر كتابته المقالات في الصحف الوطنية.

اجتاز التازي الامتحان النهائي للمرحلة الثالثة في ٢٧ حزيران/يونيو عام ١٩٣٩، الأمر الذي أهّله إلى الانتقال إلى المرحلة الرابعة وهي المرحلة الأخيرة في الثانوي بالقرويين[١٨٩].

تزامنت دراسة عبد الهادي التازي في تلك المرحلة مع متغيرات محلية ودولية بالغة الدقة؛ فقد دفعت تطورات الأحداث السياسية في أوروبا إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية. ففي الثالث من أيلول/سبتمبر عام ١٩٣٩، أعلنت دولتا بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا بذريعة الوفاء بالتزاماتها تجاه بولندا التي تعرضت إلى الغزو الألماني في الأول من أيلول/سبتمبر من العام نفسه[١٩٠].

انكب عبد الهادي التازي في تلك المرحلة على الدرس والتحصيل، وجاء الاتفاق الذي توصلت إليه الحركة الوطنية مع سلطات الحماية الفرنسية والذي تضمن العمل على استقرار الأحوال السياسية في المغرب، وعدم الإتيان بأي عمل يخل بالأمن والنظام، دافعاً التازي إلى الدراسة المعمقة. فكان يمضي في القراءة حتى أيام العطل الرسمية[١٩١].

---

(١٨٦) السارد: كان من عادة أساتذة القرويين، أن يتم اتخاذ طالب من احد طلاب الحصة الدراسية ممن يمتاز بالجد والكفاءة والذكاء، الذي يميزه من بقية زملائه، يساعد الأستاذ في الحصة الدراسية وكذلك إعادة شرح النص في نهاية الحصة لكي يتمكن الطلاب من تعويض ما فاتهم في الحصة. انظر: التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٤٠.

(١٨٧) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٥.

(١٨٨) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(١٨٩) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(١٩٠) أي جي بي تيلر، الحرب العالمية الثانية: تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)، ص ٢٨ ـ ٤٣٤.

(١٩١) المغرب وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية: أعمال ندوة دولية نظمتها مجموعة البحث والتوثيق في التاريخ العسكري (الرباط: [د. ن.]، ١٩٩٦)، ص ٦٧ ـ ٩٩.

وما عزز هذا التوجه لدى التازي أيضاً ما ذكر عن دور أساتذة القرويين في ترغيب الطلبة على الدرس والمواظبة. ينقل التازي عن أحد أساتذة القرويين[١٩٢] قوله «إن الله تعالى لم يقل ليحيى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾[١٩٣] وأنت نائم ولكنه قال له خذه ﴿بقوة﴾ بهذا العنف كان يخاطبنا»[١٩٤].

لذا لا غرو في أن برز التازي في مجال حفظ المتون والشروح للمؤلفات العربية والتي تحولت إلى واحدة من أفضل هواياته في الحياة، فقد حفظ أرجوزة ابن كيران بأبياتها الستة والثمانين. وألفية ابن مالك في النحو، ولامية الأفعال لابن مالك، فضلاً عن منظومة في العروض وأُخرى في التوحيد والمنطق. وكان يحرص على قراءة ما فاته من الفروض الدراسية في المراحل المبكرة من دراسته في الثانوي فتمكن من حفظ لامية العرب والعجم وبردة كعب[١٩٥].

بعد أن حصل عبد الهادي التازي على شهادة القسم الأول من المرحلة الرابعة في ٢٣ حزيران/ يونيو عام ١٩٤٠، كان عليه أن يحصل على شهادة القسم الثاني التي تؤهله الحصول على شهادة المرحلة الثانوية، والتي يخضع فيها الطالب بعد مرور سنتين إلى اختبار لجنة من خارج القرويين تشكلها حكومة المخزن في الرباط. والذي اجتازه عبد الهادي التازي في ٢٧ حزيران/يونيو عام ١٩٤٢. نظراً إلى أهمية هذه الشهادة الثانوية للقرويين التي كانت تذيل بتوقيع رئيس المجلس العلمي للقرويين[١٩٦] ووزير العدلية الإسلامية آنذاك[١٩٧].

تسنى لعبد الهادي التازي، بعد حصوله على شهادة المرحلة الثانوية، التدريس في المدارس الدينية نظراً إلى نجاحه في اختبار أجراه له قاضي مدينة فاس. ما جعله مؤهلاً لمهنة التعليم، وعلى هذا الأساس عين في مدرسة الرجراجي الدينية من دون أن ينقطع عن مواصلة تعليمه في قسم العالمية في القرويين[١٩٨].

أبدى التازي اهتماماً ملحوظاً بالاستزادة من العلوم الطبيعية في هذه المدة؛ فقد أخذ يتردد خلال العطلة الصيفية للقرويين في سنوات ١٩٣٩ وحتى١٩٤٣، على مدرسة الشيخ «محمد الصبيحي»[١٩٩] في مدينة سلا. ففي تلك المدرسة، تلقى التازي مبادئ علم الفلك والعلوم

(١٩٢) هو الأستاذ محمد العلمي.
(١٩٣) القرآن الكريم، «سورة مريم،» الآية ١٢.
(١٩٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٥٣.
(١٩٥) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(١٩٦) كان رئيس المجلس العلمي للقرويين مبارك بن عبد الله العلوي.
(١٩٧) كان وزير العدلية الإسلامية محمد بن العربي العلوية.
(١٩٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٥٩.
(١٩٩) محمد الصبحي؛ ولد في سلا عام ١٨٨٢ وأكمل دراسته في القرويين وهو أول من نبه أذهان المغاربة إلى خطورة الظهير البربري عام ١٩٣٠، عندما كان يعمل في حكومة المخزن السلطانية وصرح بها للمغاربة ما أدى إلى اعتقاله في العام نفسه. اسند له منصب باشا مدينة سلا عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٥٩، عرف باجتهاده في علم الفلك بما يمتلكه من أدوات فلكية وجغرافية وعرف عنه تصديه للاستعمار الفرنسي فتعرض للاعتقال في عامَي ١٩٤٤ و١٩٥٢ وقبيل وفاته أوقف =

الرياضية. ولا شك في أن المعرفة التي اكتسبها من دراسته علم الفلك، أهلتهُ لوضع أول «إمساكية» لشهر رمضان عام ١٩٤٣ في فاس، واستمر في إصدارها حتى عام ١٩٤٨[٢٠٠].

كان التازي مؤهلاً للبروز في ميدان إصلاح التعليم بما عرف عنه من الجدية والحرص على مصالح منتسبي القرويين من أساتذة وطلبة؛ فخلال دراسته في قسم «العالمية»، لم يكن الصراع بين الجيل المحافظ في القرويين الذي كان تأثيره ملموساً في أوساط الإدارة الفرنسية، والأخيرة في المقابل كانت ترى في دعمها له وسيلة للتدخل في شؤون القرويين، وبين أتباع التيار المنادي بالتحديث والتجديد والذي كان يمثله عدد من زعماء وممثلي الحركة الوطنية من منتسبي القرويين ومنهم عبد الهادي التازي. وكانوا قد أعدوا منهاجاً ينطلق من هاجس حماية المؤسسة التعليمية من التشريعات الفرنسية الاستعمارية تجاهها[٢٠١].

وفي مثل هذه الظروف، كان من الطبيعي أن يظهر أثر هذا الواقع في موقف السلطان محمد بن يوسف من قضية الإصلاح وتنظيم العلاقة مع سلطات الإدارة الفرنسية في ما يتعلق بشؤون التعليم. وضمن هذا الإطار، تمكن السلطان من حسم الصراع الدائر بين التيارين لصالح التيار المنادي بالإصلاح. ساعد المناخ السياسي الذي فرضته الأوضاع الجديدة التي رافقت تطورات الحرب العالمية الثانية، ووقوع فرنسا تحت الاحتلال الألماني، على استصدار قرار من إدارة الحماية يقضي بقيام السلطان بالإشراف على القرويين[٢٠٢]، واستحداث منصب مدير القرويين أسند إلى محمد الفاسي[٢٠٣] الذي يعد من أبرز الداعين إلى الإصلاح عبر مقومات جديدة تجمع بين الأصالة والحداثة[٢٠٤].

وهنا جاء دور عبد الهادي التازي بحكم ارتباطه بالحركة الوطنية، ودراسته في القرويين، فبعد أن أمضى السلطان محمد بن يوسف في خطواته الإصلاحية، وعلى ما يبدو أن قضية تعليم الفتاة المغربية جذبت انتباهه منذ وقت مبكر، فأولاها اهتماماً خاصاً، كان التازي من بين الذين وفدوا على السلطان في الرباط يوم الثاني من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٣[٢٠٥] ممثلاً عن المدارس الدينية

= مكتبته الكبيرة للقراء والباحثين. انظر: محمد عزوز وعبد السلام الطاهر، العلامة مصطفى النجار: من أعلام الفكر والثقافة في مدينة السلام، تقديم محمد بوطربوش (سلا: [د. ن.]، ٢٠١٠)، ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢٠٠) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/٢/٤.

(٢٠١) الناصري، «رحلة محمد الخامس إلى طنجة ٩ ـ ١٣ أبريل ١٩٤٧»، ص ٢٥٢.

(٢٠٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٢٠٣) محمد الفاسي: ولد في عام ١٨٩٥ في مدينة فاس وتخرج في القرويين وأكمل دراسته في فرنسا حيث ساهم مع أعضاء اتحاد شمال أفريقيا في باريس، بمساندة قضايا المغرب العربي. وبعد عودته إلى فاس عام ١٩٤٢ عين مديراً للقرويين. اعتقل عام ١٩٤٤ وأطلق سراحه عام ١٩٤٦ ثم اعتقل عام ١٩٥٣ وذلك بسبب نشاطه السياسي كأحد قادة حزب الاستقلال. بعد الاستقلال عين وزيراً للتربية، ثم رئيساً لجامعة محمد الخامس في الرباط، له إنتاج فكري وأدبي واسع. انظر: أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا (القاهرة: الدار القومية للطباعة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢٠٤) التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٦٤.

(٢٠٥) كانت مهمة الوفد تقديم التهنئة للسلطان بمناسبة عيد الفطر.

والحرة. وفي ذلك اللقاء، بسط التازي آراءه بصدد تعليم الفتاة المغربية منوهاً «بالفائدة العظيمة التي تعود على الوطن من قيام النهضة العلمية على يد النساء المتعلمات». مع العلم أن التازي كان على علم برغبة السلطان في مواصلة بحث موضوع تعليم المرأة في اللقاء المذكور، وهو أمر كان السلطان يحرص عليه منذ زيارته القرويين أواخر عام ١٩٤٣، إذ عرض خلال لقائه علماء وأساتذة القرويين موضوع تعليم المرأة، مبدياً ضرورة «أن تتعلم الفتاة المغربية تعليماً عربياً إسلامياً»[٢٠٦].

شغل هذا الموضوع تفكير أعضاء الوفد الذي ضم أعداداً من ذوي الاتجاه المحافظ والاتجاه المطالب بالإصلاح. وعلى ما يبدو فإن السلطان قد أتاح لهم فرصة التداول بشأن تعليم المرأة للخروج بموقف محدد. وعندما طال النقاش، وكان بصوت خفيض أقرب للهمس، لتبني موقف موحد، تبلور في اتجاهين: يدعو الاتجاه الأول، إلى تقييم سلبي بشان تعليم المرأة من خلال تحريم الأخذ عن الغرب وتقليده.

أما الاتجاه الثاني، فقد تجلى في الدعوة إلى استلهام روح ذلك العصر الذي شهد مرحلة صعود الحضارة التي ساهم في بنائها ألوف العالمات والشاعرات ومثّل هذا الاتجاه عبد الهادي التازي ومحمد الفاسي.

انتهت مهمة الوفد عندما بادر التازي إلى إعلام السلطان بأمر الخلاف الذي اشتد بين أعضاء الوفد، ما دفع السلطان إلى حسم الخلاف والتأكيد أن «تعليم المرأة هو في حدود الشريعة الإسلامية السمحة»[٢٠٧].

الجدير بالذكر أن التازي نقل للسلطان ما دار بينه وبين أحد شيوخ الزوايا. فقد ذكر أن الشيخ قال له «أن تعلم البنت يعني أن تسقي الأفعى سُماً»، وهنا علق السلطان على مقولة الشيخ موجهاً كلامه إلى أعضاء الوفد أن «الأم والأخت والزوجة ليست أفعى وإن كانت أفعى فإن التعليم هو الترياق لها»[٢٠٨].

وكما هو متوقع جرت الأمور باتجاه التصادم بين دعاة التحديث من جهة، وبين العلماء التقليديين والمحافظين الذين عدوّا تعليم الفتيات مفسدة لهن وأن جهل النساء أحفظ لعفتهن من جهة ثانية.

وبعد ذلك توافقت آراء العلماء التقليدين مع سياسة الإدارة الفرنسية، التي كانت تعاني حساسية مفرطة تجاه تعليم الفتيات إدراكاً منها لخطورة وجود طبقة نسائية مثقفة تشكل عائقاً أمام السياسة الفرنسية الهادفة للإبقاء على حالة الجهل والتخلف في صفوف الشعب المغربي، فعملت على إعاقة تنفيذه على أساس أن ميزانية البلاد لا تتحمل نفقات إقامة مؤسسات لتعليمهن[٢٠٩].

---

(٢٠٦) عبد الهادي التازي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف،» مجلة دعوة الحق (الرباط)، السنة ١٠، العدد ٨ (آذار/مارس ١٩٦٧)، ص ٦٦.

(٢٠٧) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٢١.

(٢٠٨) التازي، «صفحات من مذكراتي عن مدرسة الفقيه الرجراجي،» ص ٢١.

(٢٠٩) عبد الهادي التازي، تفسير سورة النور (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ٧.

لم يكن أمام المفكرين ورجال الحركة الوطنية إلا أن يبادروا إلى إنشاء أقسام خاصة لتعليم البنات في المدارس الحرة بتمويل ذاتي، وكان عبد الهادي التازي من أشد المتحمسين، كعادته، بالنسبة إلى هذا الموضوع الذي كان يرى فيه موضوعاً مصيرياً يتعلق بنهضة المغرب، وتقدمها، لذا نراه يسارع إلى أداء مهمة تعليم الفتيات، من دون مقابل، في مدرسة الفلاح الحرة التي كان يديرها إدريس بن عمرو (رفيق التازي في جمعية المحافظة على القرآن الكريم)[٢١٠].

إن هذا التطور في وعي الحركة الوطنية المغربية كان من العوامل الفاعلة للتحول الذي بدأ يطرأ على الشعب المغربي، وانتقاله من حالة الخضوع والاستكانة، إلى حالة التطلع إلى الحرية والاستقلال، والتبرم من سياسة الإدارة الفرنسية ومساوئها، ولا سيما أن التربة كانت مهيأة لمثل ذلك التحول بفضل الجهود التي بذلها رجال الحركة الوطنية ومنهم التازي وبمؤازرة السلطان محمد بن يوسف وخطواته الإصلاحية التي وجد فيها التازي « تجديداً لمواكبة الحضارة العالمية»[٢١١].

إن أنهماك عبد الهادي التازي في الدراسة والتحصيل العلمي في القرويين، عزّز من الروابط والوشائج بينه وبين أبناء وطنه ولا سيما أن المرحلة شهدت تطورات سياسية، كان لها الأثر البالغ في دفعه إلى ميدان العمل الوطني.

(٢١٠) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٦٤.
(٢١١) مقابلة شخصية مع محمد الصقلي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٧.

الفصل الثاني

نشاط عبد الهادي التازي الفكري والسياسي (١٩٣٦ ـ ١٩٤٧)

أولاً: نشاط عبد الهادي التازي في ميدان الفكر والسياسة

لم يمضِ على وجود التازي في القرويين سوى مدة قصيرة، حتى بدأ يدرك أهمية التفكير بالتحرك السياسي على نطاق واسع باتجاه إقامة صلات مع بعض قادة الحركة الوطنية ممن ساهموا في صياغة المطالب الوطنية ضمن تحرك سياسي انصب بشكل واضح في مجرى تنظيمي عُرف بـ «كتلة العمل الوطني»[(١)].

ومن الجدير بالذكر أن «كتلة العمل الوطني» لم تكن لها قيادة عليا، وعلى ما يبدو أن هناك شبه إجماع على جماعية قيادة الكتلة، فلم يتصدَّ أحد من رجال الحركة الوطنية لزعامتها. وذلك أمر طبيعي نجم عن طبيعة الكتلة التي لم تكن تنظيماً حزبياً يقوم على أساس نظام داخلي متكامل، ينظم عملية الانتساب إلى الكتلة ويحدد بدلاً شهرياً كما هو جارٍ بالنسبة إلى نظيرتها من الأحزاب السياسية. لذا من الممكن أن نجزم أن الكتلة كانت مجرد تجمع أو أشبه ما يكون بعصبة تضم عدداً من الوطنيين المتفقين في آرائهم وميولهم وطموحاتهم[(٢)]. مارس أعضاء «كتلة العمل الوطني» نشاطهم الوطني في فاس من طريق عقد الاجتماعات مع شرائح مختلفة من المجتمع الفاسي، فيلتقون ويتداولون في الأمور المتعلقة بمساوئ السياسة الفرنسية الاستعمارية[(٣)].

---

(١) تقدم كل من أحمد الشرقاوي وأبي بكر القادري وعلال الفاسي وعمر عبد الجليل وعبد العزيز بن إدريس ومحمد الدويري ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي ومحمد المكي الناصري ومحمد غازي، بمطالب إلى الجهات العليا في المغرب وفرنسا عرفت «مطالب الشعب المغربي» بعد أحداث عام ١٩٣٤. وللاطلاع عن بنود المطالب، انظر: دفتر المطالب (كراس أصدرته الكتلة العاملة الوطنية في المغرب بتاريخ ١٩٣٤) (الرباط: [د. ن.]، ١٩٧٩)؛ عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٨٧)، ص ١٤٤، وأبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ٦ ج (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤١٨هـ/١٩٩٢م)، ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، ص ٢٧٠ ـ ٢٩٠.

(٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٨.

(٣) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٣١١/٢٦٩٧، الوثيقة المرقمة ٣٩، ص ٢١، تقرير السفارة العراقية في الرباط، المرقم ٦٣٢، بتاريخ ١٩٥٧/٧/١.

وكان علال الفاسي[٤] يثير حماسة المجتمعين بقصائده الوطنية وخطبه الحماسية[٥].

لاحظ كل من الهاشمي الفيلالي وعلال الفاسي في التازي إمارات الاهتمام بالقضايا الوطنية ومعاداة السياسة الفرنسية في المغرب[٦].

ومن جانب آخر كان التازي يتتبع أخبارهما، ويهتم بدورهما بين قادة الحركة الوطنية في فاس وثبات عزيمتهما، وتصديهما لأساليب السياسة الفرنسية، ودورهما في استقطاب القوى الوطنية.

دفع كل ذلك التازي إلى تلبية دعوتهما إلى الانضمام إلى الاجتماعات التي كانت تعقد في فاس.

مثلت اجتماعات فاس بالنسبة إلى عبد الهادي التازي مدرسة جديدة. وبفضل ما كان يلقى في تلك الاجتماعات من خطب وقصائد وطنية ونشاطات اجتماعية ورياضية وإعلامية[٧]، تفتح ذهنه أكثر، وبدأ باستيعاب الأمور بصورة أفضل وببُعد جديد دفعه إلى ميدان الصحافة التي تكاد تكون مدرسة واسعة لصقل المواهب وتعميقها. وقد مهدت له جمعية «علماء الجزائر»[٨] وصحافتها السبيل إلى هدفه لما لها من أثر كبير في إسماع صوت القضية المغربية للشرائح الواسعة في المجتمع المغربي[٩]. ومن دون شك فإن الصحف الجزائرية كان تأثيرها ملموساً في الوسط الثقافي في المغرب وأقطار عربية أخرى، ساهمت في تعبئة المثقفين ضد مساوئ الإدارة الفرنسية، وفي تنمية الوعي السياسي والفكري لديهم.

انضم عبد الهادي التازي إلى قائمة كتاب المقالات لصحيفتي الأمة الجزائرية والبصائر من الصحف التي كانت تصدرها «جمعية علماء الجزائر»؛ فقد حاول التازي في عمله الصحافي أن ينبه ذهن القارئ المغربي إلى قضايا الوطن والأمة، وأن يتصدى لموضوعات جديدة في ميادين الحياة والدين والوطن[١٠]. كانت باكورة نتاجه في الفكر والثقافة والصحافة نشره مقالة بعنوان «فوائد الصوم» في صحيفة الأمة الجزائرية، أكد فيها أهمية الحرص على «مبادئ الدين الإسلامي ودورها في بناء المجتمع والحفاظ عليه من الانزلاق في الأخطاء التي تهدم المجتمع»[١١].

---

(٤) عرف بـ «شاعر الحركة الوطنية».

(٥) محمد السلوي أبو عزام، أسرار وحقائق عن علال الفاسي (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ١٨.

(٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٨.

(٧) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٢٠١.

(٨) تأسست جمعية علماء الجزائر عام ١٩٣١ في الجزائر على يد عبد الحميد بن باديس من قادة الحركة الوطنية الجزائرية. سعت الجمعية إلى المطالبة بحقوق الجزائريين ومناهضة الاحتلال الفرنسي عبر عدد من الصحف التابعة لها. وكانت تصل أعدادها إلى المغرب من طريق البريد الإنكليزي في المنطقة الدولية في طنجة غير الخاضعة للنفوذ الفرنسي. انظر: القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٩) Jamaâ Baida et Jean-Claude Allain, *La Presse marocaine d'expression française: Des origines à 1956* (Rabat: Faculté des lettres et des sciences humaines, 1996), p. 103.

(١٠) عبد الفتاح الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي (الرباط: مطبعة إليت، ١٩٩٢)، ص ٢٧.

(١١) عبد الهادي التازي، «فوائد الصوم،» الأمة الجزائرية (الجزائر)، العدد ٢٣ (٢٤ تموز/يوليو ١٩٣٦).

وضمن هذا الإطار سعى التازي من خلال التفاعل مع مختلف شرائح المجتمع المغربي بعامة وفاس بخاصة، إلى تنبيه أذهان الشباب الذين يريدهم أن يكونوا مؤمنين برابطة الوطن، ومحاولاً تجسيد الآثار السلبية لعادة شرب الخمر في إضعاف همم الشباب وانصرافهم عن مسؤولياتهم الوطنية؛ ففي مقالة نشرها في صحيفة البصائر، تحت عنوان «خطر الخمر العظيم»، يقول التازي بهذا الصدد: «أيها القارىء المنحني على صفحات البصائر الغراء تقرأها لا ريب في أنك رجل والعاقل من يفكر في أحواله وشؤونه، ففكر طويلاً تجد أنه لا نهوض لأمة مغربنا إلا بحياة شريعتنا السمحة... فالخمر لا يعطي الإنسان قوة ولا صحة ولا سروراً ولا حرارة، بل إنّه يجلب لنا الأضرار الجسيمة»[١٢].

كان التازي مؤهلاً للبروز في ميدان التأليف، فقد شجع محيط فاس وجوها الفكري والأدبي الرغبة لديه في إصدار أول مؤلف له بعنوان **أخلاق الإنجاب في منتخبات الآداب** احتوى على منتخبات من فضائل الأعمال وكمال الأخلاق[١٣]. وما يلاحظ، أن أفكار قادة الكتلة الوطنية وفي مقدمتهم علال الفاسي قد تركت تأثيرها في العديد من مثقفي فاس وطلبة القرويين. لذا لا غرو في أن نجد التازي يستشهد في مقالاته في **الأمة الجزائرية** و**البصائر** بأقوال الفاسي الذي ينعته بـ «الحكيم علال الفاسي»[١٤]. وكما يؤكد أحد الباحثين أن «انفراد السياسي المغربي بزعامة التنظيم السياسي هو بفضل إمكانياته العلمية والفكرية فضلاً على خصائصه الشخصية ومواقفه النضالية»[١٥].

جلبت مقالات التازي انتباه رجال الحركة الوطنية الذين أبدوا إعجابهم بما كان يبديه من آراء وأفكار كانت تمس مشاعر الفاسيين في الصميم. وربما كان ذلك من بين الأسباب التي دعت علال الفاسي إلى اختيار التازي لتولي وظيفة الكاتب العام «الأمين العام» لجمعية «المحافظة على القرآن الكريم» بعد أن قرر إعادة تنظيمها في فاس[١٦].

استهدفت جمعية «المحافظة على القرآن الكريم» توظيف المناسبات والأعياد الدينية وخطب أيام الجمع وحلقات قراءة القرآن الكريم والمسابقات الدينية لخدمة مبادئ الإسلام بروح العصر والدخول من خلالها إلى العمل السياسي، وبث النزعة الوطنية والذي كان يتم بصورة سرية نتيجة عدم سماح الإدارة الفرنسية للنوادي والجمعيات بمزاولة العمل السياسي[١٧]. ساهم عبد الهادي التازي في نشاطات الجمعية؛ ففي الأول من حزيران/يونيو عام ١٩٣٦، أقامت الجمعية حفلاً

---

(١٢) عبد الهادي التازي، «خطر الخمر العظيم،» **البصائر** (الجزائر)، العدد ٥٠ (٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦).

(١٣) عبد الهادي التازي، **أخلاق الإنجاب في منتخبات الآداب** (مخطوط).

(١٤) **البصائر**، العدد ٥٠ (٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦).

(١٥) محمد شقير، **الفكر السياسي المغربي المعاصر** (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٥)، ص ٤٢.

(١٦) أبو عزام، **أسرار وحقائق عن علال الفاسي**، ص٢٠، والزين، **دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي**، ص ٢٨.

(١٧) علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ط ٤ (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٠)، ص ٢٠٢.

بمناسبة المولد النبوي الشريف في منطقة اللويزان بضواحي فاس[١٨]. وفي الحفل ألقى التازي كلمة جاء فيها:

«ولد المصطفى (ﷺ) في زمن امتلأت الأرض فساداً فكانت الشعوب تساق كالأغنام، فكانت من الرحمة الإلهية أن بعث الله سيدنا محمد (ﷺ)، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور... «إلى أخر الكلمة التي أنهاها بالدعوة إلى الحفاظ على التلاحم والأخوّة والصدق بين المغاربة وان يمتعهم بالحرية والاستقلال وان يحفظ الله السلطان»[١٩].

بدأت أخبار الجمعية ونشاط عبد الهادي التازي، من خلال مقالاته في صحيفة«البصائر الجزائرية تصل إلى أسماع السلطات الفرنسية[٢٠] ما أثار خشية أعضاء الجمعية من أن تقوم الإدارة الفرنسية في فاس باتخاذ إجراءات تستهدف الجمعية وأعضاءها الذين كانوا يحرصون على سريتها. إلا أن الإدارة الفرنسية اكتفت بمراقبة التازي وتتبع نشاطه[٢١]. وسرعان ما نزل التازي إلى ميدان العمل في مجال بث الروح الوطنية بين الشباب الذين كانوا يؤمون مساجد فاس، فقد أشرف على دورات قراءة القرآن الكريم. وقد أتاح له ذلك في الوقت نفسه، التعرف إلى أوساط مختلفة من المجتمع الفاسي. وعلى الرغم من حداثة انتسابه إلى الحركة الوطنية، إلا انه قام بدور بارز في بث الروح الوطنية بينهم وتعريفهم أهداف الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار الفرنسي ومساوئ الإدارة الفرنسية[٢٢].

كان لا بد أن تتحول الحركة الوطنية المغربية، بعد أن قطعت أشواطاً واسعة في إعداد الشباب المغربي إعداداً وطنياً، من المرحلة السرية المختبئة خلف واجهات ثقافية ودينية، إلى مرحلة التبشير العلني ومواجهة إدارة الحماية الفرنسية بالمطالب الوطنية. ويُعد النصف الثاني من عام ١٩٣٦ بداية المرحلة العلنية للحركة الوطنية المغربية[٢٣]. ومن المهم أن نشير إلى أن قادة « كتلة العمل الوطني»، أدركوا ضرورة مضاعفة نشاطهم بغية توسيع القاعدة الجماهيرية للكتلة لتُمثل مختلف الشرائح الاجتماعية ولا سيما الشرائح الاجتماعية المتوسطة[٢٤] في الوقت الذي لم تكن الكتلة تضم سوى ١٢ «موجهاً» و١٥٠ «داعية» و٢٠٠ من «الأنصار»[٢٥] وتجدر الإشارة إلى وجود ظروف موضوعية أدت

---

(١٨) أشرف على الحفل إدريس بن عمرو أحد قادة الحركة الوطنية في فاس.

(١٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٨.

(٢٠) كانت الصحيفة قد أشارت إلى الجمعية في العدد الذي حَمَلَ مقالة التازي.

(٢١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢٣) محمد خير فارس، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (دمشق: جامعة دمشق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٦٣١، والمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ١١ مج (الرباط: منشورات عكاظ، ٢٠٠٥)، مج ٢، ج ١، ص ٣٠٤.

(٢٤) محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية: من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ١٩٣٤ ـ ١٩٩٩ (الدار البيضاء: أفريقا الشرق، ١٩٨٨)، ص ١٩.

(٢٥) محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، دراسات في تاريخ شمال أفريقية الحديث (دمشق: [د. ن.]، ١٩٧٢)، ص ٤٧٨.

إلى تنامي قوة الكتلة في هذه المرحلة فضلاً عن ازدياد عدد المنتمين إليها، يأتي في مقدمها تحوّل الكتلة إلى مؤسسة مغربية وطنية تمثل مختلف الشرائح الاجتماعية، وانعكس هذا التحول في ازدياد الوعي السياسي لدى المغاربة، وتعاظم شعورها المعادي للسيطرة الاستعمارية. كما إن وصول «الجبهة الشعبية»[٢٦] للحكم في فرنسا بقيادة «الحزب الاشتراكي الفرنسي» والتعاطف الذي أبدته الحكومة الفرنسية الجديدة اتجاه مطالب الشعب المغربي والتي كانت ترى أنه «بفضل الحماية وإجراءاتها فانه لا بد من أن يتسلم المغاربة يوماً إدارة شؤونهم الخاصة»[٢٧]. ونتيجة هذه التطورات، قامت حكومة الجبهة الشعبية بعزل المقيم الفرنسي في المغرب بيروتون (Marcel Peyrouton) وتعيين مقيم جديد هو الجنرال نوغيه (Charles Hippolyte Noguès) في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦[٢٨].

وما تجدر الإشارة إليه، أن «الجبهة الشعبية» كانت تخشى من أن يقوم المقيم العام بيروتون، من اليمن المحافظ، والذي كان يحظى بتأييد المستوطنين الفرنسيين، بأداء الدور نفسه الذي قام به الجنرال فرانكو[٢٩] باتخاذ شمال المغرب قاعدة انطلق منها لتغيير نظام الحكم في إسبانيا[٣٠]. دشن تعيين المقيم الجديد «نوغيه» بداية مهمة في علاقة «كتلة العمل الوطني» مع الإدارة الفرنسية في المغرب؛ فقبل وصوله المغرب عرضت عليه الكتلة «المطالب المستعجلة»[٣١] وقد وعد المقيم الجديد بالاستجابة لها حال وصوله المغرب[٣٢].

---

(٢٦) الجبهة الشعبية: شكلها اليسار الفرنسي من الاشتراكيين والراديكاليين ضد اليمين في فرنسا، تمكنت الجبهة من استلام السلطة بعد فوزها في انتخابات أيار/مايو عام ١٩٣٦. للاستزادة، انظر: جورج أوفيد، اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، ١٩٠٥ ـ ١٩٥٥، ترجمة محمد الشرقي ومحمد بنيس؛ مراجعة عبد اللطيف المنوني، ٢ ج (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٨٨)، ج ٢، ص ٤٩، والقادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، ص ٣٧٥.

(٢٧) ضريف، الأحزاب السياسية المغربية: من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ١٩٣٤ ـ ١٩٩٩، ص ١٨.

(٢٨) كان الجنرال نوغيه (Noguès) قائداً عسكرياً تولى منصب مدير مكتب المقيم العام «لوسيان سان» الذي أصدر الظهير البربري عام ١٩٣٠ وأوكلت لهُ مهمة قمع التظاهرات التي خرجت احتجاجاً على صدور الظهير. انظر: دوغلاس آي. أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمه عن الإنكليزية عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة؛ راجعه عبد الهادي بوطالب (بيروت: مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٣)، ص ٥٥.

(٢٩) فرانكو (Franco): عسكري إسباني، اتخذ من شمال المغرب مركزاً ومنطلقاً لشن حرب أهلية ضد حكومة الجبهة الشعبية في إسبانيا عام ١٩٣٦، مستفيداً من القوات الإسبانية الموجودة في شمال المغرب الكاملة العدة والعدد والتي تواجدت وبقيت في المنطقة منذ حرب الريف عام ١٩٢٤. إضافة إلى تجنيده العديد من المغاربة في قواته، إذ راح ضحية هذه الحرب الأهلية الإسبانية حوالى مئة ألف مغربي. وبعد أن سيطر على الحكم في إسبانيا عام ١٩٣٩، اتخذ موقف الحياد خلال الحرب العالمية الثانية. وبعد انتهائها لم يفِ بوعودهِ بإعادة الحكم للنظام الملكي بل أصبح دكتاتورياً حتى وفاته عام ١٩٧٥. للمزيد انظر: ابتسام سلمان سعيد الطائي، «التطورات السياسية في شمال المغرب (١٩١٢ ـ ١٩٥٦)،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ١١٤.

(٣٠) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٦٣٢.

(٣١) تضمنت «المطالب المستعجلة» مختلف الجوانب السياسية والإدارية والاجتماعية فضلاً عن مطالب مالية وزراعية وصحية وأمور تتعلق بالأوقاف والعمل والعدل والتعليم وللاطلاع على نصوص «المطالب المستعجلة» انظر: جريدة الوحدة المغربية (تطوان)، العدد ٢٢ (٢١ نيسان/أبريل ١٩٣٧)، وسعيد بنسعيد العلوي، الوطنية والتحديثية في المغرب: مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث في المغرب المعاصر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧)، ص ١١٠ ـ ١١١.

(٣٢) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٤٧٩.

وحال تولي المقيم الجديد مقاليد الإدارة في المغرب تنصل عن وعوده، فقد أذاع في فاس، بعد التشاور مع ضباطه موظفي الشؤون الأهلية الفرنسية، بياناً في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦، أعلن فيه تنديده برجال الحركة الوطنية المغربية ووصفهم «بالفراخ التي تريد مغادرة أعشاشها قبل أن تكسى بالأجنحة فيكون حظها السقوط والانكسار»[٣٣].

أثارت سياسة المقيم العام الجديد نوغيه، مشاعر الشعب المغربي بعد أن أدركوا أن سياسة فرنسا لم يطرأ عليها أي تغيير بل اتبعت أساليب أعنف من السابق في مواجهة المطالب الأساسية للحركة الوطنية[٣٤]. وكنتيجة منطقية سعت «كتلة العمل الوطني» إلى تعبئة الجماهير وتوعيتها ودفعها إلى الاحتجاج على إهمال إدارة الحماية الفرنسية لمطالبها منذ عام ١٩٣٤، باعتبار أن المطالب الإصلاحية تمثل وجهة نظر الموقعين عليها ولا تمثل الرأي العام المغربي[٣٥].

ومثل جميع الوطنيين المغاربة، أثارت سياسة الإدارة الفرنسية ورفضها المطالب الوطنية حفيظة عبد الهادي التازي ومعظم رفاقه من دعاة «كتلة العمل الوطني». وبتوجيه من بعض قادة الكتلة في فاس، ساهم التازي في توزيع المنشورات، وتنظيم التظاهرات وإرسال البرقيات الاحتجاجية إلى مقر المقيمية الفرنسية والى الحكومة الفرنسية والمتضمنة مطالب الشعب المغربي في إطلاق الحريات والقيام بالإصلاحات الضرورية[٣٦].

بيد أن السلطات الفرنسية لم تستجب لهذه المطالب، فدعت الضرورة إلى عقد اجتماع لنخبة من قادة «كتلة العمل الوطني» وعدد من دعاة وأنصار الكتلة في دار بن زاكور في فاس في الثاني من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦ حضره عبد الهادي التازي[٣٧]. وألقى في الاجتماع كل من علال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس والهاشمي الفيلالي وعبد الهادي الشرايبي خطباً أكدوا فيها أهمية العمل السياسي وتوعية الجماهير وإيقاظ المشاعر الوطنية في نفوسهم ودفعهم إلى العمل من أجل الضغط على الإدارة الفرنسية، لإنجاز الإصلاحات الضرورية[٣٨]. وفي نهاية الاجتماع قرر المجتمعون مواصلة اجتماعاتهم في المدن المغربية الأخرى لإيصال مضامين «المطالب المستعجلة» إلى أبناء الشعب المغربي[٣٩]. عقد قادة «كتلة العمل الوطني» مؤتمرات عدة، منها مؤتمر في «سلا» يوم السادس من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦، حضره أكثر من ستمائة شخص.

---

(٣٣) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٩٠.

(٣٤) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ٢، ج ١، ص ٣٠٥.

(٣٥) علال الفاسي، عقيدة وجهاد (نص التقرير الذي ألقاه علال الفاسي في المؤتمر العام لحزب الاستقلال ٨ ـ ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٦٠) (الرباط: [منشورات حزب الاستقلال]، ١٩٦٠)، ص ١٦.

(٣٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٣٨) البصائر، العدد ٥٨ (١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦).

(٣٩) ضريف، الأحزاب السياسية المغربية: من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ١٩٣٤ ـ ١٩٩٩، ص ١٩.

يبدو أن استمرار كتلة العمل الوطني في عقد المؤتمرات، أثار حفيظة سلطات الإدارة الفرنسية وخشيتها من تأثير تعاظم الشعور الوطني على المصالح الفرنسية؛ فحين عقدت الكتلة مؤتمراً موسعاً في الدار البيضاء في الرابع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦، لمطالبة الإدارة الفرنسية بالاستجابة «للمطالب المستعجلة»، قامت القوات الفرنسية بتفريق الحضور واعتقال ثلاثة من قادة الحركة الوطنية وهم كل من علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني[٤٠]، ومحمد اليزيدي[٤١].

أثارت عملية اعتقال قادة الحركة الوطنية، والمواقف المعادية لتطلعات الشعب المغربي التي اتّخذها الفرنسيون، موجة شديدة من السخط والتذمر[٤٢] ظهرت بوادرها سريعاً عندما خرجت تظاهرات احتجاج واسعة في الرباط وسلا.

كان لعبد الهادي التازي دوره البارز في تنظيم وقيادة تظاهرات واسعة انطلقت من ساحة «النجارين» وسط فاس وتوجه بها إلى جامع القرويين[٤٣] وهناك انضمت إلى تظاهرة أخرى بقيادة عبد العزيز العمراوي. وألقى الهاشمي الفيلالي خطبة في المتظاهرين يثير حماستهم[٤٤] وبعد ان توجه المتظاهرون إلى ضريح المولى إدريس وانطلقوا منه إلى جامع الرصيف[٤٥]، تعرضوا إلى اعتداء جنود فرنسيين قاموا بإغلاق أبواب الجامع وبدأوا بضرب المتظاهرين بأعقاب البنادق، الأمر الذي أدى إلى جرح عدد منهم. وتم سوق الكثير من المتظاهرين إلى سجن «عين قادوس» في ضواحي فاس. وكان عبد الهادي التازي من بين المعتقلين[٤٦] الذين قدر عددهم بمئة وخمسين معتقلاً[٤٧].

---

(٤٠) محمد بن الحسن الوزاني: ولد في فاس ١٩١١، أكمل دراسته العليا في باريس وبقي فيها يمارس نشاطاً صحافياً وسياسياً لخدمة القضية المغربية وارتبط بعلاقات واسعة مع بعض الشخصيات الصحافية والسياسية الفرنسية، عاد إلى المغرب عام ١٩٣٠ وتصدى للظهير البربري ما عرضه للاعتقال ثم غادر المغرب عام ١٩٣٢ إلى جنيف وعمل في مكتب المناضل اللبناني شكيب آرسلان للترويج لقضية بلاده حتى عام ١٩٣٣. تعرض للنفي عام ١٩٣٧ إلى الصحراء مدة تسع سنوات عاد بعدها وأسس حزب الشورى والاستقلال. وبعد الاستقلال ظل يمارس نشاطه السياسي. توفي عام ١٩٧٨. انظر: عبد الإله بلقزيز، العربي مفضال وأمينة البقالي، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، ١٩٤٧ ـ ١٩٨٦: محاولة في التأريخ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢)، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٤١) محمد اليزيدي: ولد في الرباط عام ١٩٠٢ وأكمل دراسته فيها. يعد من مؤسسي الحركة الوطنية، عرف بنشاطه في عقد الثلاثينيات، نفي من السلطات الفرنسية إلى الصحراء المغربية عام ١٩٣٧ مدة ثلاث سنوات. أصبح بعد الاستقلال عضواً في مجلس رئاسة حزب الاستقلال، وله نشاط فكري وصحافي واسع في المغرب. انظر: العربي بن عبد الكريم بنعبد الله، ذاكرة مواطن (الرباط: [د. ن.]، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ص ٧٠ ـ ٧١، ومذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٠.

(٤٢) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٨٨.

(٤٣) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٢٩.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٤٥) جامع الرصيف: أحد جوامع مدينة فاس القديمة يقع بالقرب من عدوة الأندلسيين ويمتاز بمساحته الواسعة وبوجود رصيف واسع أمامه لذا سميّ بـ «جامع الرصيف».

(٤٦) سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار، تحت إشراف عبد الحق عزوزي وأسماء علوي (فاس: منشورات المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٤٩ ـ ٥٢.

(٤٧) جريدة البلاد (بغداد)، العدد ٧٤٣ (٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦).

يصف محمد العراقي[٤٨] الذي اشترك مع التازي في التظاهرة واعتقل معه، الصعاب التي لاقاها المعتقلون في سجن عين قادوس، وأوضاعهم الصعبة. فيذكر أن سلطات السجن كانت «تمنع المعتقلين من مقابلة ذويهم إذ تم عزلهم عزلاً تاماً عن الخارج».

ويضيف العراقي قائلاً: «إن الخدمات الطبية كانت مزريةً في السجن ويبدو الأمر طبيعياً إذا علمنا أن الطبيب المسؤول عن الوضع الصحي في السجن كان فرنسياً، الأمر الذي حال دون حصول المرضى من المعتقلين ومن ضمنهم عبد الهادي التازي، الذي كان يعاني من وطأة المرض، على الرعاية الصحية».

كما يؤكد العراقي إن الهاشمي الفيلالي ورشيد الدرقاوي[٤٩] اللذين كانا في المعتقل نفسه، طلبا من سلطات السجن «إيداع عبد الهادي التازي، وكان قد صدر عليه حكم بالسجن مدة ثلاثة أشهر، في سجن الكبار بغية الاعتناء به ورعايته»[٥٠]. فقد كان من جملة التدابير التي لجأ إليها القائمون على إدارة السجن تفريق المعتقلين إلى فئتين: تضم الفئة الأولى الأحداث؛ فيما تضم الفئة الثانية الشبان» ولما كان التازي يرغب في أن يتم إيداعه في قسم الكبار» ادعى أمام مسؤول السجن بلوغه سن الحادية والعشرين» (الملحق الرقم (٢ ـ ١) والملحق الرقم (٢ ـ ٢)).

وفي الرسالة التي بعثها إلى والده في ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦[٥١]، أشار عبد الهادي التازي إلى ثبات عزيمة المعتقلين، وتمسكهم بمبادئهم على الرغم من معاناتهم جراء الاعتقال. ونظراً إلى أهمية الرسالة نورد أدناه نصها:

«الحمد لله وحده». إلى حضرة السيد الوليد متعني الله بوجودك. بعد التحية الصادقة من النفس المخلص أطلب من عبقرية سيدي الجليل لا يشمئز ولا يتغير مما نحن فيه من الفرح الغزير والشرف الكبير فإننا والحمد لله في غاية من السرور ولكن نقاسي بعض المشقات ونذيق بعض التنكيل ومع ذلك هذا لا يزيدنا إلا تمسكاً بالدين المحمدي والوطن العزيز» (ابنكم المخلص محمد عبد الهادي التازي بالسجن المدني نمرة (١٨٩٤٣) فاس)[٥٢].

---

(٤٨) محمد عبد الرحمن العراقي: ولد عام ١٩٢٣، وهو من حفدة العالم الديني الشريف محمد الهادي بن أبي القاسم الحسيني الذي اشتهر بالعراقي. وكما تشير المصادر أن محمد الهادي قدم المغرب من العراق على عهد السلطان أبي سعيد عثمان المريني في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، ولقي الترحاب من السلطان. انتسب محمد بن عبد الرحمن إلى إحدى المدارس الحرة في فاس. التحق بالحركة الوطنية وتعرض للاعتقال خلال الأعوام ١٩٣٦ و١٩٣٧ و١٩٤٤، وحكم بالإعدام عام ١٩٥٣ من دون أن ينفذ به. انظر: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن قبر من العلماء في فاس، تحقيق حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ٣ ج (الرباط: دار الأمان، ٢٠٠٩)، ج ٣، ص ٢٣، ومقابلة شخصية مع محمد العراقي بتاريخ ٢٠١١/٢/٢٨.

(٤٩) رشيد الدرقاوي: أحد أساتذة عبد الهادي التازي في القرويين.

(٥٠) مقابلة مع محمد العراقي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٨. وعن صدور حكم السجن بحق عبد الهادي التازي. انظر الملحق الرقم (٢ ـ ١) المتضمن صورة سجل إيداع سجين باللغة الفرنسية وترجمتها في الملحق الرقم (٢ ـ ٢).

(٥١) أوراق عبد الهادي التازي (مخطوط).

(٥٢) المصدر نفسه.

وكما يؤكد علال الفاسي، وهو شاهد عيان بالنسبة إلى أوضاع المعتقلين، أن عبد الهادي التازي ورفاقه المعتقلين أظهروا «ثباتاً قوياً وحزماً كبيراً، وانكشف للإدارة الفرنسية ما كانت تجهل من أثر التربية الوطنية التي قامت بها كتلة العمل الوطني في أوساط أنصارها» وإنهم كانوا على «بينة مما يطالبون به، وكانت أجوبتهم للولاة الفرنسيين الذي ناقشوهم في برنامج الإصلاح قد أثارت دهشة رجال الإقامة العامة»[٥٣].

لم يرتضِ عبد الهادي التازي لنفسه أن يستسلم بسهولة لقوى الاحتلال الفرنسي على الرغم من مرضه، فقد كان ثابتاً في مواقفه.

سجل عبد الكريم غلاب[٥٤] الحوار الذي دار بينه وبين التازي في أعقاب اعتقالهما معاً، ونصه كالآتي:

«لماذا تخرج في مثل هكذا تظاهرة وأنت مريض؟ أجابه التازي: ذلك واجبي ولم أكن لأكف عنه ولو لمرض»[٥٥].

أثار اعتقال قادة الحركة الوطنية وأعضاء كتلة العمل الوطني ومن ضمنهم عبد الهادي التازي، موجة شديدة من السخط ولاسيما بعد أن تعرضت تظاهرة أخرى، خرجت للمطالبة بإطلاق سراح المعتقلين، إلى الاعتقال أيضاً[٥٦]. وإثر ذلك تشكل وفد كبير من كبار العلماء ووجهاء فاس لمقابلة السلطان محمد بن يوسف لإبلاغه مشاعر الشعب اتجاه حملة الاعتقالات التي قامت بها السلطات الفرنسية، والطلب إليه بالتدخل والتأثير في المقيم العام لإطلاق سراح المعتقلين[٥٧].

وبغية تعزيز موقف الحركة الوطنية، قامت (كتلة العمل الوطني) بإيفاد عمر بن عبد الجليل إلى باريس للاتصال بالحكومة الفرنسية والأوساط السياسية المعتدلة وشخصيات يسارية في باريس لعرض مطالب الحركة الوطنية، وشرح الأوضاع المضطربة في المغرب والوقوف على ما ستتخذه الحكومة الفرنسية من تدابير اتجاه قضية المعتقلين[٥٨].

---

(٥٣) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٨٨.

(٥٤) عبد الكريم غلاب: ولد في فاس عام ١٩١٩ وتلقى دروسه في المدارس الحرة وفي القرويين. انخرط في العمل السياسي بانتسابه إلى كتلة العمل الوطني. سافر إلى القاهرة وأكمل دراسته هناك، وخلال إقامته شغل منصب سكرتير (مكتب المغرب العربي)، عاد إلى المغرب عام ١٩٤٨، وواصل العمل النضالي. عين بعد الاستقلال بمنصب وزير مفوض في وزارة الخارجية، واستقال من المنصب عام ١٩٥٩، مفضلاً العمل في المجال الصحافي الفكري، ألف الكثير من المؤلفات والأبحاث السياسية والتاريخية والأدبية خلال نشاطه داخل حزب الاستقلال، وما يزال على قيد الحياة. انظر: جماعة من الأساتذة، في الفكر والأدب: تراجم ـ دراسات ـ بحوث (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٥٥) سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار، ص ٥٢.

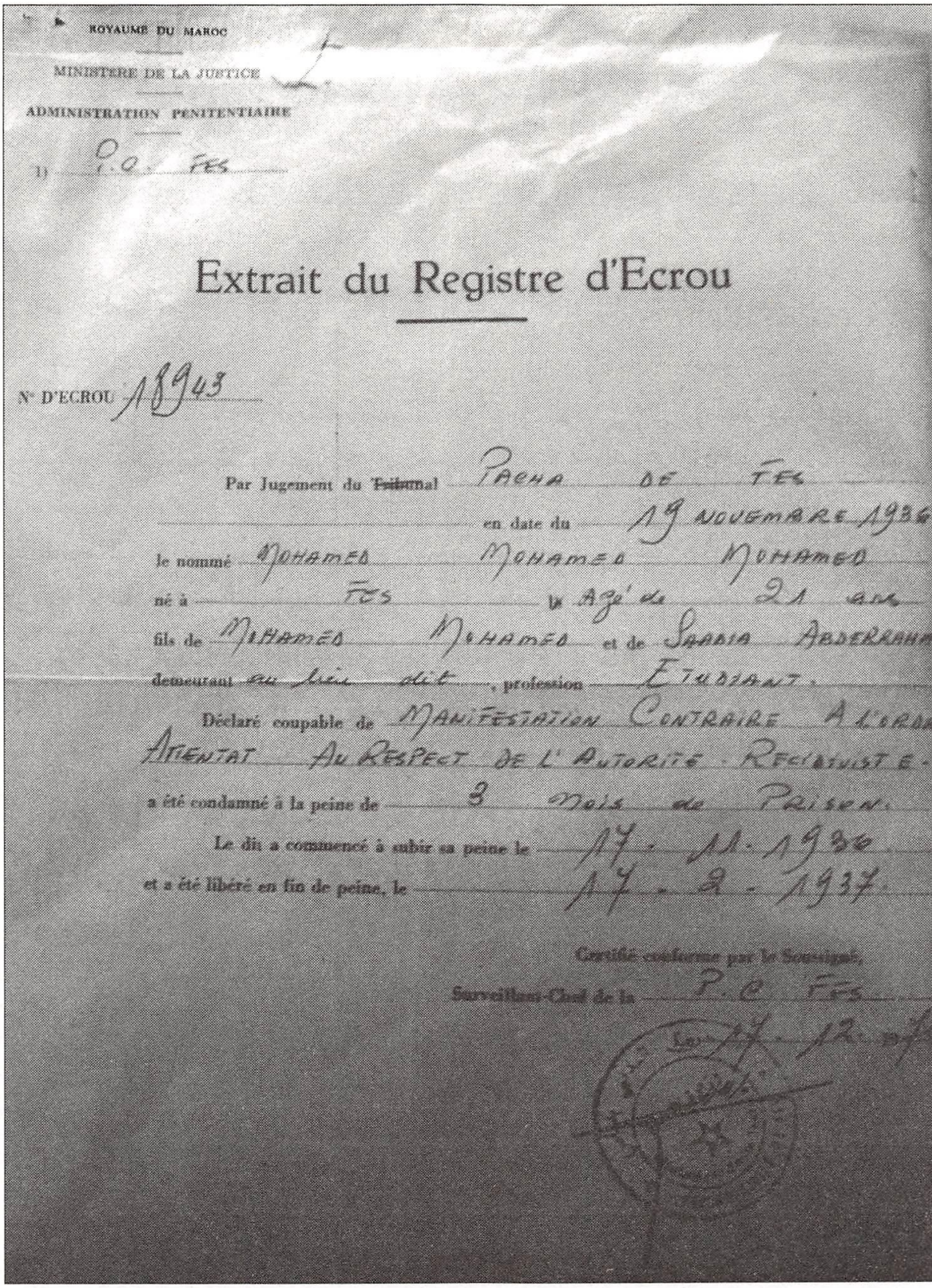
(٥٦) البلاد، العدد ٧٤٣ (٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦).

(٥٧) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣١.

(٥٨) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ٢، ج ١، ص ٣٠٥.

الملحق الرقم (٢ ـ ١)

صورة سجل (قيد) إيداع سجين بتاريخ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦
الاتهام المبين (المعلن) التظاهر ضد السلطة والإخلال بالأمن



ROYAUME DU MAROC

MINISTERE DE LA JUSTICE

ADMINISTRATION PENITENTIAIRE

(1) P.C. FES

Extrait du Registre d'Ecrou

N° D'ECROU 18943

Par Jugement du ~~Tribunal~~ PACHA DE FES

en date du 19 NOVEMBRE 1936

le nommé MOHAMED MOHAMED MOHAMED

né à FES le Agé de 21 ans

fils de MIHAMED MOHAMED et de SAADIA ABDERRAHA

demeurant ~~au lieu dit~~, profession ETUDIANT.

Déclaré coupable de MANIFESTATION CONTRAIRE A L'ORDR

ATTENTAT AU RESPECT DE L'AUTORITE · RECIDIVISTE ·

a été condamné à la peine de 3 Mois de PRISON.

Le dit a commencé à subir sa peine le 17 · 11 · 1936

et a été libéré en fin de peine, le 17 - 2 - 1937.

Certifié conforme par le Soussigné,

Surveillant-Chef de la P.C FES

Le 17. 12. 19

الملحق الرقم (٢ ـ ٢)

صورة سجل (قيد) إيداع سجين باللغة العربية (ترجمة للملحق الرقم (٢ ـ ١))

مملكة المغرب
وزارة العدل
مصلحة السجون
صورة سجل (قيد) إيداع سجين
رقم السجين ١٨٩٤٣
بواسطة حكم باشا فاس
بتاريخ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦
الاسم محمد محمد محمد
ولد في فاس عمره ٢١ سنة
المهنة طالب
الاتهام المبين (المعلن) التظاهر ضد السلطة والإخلال بالأمن
الحكم بعقوبة ٣ أشهر سجن

اضطرت الحكومة الفرنسية، بعد أن أدركت حراجة موقفها، وتأزم الوضع الداخلي في المغرب، إلى الاستجابة لمطالب الحركة الوطنية المغربية وتوجيه تعليماتها إلى الجنرال نوغيه بالإفراج عن المعتقلين. بيد أن نوغيه أبقى ثلاثة من قادة الكتلة[٥٩] وأفرج عن الباقين بعد اعتقال دام شهراً كاملاً[٦٠].

ومن جهة أخرى، فإن سلطات الحماية الفرنسية بدأوا يولون القرويين عنايتهم وأخذوا يدخلونها في حساباتهم ومناوراتهم لإخضاعها وربطها بالسلطة الفرنسية ولا سيما أن علماء القرويين، وفي مقدمهم أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي[٦١]، كان لهم الدور الكبير في انطلاقة حركة الإصلاح الديني ومقاومة السياسة الفرنسية الضارة بالمصلحة العليا للشعب المغربي تجسدت في التصدي للظهير البربري عام ١٩٣٠[٦٢].

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٦٠) **مذكرات عبد الهادي التازي** (مخطوط)، ص ٣٢.

(٦١) محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية**، ٤ ج (بيروت: مؤسسة محمد حسن الوزاني، ١٩٨٢)، ج ١: **طور المخاض والنشوء**، ص ٢٦٢.

(٦٢) لقمان صالح أحمد القطان، «سياسة فرنسا البربرية وأثرها في الحركة الوطنية المغربية،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٧٤.

وفي الواقع إن أهم أسباب محاولة سلطات الحماية الفرنسية إخضاع القرويين لسلطتها، كان يكمن في كونها تمثل العقبة الرئيسة التي تقف عائقاً أمام تنفيذ سياستهم الاستعمارية الاقتصادية والسياسية والدينية والتعليمية والاجتماعية[٦٣].

وضع التعامل مع القرويين الإدارة الفرنسية أمام خيارين: الأول، أن تدعها من دون ممارسة التأثير فيها أخذاً بنصيحة بعض رجال الفكر الفرنسيين باعتبارها مؤسسة إسلامية خاصة بالمغاربة وأن عدم التدخل في شؤونها سيعجل من «انقراضها بفعل قدمها»، كان أصحاب هذا الرأي من المبشرين وغلاة المستعمرين[٦٤]. والثاني، إن تتبع أسلوب التدخل في شؤونها بذريعة إدخال الإصلاحات الضرورية لغرض إضعاف تأثيرها في الأوساط المثقفة وصولاً إلى إقصائها، وإنهاء دورها في مرحلة لاحقة[٦٥].

يبدو أن إدارة الحماية الفرنسية اعتمدت الخيار الثاني، وكانت أولى خطواتها محاولة إغراء بعض العلماء بالمناصب العالية، والجاه الوفير، والتلويح لهم بمستقبل زاهر يدر عليهم النعمة والمجد[٦٦].

وتنفيذاً للمخطط الفرنسي تم إصدار «الظهائر» باتجاه تدعيم سلطة الإدارة الفرنسية في القرويين بإلحاق التعليم العالي الإسلامي بوزارة العدل[٦٧].

أدرك علماء القرويين ما ينطوي عليه هذا الإجراء من محاولة لاحتواء المؤسسة الدينية من الداخل بإثارة الخلاف بين علمائها، وإثارة الخلاف، في الوقت نفسه، بينهم وبين العناصر الوطنية المنضوية تحت لواء كتلة العمل الوطني، وفي كلا الحالتين فإنها، أي سلطة الإدارة الفرنسية، تحقق هدفها، لو نجحت في مسعاها، في إضعاف تأثير المؤسسة الدينية في حركة النضال الوطني التحرري في المغرب[٦٨].

ومن منطلق الحرص على قطع الطريق أمام الإدارة الفرنسية وما تدبرها من خطط، حفاظاً على تراث القرويين ودورها الريادي، امتنع العلماء عن إجراء أي إصلاح يمس هيكل القرويين التنظيمي وحتى العمراني وتم الاكتفاء بتحسين رواتب بعض الأساتذة من خلال ارتباطهم بوزارة العدل[٦٩].

ومع ذلك وجد القائمون على إدارة الحماية الفرنسية مَنْ يشاركهم في آرائهم، ومواقفهم من قضية إصلاح القرويين، الأمر الذي أدى إلى التقائهم مع رئيس المجلس العلمي للقرويين، الذي

---

(٦٣) الوزاني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٦٥) وهو رأي (بول مارتي)، من منظري السياسة إلى عهد الحماية الفرنسية في المغرب. انظر: محمد عمراني، «جامعة القرويين، ١٩١٤ ـ ١٩٣٤،» (رسالة دبلوم الدراسات العليا غير منشورة مقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٨)، ص ١٦٩.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ١٦١.

وصف المتظاهرين بأنهم «يسعون في الأرض فساداً». أما الشيخ محمد إبراهيم الكتاني، أحد علماء القرويين، فقد عدّ أن مقالات عبد الهادي الشرايبي في الصحافة ضد الحماية الفرنسية ودعوته إلى «قدسية الوطن» مما يمس مبادئ الدين الإسلامي، التي تتضمن القدسية لله جل شأنه، الأمر الذي دفع الكتاني إلى إصدار قرار بمنع الشرايبي من التدريس في القرويين(٧٠).

أدت الأحداث التي رافقت محاولات إدارة الحماية الفرنسية للتدخل في شؤون القرويين، وتباين مواقف علمائه من طروحات الإصلاح إلى تطور مهم طرأ على نظرة الطلبة إلى مسؤولي القرويين لمواقفهم المتذبذبة، تبلور بظهور اتجاه جديد وقيادة ناشئة جديدة ونشطة وثابتة في مواقفها من قضية إصلاح القرويين والتي تمثلت بصورة خاصة في عبد الهادي التازي وبعض من زملائه في المرحلة الثانوية(٧١).

وبهذا الخصوص سجل التازي في مذكراته عن القرويين الملاحظة الآتية:

«إن المغرب يستقبل عصراً جديداً وتطوراً يعم جميع مرافقه، فإذا لم تكن هنالك نهضة علمية يرتكز عليها التطور فإنهم لا يرجون من القرويين خيراً»(٧٢).

في ضوء النهج الجديد تقدم التازي مع رفاقه بطلب تأسيس جمعية طلابية باسم «جمعية أبناء القرويين» غايتها نشر الثقافة الدينية والوطنية، والعمل على رفع المستوى «العلمي والاجتماعي»(٧٣). وعلى ما يبدو فإنَّ المجلس العلمي لم يقتنع بمبررات تأسيس الجمعية لذا تم رفض طلب التأسيس.

لكن ذلك لم يكن من شأنه ان يقلل من إصرار التازي وزملائه على مواصلة سعيهم إلى تحقيق مطالبهم في (إصلاح القرويين)(٧٤) على الرغم من كل الصعاب، وهكذا تقدموا بطلب تأسيس جمعية جديدة باسم «جمعية الرابطة القروية». وعلى ما يبدو فإن المجلس العلمي لم يعترض هذه المرة على طلب التأسيس(٧٥).

نذرت الجمعية نفسها لخدمة طلبة القرويين، وتحقيق أهدافها ولا سيما في مجال تحقيق الإصلاحات الضرورية في المؤسسة التعليمية. فقد نقلت صحيفة **الأطلس** أنباء الجمعية ونشاطها،

---

(٧٠) عبد الهادي الشرايبي، ثمن الحرية، التاريخ؛ ٩ (الرباط: دار المغرب، ١٩٧٨)، ص ٢٢ ـ ٢٣.

(٧١) عبد الهادي التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ٣ ج (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢)، ص ٧٦٠.

(٧٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٦.

(٧٣) عمراني، «جامعة القرويين، ١٩١٤ ـ ١٩٣٤،» ص ١٧٠.

(٧٤) تضمنت مطالب إصلاح القرويين توحيد مناهج التعليم فيها، وتحديد تخصص كل أستاذ، وتخصيص أماكن خاصة معلومة لكل قسم دراسي، وتحديد مدة الدراسة إذا كانت غير محددة، وإعفاء طلبة المناطق البدوية من الخدمة الإجبارية أثناء دراستهم في القرويين. انظر: التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٦٤.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٧٦٠.

ومطالبها الإصلاحية على صدر صفحاتها[٧٦]. أثار نشر مطالب الجمعية الإصلاحية، اعتراض المجلس العلمي ورفضه لها. وبما أن التازي كان مقتنعاً بأنه يستطيع أن يؤدي جزءاً من واجبه الوطني والديني من طريق الإصرار على المطالب، لذا دعا في الأول من شباط/فبراير ١٩٣٧، إلى الإضراب عن الدراسة، الذي لقي تجاوباً واسعاً من قبل طلاب القرويين ويعّد إضراب الطلبة الأول من نوعه في تاريخ القرويين أمام الحماية الفرنسية، وهو الإضراب الثاني منذ تأسيسها[٧٧].

رافق إضراب الطلبة إقامة تجمعات احتجاجية داخل القرويين دعا إليها عبد الهادي التازي. وفي الوقت نفسه رفع التازي ورفاقه مطالبهم إلى حكومة المخزن في الرباط.، وبغية إحراج موقف المخزن اعتصم المحتجون في مساكن «الطلبة الأفاقيين»[٧٨]. وكل ذلك يدخل، من دون شك، في إطار تحرك وطني واضح المعالم نجم أساساً عن تحرك أكثر أعضاء «جمعية الرابطة القروية» وعياً، وحماساً، وكان عبد الهادي التازي من أبرزهم من دون أدنى ريب. لقد أثارت نشاطات التازي ورفاقه ردود فعل شديدة لدى بعض علماء القرويين الذين عدّوا تلك المطالب مما يمس مصالحهم ولا سيما مطالبة حكومة المخزن بتسريح بعض العلماء «غير المفيدين».

أدركت إدارة الحماية الفرنسية أن ما كانت تصبوا إليه من احتواء القرويين، وتحويل مساره التعليمي الوطني باتجاه مساندة السياسة الفرنسية، قد غدا تحقيقه أمراً ممكناً بعد أن أدى الخلاف بين علمائه إلى بذر بذور الشقاق بين طلابه. فقد قام عدد من علماء القرويين بإرسال «عريضة» إلى بلاط السلطان يعلنون فيها عدم تأييدهم ما جاء في مطالب «جمعية الرابطة القروية»[٧٩]. وكما توقع عبد الهادي التازي، جرت الأمور باتجاه التصادم بين أعضاء الجمعية والطلبة الذين وقعوا تحت تأثير بعض علماء القرويين. وإزاء تطورات الموقف بادرت الإدارة المحلية لفاس إلى التفاوض مع المضربين، وطلبت منهم إنهاء الإضراب لقاء النظر في مطالبهم[٨٠].

ومن منطلق الحرص على قطع الطريق أمام محاولات إدارة الحماية الفرنسية، وما تدبره من خطط لإيجاد شرخ بين صفوف طلبة القروين، التمس عبد الهادي التازي، الذي استجاب مع رفاقه لنداء الإدارة المحلية بوقف إضراب زملائهم الذين رفضوا إنهاء الإضراب، أن يبتعدوا عن كل محاولة ترمي إلى تمزيق صفهم، وأثارت البغضاء بينهم، لأن الإدارة الفرنسية تكيد وتخطط للوصول إلى هذا

---

(٧٦) جريدة الأطلس (الرباط)، العدد ١ (١٢ كانون الثاني/يناير ١٩٣٧). يذكر أن جريدة الأطلس هي أول صحيفة تصدر باللغة العربية في منطقة الحماية الفرنسية، وكان يديرها محمد اليزيدي، وتمثل وجهة نظر الحركة الوطنية، ولسان حال كتلة العمل الوطني وتم إيقافها ومنعها من قبل المقيم العام نوغيه في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧. انظر: القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، ص ٣٧٩، و Baida et Allain, *La Presse marocaine d'expression française: Des origines à 1956*, p. 153.

(٧٧) حدث الإضراب الأول قبل مئة وخمسين عاماً من الإضراب الثاني. انظر: التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٦١.

(٧٨) الطلبة الأفاقيين: هم طلبة القرويين من أبناء المدن المغربية وبعض الأقطار العربية والأفريقية.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٧٦١.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٧٦٢.

الهدف، مؤكدين لهم أن الغرض من الإضراب قد تحقق[٨١]، ومن الجدير الإشارة إلى أن أحداث الإضراب، وما أعقبه من مفاوضات بين طلبة القرويين والإدارة المحلية، شكلت عاملاً إضافياً في عودة بعض ممن تّم استبعادهم من علماء القرويين إلى التدريس منهم علال الفاسي وعبد الهادي الشرايبي[٨٢]. وكان من الطبيعي أن يبرز التازي اسماً وطنياً عُرف بمواقفه المعادية للسياسة الفرنسية في المغرب، فضلاً عن بروز أسماء جديدة وجدت طريقها في ميدان العمل الوطني[٨٣].

ثانياً: انتساب عبد الهادي التازي إلى كتلة العمل الوطني وتطورات الأحداث السياسية عام ١٩٣٧

أشرت أحداث عام ١٩٣٦، بداية دخول «كتلة العمل الوطني» مرحلة جديدة في عام ١٩٣٧، بازدياد الوعي السياسي لدى قادة الكتلة فضلاً عن ازدياد عدد المنتمين إليها، وتعاظم الشعور المعادي للسيطرة الفرنسية، الأمر الذي دفع قادة الكتلة إلى مضاعفة نشاطهم، والاعتماد على قاعدة تنظيمية معينة مشابهة للأحزاب والتنظيمات السياسية[٨٤] وما أن حل عام ١٩٣٧، حتى كانت كتلة العمل الوطني قد عقدت في فاس مستهل شهر شباط/فبراير ١٩٣٧، اجتماعاً عاماً لأعضائها وتم في الاجتماع عرض ميثاق ونظام داخلي سينظم عمل الكتلة، كما تقرر أن تفتح فروعاً لها في أنحاء مدينة فاس والمدن المغربية الأخرى لكسب الأنصار وتسجيل أعضائها بصورة رسمية[٨٥].

الجدير بالإشارة إليه، أن تطورات الأحداث في فاس خلال عام ١٩٣٦ ونتائج الانتخابات الفرنسية التي أسفرت عن فوز الجبهة الشعبية، ورغبة فرنسا في تهدئة الأوضاع في مستعمراتها، ومنها المغرب، لتتفرغ لمواجهة الأحداث الأوروبية المتلاحقة إثر وصول الحزب النازي إلى السلطة في ألمانيا، كانت عاملاً أساسياً في قيام المقيم العام نوغيه بإطلاق الحريات العامة، والسماح لبعض الصحف المغربية بالصدور[٨٦].

وبما أن عبد الهادي التازي كان مقتنعاً بأنه يستطيع أن يؤدي جزءاً من واجبه الوطني من طريق «كتلة العمل الوطني»، لذا حرص على الانتماء إلى الكتلة كعضو فاعل؛ فبعد افتتاح أول مكتب للكتلة في منطقة

---

(٨١) المصدر نفسه، ص ٧٦٣.

(٨٢) الشرايبي، ثمن الحرية، ص ٢٣، والفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٦٤.

(٨٣) من أمثال عبد الكريم غلاب وإدريس الجابي. انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٤. ومن المفيد أن ننقل أدناه بيتاً من الشعر ألقاه إدريس الجابي والمتعلق بالإضراب.

فــإن تـكـن مـنـكـم عـشـرون صـابـرة ... فـألـف ألـف مـن الـغـوغـاء كـالـعـدم

(٨٤) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٤٨١.

(٨٥) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٩١.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

«رحبة القبس» وسط مدينة فاس في ٢٥ شباط/فبراير ١٩٣٧[٨٧]، كان التازي ووالده من بين المتقدمين للانتماء للكتلة[٨٨]. وأدى التازي يمين الانتساب أمام علال الفاسي والهاشمي الفيلالي وعمر بن عبد بن عبد الجليل ونصه: «اقسم بالله العظيم أن أخلص لديني ووطني وكتلة العمل الوطني»[٨٩].

ومن المهم أن نشير إلى أن كلاً من علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني انيطت بهما مهمة وضع النظام الداخلي للكتلة والذي تضمن إجراء انتخابات بطريقة التصويت السري لاختيار لجنة تنفيذية تأخذ على عاتقها قيادة الكتلة[٩٠].

أسفرت الانتخابات عن فوز علال الفاسي برئاسة الكتلة، ومحمد بن الحسن الوزاني أميناً عاماً. ويبدو أن حرص الأخير على الفوز بالرئاسة، دفعه إلى الانسحاب وتقديم استقالته من الكتلة، معتبراً نتيجة الانتخابات مؤامرةً دبرها ضده علال الفاسي وأنصاره[٩١]، وانه أحق برئاسة الكتلة من علال الفاسي[٩٢]. إثر انسحاب محمد بن الحسن الوزاني، رُشِحَ أحمد بلافريج لمنصب الأمانة العامة للكتلة[٩٣].

اتسعت كتلة العمل الوطني في هذه المدة، وازداد نفوذها، ولا سيما بعد نجاحها في إقامة فروع ومكاتب لها في مدن عدة من المغرب، وازداد عدد المنتمين إليها، ما دل على ازدياد شوكة الكتلة والتفاف العناصر المؤيدة حولها، كل ذلك دفع إدارة الحماية الفرنسية إلى التفكير بالقيام بإجراء ضدها. وفي مثل هذه الأجواء، كان أمراً متوقعاً أن يتم حل الكتلة، وإغلاق مراكزها في فاس في ١٨ آذار/مارس عام ١٩٣٧، بذريعة أن الكتلة كانت تنوي القيام بانقلاب ضد السلطان والإقامة العامة. وأن ترديد أعضاء الكتلة قسم الانتساب، يمثل دليلاً على ذلك[٩٤].

ساعدت الظروف، والتحولات الجديدة على بلورة آراء ومواقف سياسية وفكرية مهمة لدى قادة الكتلة التي قامت بحلِّها سلطة الإدارة الفرنسية، فتأسس «الحزب الوطني لتحقيق المطالب» في الأول من نيسان/أبريل ١٩٣٧، الذي يعد استمراراً لكتلة العمل الوطني تحت اسم جديد[٩٥]. وفي

---

(٨٧) تقع «رحبة القبس» قرب جامع القرويين في فاس، وقد بلغ عدد المنتمين إلى الكتلة في فاس وحدها عشرة آلاف شخص. انظر: القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، ص ٣٩١.

(٨٨) كان تسلسل التازي في سجل المنتمين للكتلة (٢٦)، فيما كان تسلسل والده (٢٥). انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٥.

(٨٩) المهدي بنحدو، الثلاثة المعذبون: شذرات من ذاكرة فاس الوطنية (فاس: [د. ن.]، ٢٠٠٢)، ص ٣٦.

(٩٠) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٩٢.

(٩١) القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، ص ٣٩٢.

(٩٢) كان محمد بن الحسن الوزاني يرى أنه أحق برئاسة الكتلة لما يتملكه من مزايا تؤهله لهذا المنصب؛ فإنه يتمتع بعلاقات واسعة مع أطراف داخلية وخارجية، وإن إجادته الفرنسية تؤهله للتفاوض مع فرنسا، في حين أن علال الفاسي ذو الثقافة العربية الإسلامية لا يكون مقبولاً، بحسب اعتقاده، لدى الأوساط السياسية الفرنسية. انظر: أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ص ٥٧ ـ ٥٩.

(٩٣) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٩٤) Charles-André Julien, *Le Maroc face aux imperialisms, 1415-1956* (Paris: Editions J. A., 1978), p. 185.

(٩٥) Robert Rézette, *Les Partis politigues marocains*, préface de Maurice Duverger (Paris: Librairie Armand Colin, 1955), p. 107.

الوقت نفسه، أسس محمد بن الحسن الوزاني «الحركة القومية»، وضمت عدداً من الشخصيات الذين تفرقوا عن علال الفاسي وانضموا إلى الحركة[٩٦].

وعلى ما يبدو فإن «الحركة القومية» اعترضت على آراء الفاسي لما انطوت عليه من مضمون إقليمي ضيق حال دون استمرار نشاط أعضاء الحركة في كتلة العمل الوطني.

والذي يهمنا في هذا المجال، بخاصة، وبحكم مهمتنا هو أن عبد الهادي التازي ظل واضحاً ومخلصاً مع ذاتهِ وفكره وأهدافه ونياته في ذلك الخضم، والانشقاق الذي قطع أوصال الكتلة، الأمر الذي نستشفه بوضوح مما ذكره للباحث شخصياً معللاً سبب حصول الانشقاق داخل صفوف الكتلة كالآتي:

«هو التنافس بين الزعيمين، وبين شقين، شق يحمل هوية الأصالة الدينية والمغربية، وبين شق يحمل هوية الحداثة والثقافة الفرنسية ويميل إلى مسايرة الاحتلال والتفاوض معه؛ فعلال الفاسي وجناحه يعملان على المحافظة على إسلام المغرب وتقاليده الموروثة، كونهم ينتمون إلى جامع القرويين، بينما كتلة الوزاني تنتمي إلى من درسوا في فرنسا»[٩٧].

لا ريب في أن جملة من العوامل الداخلية والخارجية ساهمت في فتور العلاقة بين زعيمي الكتلة، علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني، ومن ثم افتراقهما؛ إن الزعيمين ينحدران من أسرتين عريقتين تتمتعان بمكانة اجتماعية واقتصادية ودينية بارزة في المجتمع الفاسي. تتنافسان في سبيل الحصول على الزعامة[٩٨] لذا فإن نتيجة انتخابات كتلة العمل الوطني، جاءت مخيبة لآمال الوزاني في الحصول على الزعامة[٩٩].

كما إن تباين التوجهات الفكرية والعقائدية للزعيمين، ساهم في اشتداد الخلاف بينهما، فان من أهم مبادئ الحزب الوطني الذي ترأسه علال الفاسي، التأكيد على التمسك الكامل بمبادئ الدين الإسلامي وضرورة أن تستند الإصلاحات إلى الشريعة الإسلامية[١٠٠]. وتضمنت نشرة الحزب المطالبة بمكافحة التبشير في مناطق البربر من خلال إقامة الفاعليّات، وحملات التوعية الدينية بينهم[١٠١]. كما أكدت تأييد النظام السلطاني المستند إلى نظام برلماني[١٠٢].

(٩٦) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٩٧) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٤.

(٩٨) محمد مزين، تاريخ مدينة فاس: من التأسيس إلى أواخر القرن العشرين ـ الثوابت والمتغيرات (فاس: مطبعة سيياما، ٢٠١٠)، ص ٢٣٥.

(٩٩) أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ص ٥٩.

(١٠٠) صلاح العقاد، المغرب العربي (الجزائر ـ تونس ـ المغرب الأقصى)، ط ٣ (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦٩)، ص ٣٩٤.

(١٠١) أحمد عسه، المعجزة المغربية (بيروت: دار القلم، ١٩٧٥)، ص ٢١٥.

(١٠٢) العقاد، المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

وفي ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فقد تضمنت نشرة الحزب أهمية العمل على إسناد القضية الفلسطينية بتشكيل لجنة خاصة لمتابعتها والتصدي للمخططات الصهيونية[١٠٣].

وبالمقابل، تبنت «الحركة القومية» فكرة الإصلاح على الأسس الغربية، وإن ما كان صالحاً للدولة في عصورها القديمة، لم يعد صالحاً لحالتها الحاضرة. وترى أن الدولة محكوم عليها بالموت لا محالة إن لم تتمثل خطى التطور الغربي فتكون معارفها كمعارف فرنسا ونظامها كالنظام الإنكليزي في الإدارة والحكم[١٠٤]. وإن الحركة الوطنية يمكنها أن تتفادى كل ما تواجهه من تضييق وملاحقة إذا ما طبقت أسلوب التفاوض والوسائل السلمية في عرض مطالبها[١٠٥].

في مثل هذه الظروف، كان من الطبيعي أن يتحول انشقاق كتلة العمل الوطني إلى تيارين: الأول، يمثل التيار العروبي الإسلامي. وتيار ثانٍ، هو التيار «الفرانكفوني»[١٠٦].

كان أمراً طبيعياً أن تمس هذه التطورات، وانشقاق كتلة العمل الوطني، مشاعر التازي في الصميم. فقد أدرك في هذه المرحلة مدى ضرورة الانتباه إلى خطورة حالة التشظي على مستقبل الحركة الوطنية، والتصدي للسياسة الفرنسية الهادفة إلى تمزيق الوحدة الوطنية. وضمن هذا الإطار أخذ التازي، من خلال مقالاته في صحيفة الوحدة المغربية التي كانت تصدر في تطوان[١٠٧]، يؤكد باستمرار معاني الوطنية والألفة والاتحاد؛ فعلى سبيل المثال كتب مقالة بعنوان «هذا بلاغ للناس»، تمحورت حول حب الوطن والمصالح الوطنية، ونبذ التفرقة. وهو يستهلها بالقول: «إن الأمة لا تحتاج إلى زعماء بل تحتاج إلى علماء». ومضى يقول «إن النسب مَن هو مِن الخيرات الجليلة، والنعم الفاضلة، ولكنه فخر الآباء وليس هو فخرنا».

والمال كذلك من أنفَس ما يتنافس عليه المتنافسون والمجد والسؤدد من أجل ما ينشده ويحترم، ولكنه صعب المرتضى قليل التحقيق لا يدركه إلا ذوو الهمم العالية والأخلاق السامية لا صغار النفوس الحاسدون وضعاف الأحلام القاصرون...

يبقى أن ما يشرب الإنسان من هذه الخيرات الإلهية الكريمة هو «العلم»؛ فما سادت امة ولا تمدنت ولا بلغت ذروة المجد والنجاح والتقدم والفلاح، إلا وسببها «العلم». والعرب لم تفتخر إلا بالعلم ليس إلا...

---

(١٠٣) عسه، المصدر نفسه، ص ٢١٦.

(١٠٤) محمد حسن الوزاني، «الصراع بين الحق والباطل،» جريدة الدفاع (الرباط)، العدد ٢ (٧ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧).

(١٠٥) جريدة الدفاع، العدد ٣ (١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧).

(١٠٦) مصطلح أطلق على البلدان الناطقة باللغة الفرنسية، والتي كانت تحت الاحتلال الفرنسي، وأطلق كذلك على من تأثر بالثقافة الفرنسية.

(١٠٧) اعتاد عبد الهادي التازي نشر مقالاته في صحيفة الوحدة المغربية في تطوان وهي من المدن الخاضعة آنذاك للنفوذ الإسباني، وتصل أعدادها إلى فاس عبر البريد الدولي في طنجة. انظر: الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٣٥.

يا أيها الذين تقولون عن أنفسكم إنكم «مصلحون»، اجعلوا نصب عينكم قول الزعيم زغلول «لا إصلاح إلا بالعلم».

رأي التازي هنا واضح، وهو أن سبب الانقسام والضعف والانحلال السياسي وعدم القدرة على مواجهة سلطة الإدارة الفرنسية، يكمن، كما يبدو، في تعدد الزعامات السياسية وما يتبعه من تعدد الآراء السياسية. وان علاقة الأفراد والشعب بالزعماء أو بالسلطة، يتركز على نقطة أساسية، وهذه النقطة هي أن الشرط الموضوعي لإدارة شؤون الشعب بالحكمة هو أن تكون دوماً تحت المراقبة الشديدة، والمحاسبة الدقيقة. وأن وجود العلماء والحكماء من شأنه أن يسهم في ضبط سلوك الزعماء، وتصرفاتهم، ويحول دون تفاقم الخلافات إلى درجة القطيعة. ولهذا يختم التازي مقالته بدعوة الزعماء إلى «العودة إلى ساحة العمل والجهاد من خلال الوحدة والاتحاد»[١٠٨].

ويتابع التازي في مقالة أخرى على صفحات الوحدة المغربية وفي العدد الذي تلى ظهور مقالته الأولى؛ فتحت عنوان «يا قومنا أجيبوا داعي الله» عرض أسباب التحول الذي حدث وأصاب المغرب بالانحطاط والتخلف؛ فهو يرى الخلل في التشتت، وغياب الشعور بوحدة المصير، لذا نراه يدعو قومه إلى الاتحاد إذا «أرادوا أن يصبحوا أمة راقيةً مستشهداً بالآية الكريمة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١٠٩].

ويبدو تأكيد هذا المبدأ نفسه واضحاً في مقالته التي نشرها في الصحيفة نفسها وفي العدد ٢٣ تحت عنوان «وطني»؛ فقد أكد التازي على أن الوطن هو «أغلى من الأب والام والأخ، لذا يفدى له كل شيء وعليه وبما أن المغرب يئن في الاستعمار فهو بحاجة إلى التضحية، فإن لم يضحَ له سيضحى به بسبب المنازعات والخلاف»[١١٠].

إذاً كان التمسك بالوطنية، ووحدة القوى الوطنية، الهدف المهم للتازي في تلك المرحلة من نشاطه الفكري والسياسي، ولا سيما أنه كان متهيئاً خصوصاً لتقبل محتواها، وتلقي إشعاعاتها، فقد ساعد المناخ السياسي والفكري الذي فرضته الأوضاع الجديدة التي رافقت وقوع الانقسام داخل كتلة العمل الوطني، على تنمية الحس الوطني، ودفعه إلى حيز الوجود أكثر من ذي قبل.

الجدير بالذكر أن التازي هنا، قرِن الوحدة الوطنية، التي جعلها بديلاً من حالة الانقسام، برقي الوطن ومواجهة السياسة الفرنسية.. وقرِن الاتحاد الوطني بمقتضيات العصر من وجود زعماء وقادة يقودون أمتهم إلى مراتب التقدم والتحرر. وما نشره التازي في تلك الأيام بشأن هذا الموضوع يلقي الضوء على حجم ما تعانيه الحركة الوطنية، وما قد ينعكس من آثار اجتماعية وسياسية؛ فعلى سبيل

(١٠٨) عبد الهادي التازي، «هذا بلاغ للناس،» الوحدة المغربية، العدد ١٢ (١٧ آذار/مارس ١٩٣٧).

(١٠٩) القرآن الكريم، «سورة آل عمران،» الآية ١٠٣، انظر أيضاً: عبد الهادي التازي، «يا قومنا أجيبوا داعي الله،» الوحدة المغربية، العدد ١٨ (١٨ نيسان/أبريل ١٩٣٧).

(١١٠) عبد الهادي التازي، «وطني،» الوحدة المغربية، العدد ٢٣ (٢٥ نيسان/أبريل ١٩٣٧).

المثال، نشر التازي في الوحدة المغربية، مقالة بعنوان «خصال عظام»، أوضح فيها أهمية توافر «الخصال العظيمة» في قادة الأمة، وزعماء الحركة الوطنية[١١١].

وضمن السياق نفسه، بدأت مساحة النشاط السياسي والفكري تتوسع لدى التازي ليشمل العمل في اللجان التي شكلها «الحزب الوطني»[١١٢] باعتباره أحد أعضائه، ومنها «لجنة التعليم» التي تهم التازي أكثر من أي لجنة أخرى. وكما رأينا في مبحث سابق، فقد كان للتازي الدور الواضح، مع أعضاء اللجنة الآخرين، في دفع طلبة القرويين إلى الإضراب للمطالبة بإصلاح المؤسسة التعليمية[١١٣].

لم يقتصر نشاط التازي على الإسهام في لجنة التعليم فحسب، بل ساهم في لجنة «الإصلاح الديني والاجتماعي»، وتولى مهمة إعادة تنظيم «جمعية المحافظة على القرآن الكريم» في فاس باعتباره أميناً عاماً لها[١١٤]، ومن المرجح أن الجمعية تصدت، فضلاً عن مهمتها الدينية، لموضوعات تتعلق بالقضايا الوطنية[١١٥].

وإدراكاً منه لأهمية التربية الرياضية ودورها في تنشئة الشباب تنشئة سليمة جسماً وعقلاً، بادر بالاشتراك مع عدد من أعضاء الحزب الوطني في فاس، إلى تأسيس جمعية رياضية تحت اسم «الجمعية الرياضية الإسلامية»[١١٦]. ودعوة الشباب المغربي إلى الانخراط في الفرق الرياضية، والتجمعات الكشفية بهدف تنظيم «الشبيبة المغربية»[١١٧]. ومن هذا المنطلق، كتب التازي بهذا الخصوص مقالة في صحيفة الأطلس مؤكداً ضرورة انضمام الشباب إلى هذه الجمعية. واعتبر أنّ «من أهم الضرورات أن ينظم الشباب إلى الجمعية الرياضية الإسلامية لما لها من أهمية في بناء جسم الإنسان، وما توفره له من سعادة عندما يكون جسمه معافىً، وأن السعادة ليست في ارتياد الملاهي والانغماس في الملذات والمحرمات. وأن البلاد بحاجة لأبنائها الأصحاء من أجل تحقيق تقدمها ورفاهيتها»[١١٨].

يبدو أن مقالات التازي في الأطلس والمغرب، جلبت أنظار الإدارة الفرنسية، فامتنعت عن الموافقة على تأسيس الجمعية على الرغم من الطلبات المتكررة التي قدمها أعضاؤها، ما يعد دليلاً على اتجاهها الوطني المعادي للهيمنة الفرنسية وللوجود الفرنسي في المغرب، وما قد تحمله من أهداف ومبادئ تغذي بها الشباب المغربي وتساهم في تنمية الوعي السياسي لديهم وتنور أذهانهم، ولا سيما أن مقالات التازي قد أصبح لها صدى طيب في أوساط الشباب المغربي[١١٩].

---

(١١١) عبد الهادي التازي، «خصال عظام،» الوحدة المغربية، العدد ٢٤ (٢٨ نيسان/أبريل ١٩٣٧).
(١١٢) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٢٠١.
(١١٣) التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٦٢.
(١١٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٨.
(١١٥) المصدر نفسه، ص ٣٩.
(١١٦) جريدة المغرب (سلا)، العدد ٢٣ (٦ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧).
(١١٧) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٢٠٥.
(١١٨) الأطلس، العدد ٣٠ (١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧).
(١١٩) مقالة نشرها عبد الهادي التازي، في: مجلة الجمعية الرياضية السلاوية (الرباط)، العدد ٢ (حزيران/يونيو - تموز/يوليو ٢٠٠٦)، ص ٧.

وفي خضم الآراء والتيارات المختلفة، تبنى عبد الهادي التازي طريق الوقوف بوجه التيارات الفكرية الغربية التي أخذت تغزو عقول عدد من المثقفين، بما يحفظ تراث الأمة العربية وحضارتها، ومبادئ الإسلام التي آمن بها إيمان المؤمنين الصادقين، ما انعكس في تلك السنوات في مواقف شتى تمثل توجهاته السياسية والفكرية.

ومن جانب آخر، تركت سياسة الإقامة العامة آثارها في الحالة الأمنية في المغرب التي شهدت قيام حركات احتجاج واسعة في مكناس[(١٢٠)] والخميسات[(١٢١)] ومراكش[(١٢٢)]؛ فقد تلقت الأوساط الشعبية في المدن المغربية الأخرى أنباء الاحتجاجات وخرجت في تظاهرات، أسفرت عن صدامات دامية بين المتظاهرين والقوات الفرنسية، الأمر الذي دفع المقيم العام إلى اتهام الحزب الوطني وزعيمه علال الفاسي وتحميله مسؤولية الأحداث. وبذلك توافرت لإدارة الحماية الفرنسية فرصة ملائمة لضرب الحركة الوطنية؛ فقد اصدر المقيم العام في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧، أمرهُ باعتقال علال الفاسي ونفيه إلى الغابون. كما شمل الاعتقال محمد بن الحسن الوزاني الذي نفي إلى الصحراء[(١٢٣)].

وإزاء هذا الموقف المتعنت من جانب المقيم العام، انطلقت الجماهير الغاضبة في فاس التي طالبت بالإفراج عن المعتقلين، وإطلاق الحريات العامية. وجرى تصادم بين المحتجين والقوات الفرنسية تسبب في سقوط عدد من الجرحى من المتظاهرين، الأمر الذي أدى إلى الاحتماء بالقرويين والاعتصام به[(١٢٤)].

غير أن هذا لم يكن يعني أن المحتجين اصحبوا في مأمن من ملاحقة الجنود الفرنسيين، فقد أمر المقيم العام بتطويق القرويين بالآليات العسكرية تمهيداً لاقتحامه، الأمر الذي دفع المحتجين إلى إخلائه خوفاً من استباحة حرمته[(١٢٥)].

لم يرتضِ عبد الهادي التازي، الذي ساهم بشكل فاعل في حركة الاحتجاجات في فاس، والاعتصام في القرويين، أن يستسلم بسهولة لقوى الاحتلال الفرنسي؛ فبعد أحداث فاس قرر العمل

---

(١٢٠) أحداث مكناس: وقعت في الثالث من آب/أغسطس ١٩٣٧، عندما قامت السلطات الفرنسية بتحويل مجرى مياه نهر وادي بوفكران عن مجراه الأصلي لمصلحة المستعمرين الفرنسيين نتج منها صدامات بين القوات الفرنسية وأهل مكناس. للمزيد انظر: بوشتى بوعسرية، أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني شبتنبر ١٩٣٧ (الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٠).

(١٢١) أحداث الخميسات: حدثت تصادمات بين عناصر الحزب الوطني والقوات الفرنسية بعدما حاول الفرنسيّون إقامة تمثال لقديسة فرنسية في منطقة الخميسات. وهي منطقة إسلامية لا يوجد فيها مسيحي واحد، كان الغرض من هذه المحاولة الفرنسية تغير هوية المنطقة الإسلامية (الخميسات). انظر: شفيق عبد الرزاق السامرائي، «حزب الاستقلال المغربي،» مجلة العلوم السياسية (بغداد)، السنة ٣، العدد ٨ (آب/أغسطس ١٩٩٠)، ص ١٣.

(١٢٢) أحداث مراكش: قامت السلطات الفرنسية بحملة اعتقالات ومداهمات في مدينة مراكش في تشرين الأول/أكتوبر، إثر اغتيال أحد المسؤولين الفرنسيين في مراكش. انظر: المصدر نفسه، ص ١٢.

(١٢٣) فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩، ص ٤٨٨.

(١٢٤) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٢١٩.

(١٢٥) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٣.

ضمن الخلايا السرية للحزب الوطني الذي صدر أمر حلهِ من قبل المقيم الفرنسي في ٢٣ من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧[١٢٦].

أثار اعتقال زعماء الحركة الوطنية، وحل الحزب الوطني، وتصريح المقيم العام الفرنسي «نوغيه» في فاس، وفي أروقة فندق «النجاريين» انه «قضى على الوطنية، ووضع رئيس الحزب الوطني تحت نعليه»[١٢٧]، حفيظة عبد الهادي التازي الذي اعتبر ذلك طعناً في الآمال الوطنية، وتكريساً للسيطرة والهيمنة الفرنسية على مقدرات البلاد.

لم يعرف التازي لليأس والقنوط معنىً؛ فقد كان جريئاً إلى الحد الذي قرر فيه الانضمام إلى إحدى الخلايا السرية للحزب الوطني الذي واصل نشاطه في السر تحت قيادة جديدة برئاسة محمد اليزيدي ومركزها في الرباط[١٢٨]. وقد ضمت الخلية عدداً من أعضاء الحزب الذين لم يطالهم الاعتقال. وتولى مهمة الاتصال بالتازي وتبليغه تعليمات الحزب محمد السعداني الذي كان يجتمع به في إحدى الدور بمنطقة «درب الطويل»[١٢٩].

وفي تلك المرحلة، بدأ التازي يدرك أهمية التفكير بالتحرك السياسي على نطاق أوسع باتجاه توحيد الجهود في عملية نشر الوعي السياسي، وإثارة الشعور الوطني والقومي. وعلى ما يبدو فإنّ هذا التحرك لم ينصب في مجرى تنظيمي يستند إلى توجيه الحزب له[١٣٠].

وبما أن التازي، كما لاحظنا سابقاً، يعتبر الصحافة مجالاً رحباً لإشباع ميله الصحافي، ومن دون شك، فإن الصحف التونسية أسهمت في نشر مقالات رواد الحركة الوطنية المغربية إثر قيام المقيم العام الفرنسي في المغرب بإصدار أوامر بإغلاق الصحف الوطنية المغربية[١٣١] وعلى هذا الأساس اتخذ التازي من صحيفة الإرادة التونسية منبراً للتعبير عن آرائه السياسية التي أراد بها خدمة أمته، وإصلاح أمرها، والتنديد بالسياسة الفرنسية الاستعمارية. وكان التازي يرسل مقالاته إلى الصحيفة المذكورة عبر فرع البريد الإنكليزي في فاس.

يبدو أن التازي لم يجرؤ على نشر مقالاته في الإرادة التونسية باسمه الصريح، فكان يذيل مقالاته باسم مستعار هو «لجنة الرابطة الشعبية» خشية من ملاحقة السلطات الفرنسية.

وضمن هذا الإطار أخذ التازي يؤكد باستمرار معاني الوطنية والألفة والاتحاد ومقاومة الظلم والهوان على يد الفرنسيين؛ فعلى سبيل المثال، نشر مقالة حملت عنوان «إخواننا المغاربة» في ١٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٧. وتوج المقالة بمقدمة تمحورت حول تذكير الشعب المغربي بزعيمهم

---

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(١٢٧) الفاسي، عقيدة وجهاد (نص التقرير الذي ألقاه علال الفاسي في المؤتمر العام لحزب الاستقلال ٨ ـ ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٦٠) ص ١٧ ـ ١٨.

(١٢٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٥.

(١٢٩) علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥)، ص ٢١١.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١١٩، والزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٣٩.

(١٣١) الوزاني، مذكرات حياة وجهاد: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، ص ٢١١.

علال الفاسي الذي مضى على نفيه من قبل السلطات الفرنسية أكثر من شهر وهو «الزعيم الذي رفض لهم العبودية والهوان». وبيّن «تلاعب الفرنسيين بتنفيذ وعودهم». إذ قال «لقد مضى شهر كامل على نفي الذائد عن حقوقنا والثائر لكرامتنا «علال» تلك الشخصية العالية التي أمد الله بها شعبنا المنكوب، فكانت علة كبيرة ابتلى بها الاستعمار الحقود تلك النفس الشريفة التي تأبى أن ترضى لشعبها بالعبودية والهوان والتي كانت تقول «ليس المغربي مغربيا إذا لم يكن لأبيه المغرب ابنا حانياً وفياً لندائه سميعاً ملبياً وعلى مذبح مطالبه الحقة مضحياً». أيها المغاربة الأباة.

«إن مطالبكم الضرورية لحياتكم والتي بذلتم في سبيلها أرواح بنيكم وخلاصة جهادكم وحشاشتكم التي كلما طالبنا بها أجابوا أن الوقت غير ملائم لتنفيذها؛ فما قضوا على الظلم والجهل السائبين في بلادنا وإنما قضوا على حياتنا وسحقوا كرامتنا»[١٣٢].

ويعود التازي في أعداد أخرى من الإرادة، إلى تناول الآثار الاجتماعية والسياسية الفرنسية في المغرب، الأمر الذي يقدم مؤشرات واضحة تبين ظهور ملامح فكر قومي وطني مناقض للفكر السائد؛ فقد نشر سلسلة مقالات تحت عنوان «صوت الوطنية المغربية»، فهو في المقالة الأولى التي حملت عنوان «كشف الستار»، يسلط الضوء على أسلوب الفرنسيين في خداع الناس فهم «يدّعون الحضارة ونشر السلام وحماية المظلومين»، في حين أنهم في المغرب «عملوا على إذلال الشعب المغربي وتحويله إلى العبودية؛ فبعد ربع قرن من الحماية زادت الأوضاع سوءاً». وهو في ذلك أراد أن يبعث الهمم في نفوس مواطنيه، ولهذا فهو يدعوهم إلى «التصدي لهؤلاء المستعمرين». إذ كتب «الرجعية تتكلم باسم فرنسا القوية الجبارة التي تفخر بأساطيلها وجيوشها وتدعو إلى السلام والى حماية المظلوم، نراها اليوم تستعبد المغاربة وتحولهم من سادة إلى أرقاء، ومن أعزة إلى أذلاء، ومن أمة متحدة إلى أمة متخلفة... وما ذلك كله إلا لتعكر البحر والاصطياد في الماء العكر وهيهات أن يمكنها مغربي من إدراك هذه الغاية المجرمة»[١٣٣].

لم ينسَ التازي الإشادة بشهداء المغرب ممن حملوا اسم الوطن في سويداء قلوبهم وسطروا ملاحم النداء والتضحية في سبيل الحرية، ولا عبودية لغير الله سبحانه. ففي مقالته التي نشرت في ٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٣٨، ذكر ما نصه:

«الشهداء ما أدراك ما الشهداء؟ الشهداء تلك الكلمة التي احتفى بها الوطن وأثارت فيه كوامن الألم والشجن ما أحلاها من كلمة وأشرف معناها... أنه لشرف لو تعلمون عظيم... لا يحظى به إلا أولئك الذين أدركوا أن حياتهم ملك لوطنهم فقد مدها له حينما طلبها... وأن الحرية لا تنمو إلا إذا أسقتها الدماء وغذاها الاستشهاد». إلى أن يختم المقالة بهذا الكلام «اشهد أيها التاريخ ثم اشهد ثم

(١٣٢) عبد الهادي التازي، «إخواننا المغاربة،» الإرادة (تونس)، العدد ٢٦١ (١٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٧).
(١٣٣) عبد الهادي التازي، «كشف الستار،» الإرادة، العدد ٢٦٤ (١٧ تموز/يوليو ١٩٣٨).

قل بملء فيك «إن المغرب لا يمكن أن يُستعبد» وأن الحر لن يسترق ولئن كبل بالأغلال وصفد فهو في أصفاده كالأسد الجسور الحر في قيوده ما يفك يزأر حتى يموت أو يتحرر»[١٣٤].

ومن شأن ما يذكر التازي عن السياسة الفرنسية في المغرب، وبيانه لها، أن يلقي الضوء على بعض آرائه السياسية في علاقات الشعوب المحتلة، ومنها الشعب المغربي، بالسلطة المحتلة كما يجب أن تكون. فتحت عنوان «لن نقبل الأوتوقراطية أبداً» كتب التازي في الإرادة، مخاطباً أحرار فرنسا محاولاً لفت أنظارهم إلى ممارسات إدارة الحماية الفرنسية في المغرب المتسمة بالتنكيل ومصادرة الحريات وسوء النظام الإداري وعدم تلبية الحكومة الفرنسية آمال الشعب المغربي في الحرية والاستقلال، والتي كان من نتائجها انفجار الموقف لأن السخط على إدارة الحماية وسياستها وإدارتها المستبدة قد بلغ أوجه، وأدى ذلك بالنتيجة إلى اصطدام قيادات الحركة الوطنية بالسلطات الفرنسية. ويمضي التازي ليؤكد لرجال الحماية الفرنسية «طالما أعلمنا أن سياسة الضغط والإرهاق لا تفيد في شعب المغرب الجسور وطالما قلنا للرجعية إنَّ هذه السياسة لا تزيدنا إلا ثباتاً على مبدئنا... أنهم لا يستطيعون القضاء على عقيدة المغاربة لأنهم رضعوها من أثداء أمهاتهم، ولأن قوتهم من قوة الله، وقوة الله لا تقاوم، وأنه من الخير لهم أن يكسبوا صداقة الشعب المغربي لا عداوته، وإطلاق سراح المدافعين عن حقوقه»[١٣٥].

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن مقالات التازي المذيلة بتوقيع «لجنة الرابطة الشعبية» بدأت تستأثر باهتمام الفاسيين، وباتت عبارة «لجنة الرابطة الشعبية» ترددها الألسن ومن ثنايا أقوال قادة الحركة الوطنية والى الحد الذي نسبوا إليها أعمالاً وطنية، فيما كان محمد السعداني، الذي سبقت الإشارة إليه، يعتبر اللجنة إحدى قوى الكتلة الوطنية السرية[١٣٦].

سببت مقالات التازي في الإرادة، وقيام عناصر الحركة الوطنية بتوزيع المنشورات المنددة بالسياسة الفرنسية، وانتشار صور علال الفاسي في دور أهالي فاس، في ازدياد اهتمام إدارة الحماية الفرنسية في فاس بمتابعة نشاطات التازي بوصفه لولب الحركة الوطنية وأنه وراء تزايد النشاطات السرية المقاومة للوجود الفرنسي في المغرب[١٣٧].

إن تعاظم نشاط التازي في الحركة الوطنية، وظهور بوادر تنم عن ازدياد شوكة العناصر الملتفة حول علال الفاسي، والتي كانت تستهدف معارضة السياسة الفرنسية، كل ذلك دفع إدارة الحماية إلى التفكير في القيام بحملة ملاحقة أعضاء الحركة الوطنية وأنصارها، لغرض اعتقالهم وفي مقدمهم عبد الهادي التازي. وبهذا الخصوص سرد التازي تفاصيل حادث اعتقاله في مذكراته، ومفاده أن إدارة الحماية تمكنت من الإيقاع بالتازي، وذلك عندما ذهب إلى محل للتصوير الفوتوغرافي يديره

(١٣٤) عبد الهادي التازي، في: الإرادة، العدد ٢٦٦ (٢٠ تموز/يوليو ١٩٣٨).
(١٣٥) عبد الهادي التازي، «لن نقبل الأوتوقراطية أبداً،» الإرادة، العدد ٢٦٧ (٢٧ تموز/يوليو ١٩٣٨).
(١٣٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٥.
(١٣٧) الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٤٠.

أحد اليهود[١٣٨] لغرض طبع صور لزعيم الحركة الوطنية من دون أن يعلم أن المصور كان متعاوناً مع السلطة الفرنسية. وفي الموعد المقرر لتسلم الصور فوجئ التازي برجال الأمن الفرنسيين الذين قاموا باقتياده إلى دائرة الأمن الفرنسية. وخلال مكوثه في دائرة الأمن تعرض إلى أنواع من التعذيب والضرب على يد المحققين الفرنسيين الذين حاولوا الحصول منه على اعترافات تتعلق بالجهة التي تقوم بطبع وتوزيع المنشورات المعادية للوجود الفرنسي، ونشر صور علال الفاسي الذي عدوه متعاوناً مع «الألمان النازيين»[١٣٩]. ومثل جميع الوطنيين، وفي موقفه هذا كما في الكثير من مواقفه اللاحقة، تمسك التازي بمبادئ الحركة الوطنية، فكان رفضه القاطع الإدلاء بأية معلومات عن خلايا الحزب الوطني ونشاطها، مع علمه بأماكن طبع المنشورات وتوزيعها[١٤٠].

يروي التازي في مذكراته كيف أن رجال الأمن الفرنسي اقتادوه إلى المحكمة سيراً على الأقدام برفقة إحدى «المومسات» المتهمة بجريمة أخلاقية وطافوا به في شوارع فاس القديمة قبل توجههم إلى المحكمة وهو إجراء دأبت إدارة الحماية على اتباعه مع المعتقلين من رجال الحركة الوطنية[١٤١].

في الوقت الذي تم فيه مثول التازي أمام محكمة مدينة فاس متهماً، تمكن والده من استمالة الحاكم محمد التازي[١٤٢] الذي استفهم منه صلته بأسرة مخا التازي. ولما علم الحاكم بصلة المتهم بالأسرة المذكورة أصدر الحكم بحبس التازي شهراً واحداً. ويشير التازي في مذكراته أن المندوب الفرنسي عارض بادئ الأمر قرار الحكم وأن موافقته بعد ذلك كانت أثر أبلاغه بأن المتهم ما زال طالباً[١٤٣].

يصف عبد الهادي التازي وضعه في سجن عين قادوس منذ إيداعه فيه في الثالث من نيسان ١٩٣٨ برقم ٢٤٨١١ بتهمة «الدعاية الوطنية وتوزيعه لمنشورات معادية لفرنسا» بقوله: «قضيت أياماً السجن مع ذوي السوابق الإجرامية، وكثيراً ما تعرضت إلى التعذيب النفسي من قبل حراس السجن»[١٤٤] (انظر الملحق الرقم (٢ ـ ٣) و(٢ ـ ٤)).

---

(١٣٨) يهود المغرب: تشكل نسبة اليهود في المغرب ٢ في المئة من المجتمع المغربي، وتشير المصادر إلى أن اليهود نزحوا إلى المغرب في حقب وأزمان مختلفة وانتشروا في المدن المغربية، مارس اليهود في المغرب النشاط الاقتصادي ومال الكثير منهم إلى تأييد السياسة الفرنسية. للتفاصيل، انظر: Robert Assaraf, *Éléments de l'histoire des juifs de Fès: de 808 à nos jours*, préface de Mohamed Mezzine (Rabat: Editions Bouregreg, 2009), pp. 158-187.

(١٣٩) عبد الهادي التازي، «نحو الطريق إلى السجن،» جريدة العلم (الرباط)، الملحق الثقافي، العدد ٤٧٥ (٦ تموز/يوليو ١٩٧٩)، ص ١٠ ـ ١١.

(١٤٠) كانت المنشورات تطبع سراً في دار أحمد مكوار ويتم توزيعها من منطقة درب الروم، انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٦، وبنحدو، الثلاثة المعذبون: شذرات من ذاكرة فاس الوطنية، ص ٧٢.

(١٤١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٥.

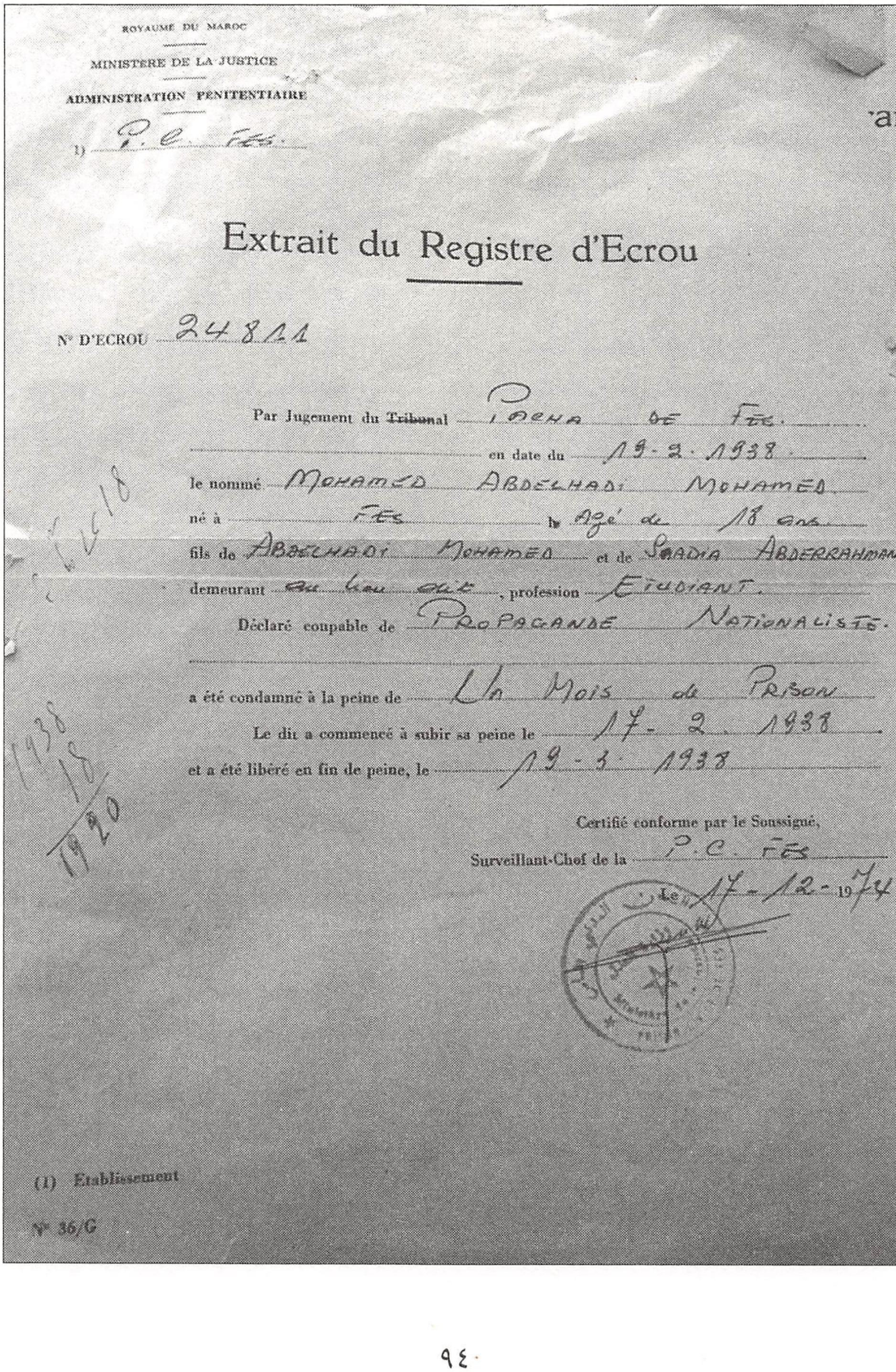
(١٤٢) ينتسب محمد التازي إلى فرع الشيخ من عائلة التازي، ومن فروعها فرع موخا وفرع مسلك. وقد عرف عن محمد التازي تعاونه مع السلطات الفرنسية التي عينته حاكماً على مدينة فاس في عقد الثلاثينيات. انظر: جون واتربوري، الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة ماجد نعمة وعبود عطية (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢)، ص ٧٣.

(١٤٣) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٤٧.

(١٤٤) المصدر نفسه، ص ٤٧ ـ ٤٨.

الملحق الرقم (٢ ـ ٣)

صورة سجل (قيد) إيداع سجين في ١٩٣٨/٢/١٩
الاتهام المبين (المعلن) دعاية وطنية ضد السلطة



ROYAUME DU MAROC

MINISTERE DE LA JUSTICE

ADMINISTRATION PENITENTIAIRE

(1) P.C. FES.

Extrait du Registre d'Ecrou

N° D'ECROU 24811

Par Jugement du ~~Tribunal~~ Pacha de Fès.

en date du 19-2-1938.

le nommé Mohamed Abdelhadi Mohamed

né à Fès le Agé de 18 ans

fils de Abdelhadi Mohamed et de Saadia Abderrahmane

demeurant ~~au lieu dit~~, profession Etudiant.

Déclaré coupable de Propagande Nationaliste.

a été condamné à la peine de Un Mois de Prison

Le dit a commencé à subir sa peine le 17-2-1938.

et a été libéré en fin de peine, le 19-3-1938

Certifié conforme par le Soussigné,

Surveillant-Chef de la P.C. Fès

Le 17-12-1974

(1) Etablissement

N° 36/G

الملحق الرقم (٢ ـ ٤)

صورة سجل إيداع سجين باللغة العربية وهو ترجمة للملحق الرقم (٢ ـ ٣)

مملكة المغرب
وزارة العدل
مصلحة السجون
صورة سجل (قيد) إيداع سجين
رقم السجين ٢٤٨١١
بواسطة حكم باشا فاس
بتاريخ ١٩٣٨/٢/١٩
الاسم محمد عبد الهادي محمد
ولد في فاس
العمر ١٨ سنة
ابن عبد الهادي محمد وسعدية عبد الرحمن
المهنة طالب
الاتهام المبين (المعلن) دعاية وطنية ضد السلطة
الحكم بعقوبة شهر في السجن
تبدأ في ١٩٣٨/٢/١٧
يطلق سراحه في نهاية العقوبة ١٩٣٨/٣/١٩

ومهما يكن من أمر، ما فإن عبد الهادي التازي استمر في نشاطه السياسي والفكري بعد خروجه من السجن، والإسهام في «جمعية المحافظة على القرآن» بإلقاء الخطب الوطنية والدينية[١٤٥]. مع حرصه، في الوقت نفسه، على التزود بالعلم والمعرفة في القرويين تلافياً لما فاته من دروس ولا سيما أن قيام الحرب العالمية الثانية في أيلول/سبتمبر ١٩٣٩، فرض على فرنسا الحفاظ على استقرار الأوضاع في المغرب، وفي أقطار عربية أخرى خاضعة لها. ومن ناحية أخرى كان سلطان المغرب يرتئي، أغلب الظن، مساومة فرنسا في ما إذا ساندها المغرب في حربها بهدف تحقيق مكاسب سياسية لقاء دعمها في الحرب. ولهذه الغاية، توجه وفد للمقيمية الفرنسية ونقل لها «رغبة السلطان في دعم الشعب الفرنسي في حربه، ولا سيما أن أقطار المغرب العربي لم تكن بمنأى عن انعكاسات الحرب[١٤٦].

---

(١٤٥) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٤٦) روم لاندو، **أزمة المغرب الأقصى**، ترجمة محمد إسماعيل علي وحسين الحوت (القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦١)، ص ٢٤٦ ـ ٢٥٢.

مهما يكن من أمر فإن نشاطات رجال الحزب الوطني، ومن ضمنهم عبد الهادي التازي، دخلت مرحلة جديدة مع تطورات الحرب العالمية الثانية، وهزيمة فرنسا أمام الجيوش الألمانية.

ثالثاً: مرحلة جديدة من نشاط التازي الفكري والسياسي

كان من الطبيعي أن تنعكس آثار التناسب الجديد للقوى التي ظهرت إثر انهيار فرنسا، ودخول ايطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا في العاشر من حزيران/يونيو عام ١٩٤٠، على آراء قادة الحركة الوطنية في المغرب ومواقفهم وطروحاتهم الوطنية. ولهذا أصبح مبدأ «المطالبة بالاستقلال» شعاراً أساسياً وبديلاً من «المطالب الإصلاحية»[١٤٧].

كان لتوقيع «ميثاق الأطلنطي»[١٤٨]، ونزول قوات الحلفاء في السواحل المغربية في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٢[١٤٩]. من العوامل المهمة التي دفعت السلطان محمد بن يوسف إلى اغتنام فرصة عقد اجتماع بين رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل، والذي عرف بمؤتمر «أنفا» في المغرب[١٥٠]، لغرض عرض قضية بلاده أمام المجتمعين. وبحسب ما تذكر المصادر أن الرئيس الأمريكي أبدى تعاطفه مع آمال وتطلعات الجماهير المغربية، وأنه سيساند المطالب الوطنية في المحافل الدولية.

ساعدت الظروف والتحولات الجديدة على تعاظم الشعور الوطني المعادي للسيطرة الاستعمارية وتنامي الأفكار الهادفة إلى الحرية والاستقلال، فتمّت المشاورات الأولى في فاس بين قيادات وأعضاء الحزب الوطني المحظور، بهدف تأسيس حزب جديد يأخذ على عاتقه مهمة قيادة الحركة الوطنية في المرحلة الجديدة.

ولتعزيز موقف قادة الحزب في فاس، ولتوظيف الظروف الجديدة في اتجاه تحقيق الأماني الوطنية، كان من الطبيعي أن تتجه أنظار قادة الحزب في فاس إلى تنسيق فاعليّاتها وإجراءاتها مع

---

(١٤٧) مزين، تاريخ مدينة فاس: من التأسيس إلى أواخر القرن العشرين ـ الثوابت والمتغيرات، ص ٢٧٠.

(١٤٨) هو الميثاق الذي أصدره رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت مع رئيس وزراء بريطانيا تشرشل في آب/أغسطس ١٩٤١، وتضمن مبادئ عدة منها حق الشعوب في تقرير مصيرها. انظر: *The Encyclopedia Americana* (New York: American Corporation, 1976), vol. 19, p. 472.

(١٤٩) في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٤٢، نزلت قوات الحلفاء عبر المحيط الأطلسي إلى سواحل الدار البيضاء لتأمين الإمدادات لقوات الحلفاء في شمال أفريقيا. للمزيد من التفاصيل انظر: أ. ج. غرانت وهارولد تمبرلي، أوروبا في القرنيين التاسع عشر والعشرين، ترجمة محمد علي أبو درة ولويس إسكندر؛ مراجعة أحمد عزت عبد الكريم (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٧)، ج ٢، ص ٥١٦ ـ ٥١٩.

(١٥٠) تدارس في المؤتمر الذي استمر عشرة أيام تطورات الحرب العالمية الثانية وسبل متابعة الحركات العسكرية ضد القوات الألمانية، وإمكانية إنزال قوات الحلفاء في أوروبا. وأوضاع المناطق «المحررة». و«أنفا» أقدم أحياء مدينة الدار البيضاء وتعني «القمة» باللغة الأمازيغية. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٢٠، ومحمد العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٧٥)، ص ٥٦.

أعضاء الحزب الآخرين في مدن الرباط والدار البيضاء[١٥١]؛ فتم الاتفاق على تأسيس حزب سياسي جديد في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٣ باسم «حزب الاستقلال»[١٥٢].

وبتنسيق مع قادة حزب الاستقلال، قدم السلطان «وثيقة الاستقلال» إلى الإقامة العامة الفرنسية في ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٤[١٥٣] (الملحق الرقم (٢ ـ ٥) أدناه). كما تم تزويد ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في الرباط، والقائم بأعمال الاتحاد السوفياتي في الجزائر بنسخ من الوثيقة[١٥٤].

أعقب ذلك قيام رجال حزب الاستقلال بتشكيل لجان خاصة، تأخذ على عاتقها كتابة المنشورات الوطنية وتوزيعها في أحياء عديدة من المدن المغربية، لغرض تعبئة الجماهير ودعوتها إلى التوحد والتمسك بمطالب الاستقلال؛ فقد أدرك قادة الاستقلال أن المواجهة مع الإدارة الفرنسية لا بد منها وأن الفرنسيين لن يهدأ لهم بال إلا بعد إخمادهم الأصوات المطالبة بالحرية والاستقلال[١٥٥].

وفي ضوء ما تقدم، بدأ عبد الهادي التازي بالتحرك مع زملائه في تلك اللجان لتحقيق أهداف الحزب، والمطالبة بالاستقلال؛ فساهم في تشكيل لجنة عرفت بـ «مجاميع الشباب للعمل الوطني» في مدينة فاس، ساهم فيها طلبة من القرويين والمدارس الحرة والدينية[١٥٦].

وبالحماسة نفسها، ساهم التازي بشكل بارز في وفد ولاية فاس الذي زار قصر السلطان في الرباط في ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٤ لإبلاغه مساندتها لمطلب الاستقلال[١٥٧].

أخذ التازي على عاتقه مهمة تمثيل المدارس الحرة في وفد مدينة فاس الذي ضم أيضاً ممثلين عن المجلس العلمي للقرويين والمدارس الدينية[١٥٨]. وكان التازي عنصراً منسقاً مهماً بين أعضاء الوفد، حيث تم التنسيق في المواقف السياسية، وتبادل الأفكار والآراء بخصوص مطلب الاستقلال.

---

(١٥١) مزين، تاريخ مدينة فاس: من التأسيس إلى أواخر القرن العشرين ـ الثوابت والمتغيرات، ص ٢٧١.

(١٥٢) حزب الاستقلال: أعلن عنه يوم تقديم وثيقة الاستقلال للسلطان وهو امتداد للحزب الوطني والوريث الشرعي له، أسندت رئاسة الحزب إلى علال الفاسي المنفي في الغابون، تقديراً له، وضم الحزب أعضاء الحزب الوطني إضافة إلى أعضاء جدد من الطلاب والتجار والعمال. انظر: قائمة الشرف: تراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال ١١ يناير ١٩٤٤ (الرباط: منشورات حزب الاستقلال، لجنة الإعلام والنشر، ١٩٨٨)، ص ٧.

(١٥٣) وثيقة الاستقلال: تمّت كتابة وثيقة الاستقلال في مدينة فاس وفي دار أحمد مكوار من قبل زعماء الحركة الوطنية وبالاتفاق مع شرائح مختلفة من الشعب الغربي، وتضمنت المطالبة باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت حكم جلالة محمد بن يوسف، وإقامة نظام دستوري على غرار دول المشرق العربي الإسلامي. للمزيد من التفاصيل انظر: الملحق الرقم (٢ ـ ٥).

(١٥٤) قاسم الزهيري، محمد الخامس: الملك البطل ـ قصة جهاد (الرباط: دار النشر التقنية للشمال الأفريقي، ١٩٨٤)، ص ٤٨.

(١٥٥) القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية، ج ٢: من ١٩٤١ إلى ١٩٤٥، ص ٢٢٦.

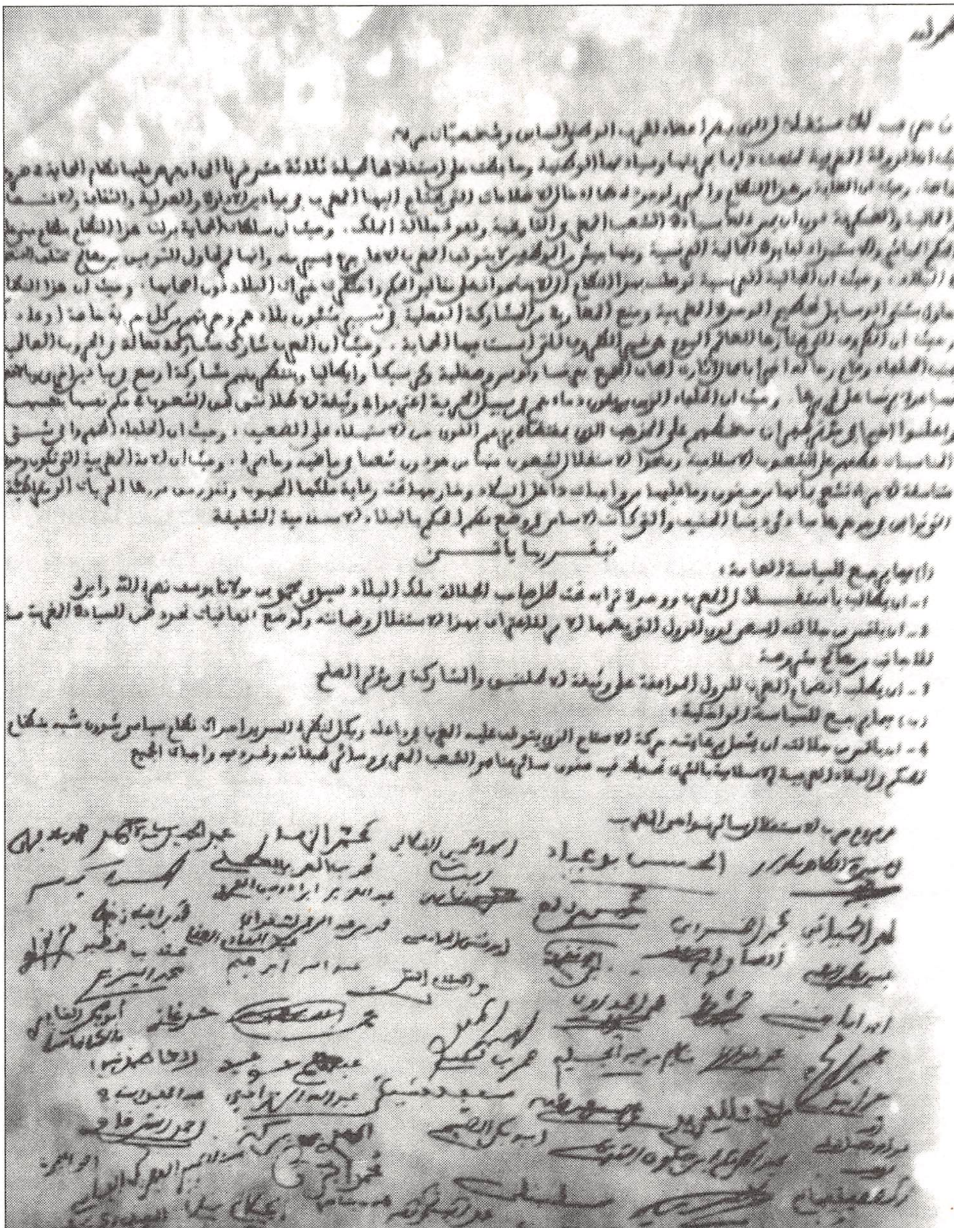
(١٥٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٦٥.

(١٥٧) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ٢، ج ١، ص ٢١٦.

(١٥٨) عبد الهادي التازي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف،» مجلة دعوة الحق (الرباط)، السنة ١٠، العدد ٨ (آذار/مارس ١٩٦٧)، ص ٦٦.

الملحق الرقم (٢ ـ ٥)

وثيقة الاستقلال بنسختها الأصلية موقعة من قبل عناصر حزب الاستقلال إضافة إلى شخصيات مغربية أخرى في ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٤



وكما يؤكد التازي، فإن السلطان محمد بن يوسف أبدى ارتياحه لحالة التماسك والوحدة الوطنية خلال لقائه الوفود، مشدداً على أهمية التسلح بالإيمان والصبر لتحقيق أهداف البلاد في الاستقلال، وأنهُ سيسهر على تحقيقها(١٥٩).

في الوقت الذي تم فيه عرض مطلب الاستقلال بين يدي السلطان في الرباط، كان من المتوقع، في مثل هذه الأجواء، أن تتجه السلطات الفرنسية إلى اتباع أسلوب الملاحقة بحق الوفود ولا سيما وفد فاس الذي تفوقت نسبة أعضائه في الوفود بالنسبة إلى وفود المدن الأخرى(١٦٠).

كان عبد الهادي التازي يدرك جيداً أن السلطات الفرنسية لن يهدأ لها بال إلا بعد أن تعتقل زعماء ونشطاء الحركة الوطنية. لذا نراه يعود إلى فاس مفضلاً التكتم عن تحركاته. وأخذ يقضي معظم أيامه ولياليه متنقلاً بين دور أصدقائه تحاشياً للاعتقال الذي إذا ما طاله، لا يمكنه أن يتكهن بمدته(١٦١).

كان من الطبيعي أن تنعكس آثار إجراءات الإدارة الفرنسية، وحملاتها ضد رجال الحركة الوطنية على مجمل الأوضاع السياسية في المغرب، الأمر الذي أدى إلى تذمر الجماهير المغربية. وبلغ التذمر ذروته، حينما قاد التازي التظاهرات التي شهدتها فاس في ٢٩ كانون الثاني/يناير ١٩٤٤، إثر حملة اعتقال طالت عدداً من قادة حزب الاستقلال، وتحولت إلى مواجهات مع الفرنسيين أسفرت عن سقوط عدد من الشهداء والجرحى. وأعقب ذلك قيام إدارة الحماية الفرنسية بفرض حصار على المدينة ومنع التجوال، وقطع التيار الكهربائي والمياه عنها، وأذاعت بياناً تضمن إنذاراً موجهاً إلى المحتجين بوجوب أخلاء الأماكن المقدسة التي يتحصنون فيها وإلا فإنها ستقوم باقتحامها(١٦٢)،الأمر الذي أجبر المحتجين على قبول الإنذار حتى لا يسبب بقاؤهم في أماكنهم اقتحام القوات الفرنسية لها، وتدنيسها. وتم التوصل إلى نوع من الهدنة بين أهالي فاس والسلطات الفرنسية في ١٠ شباط/فبراير ١٩٤٤(١٦٣).

بعد أن أطمأن التازي إلى موقف السلطات الفرنسية، أو هكذا تراءى له، عاد إلى منزله لينصرف إلى متابعة دروسه وتحصيله العلمي، غير أن آماله تلاشت بعد أن داهمت قوة منزله واعتقلته واقتادته إلى سجن الأمن الفرنسي ليمكث فيه ثلاثة أيام قبل أن ينقل إلى سجن المحكمة(١٦٤).

وبعد أن قضى التازي في سجن المحكمة ١٢ يوماً، قضت المحكمة بسجنه مدة عام ونصف بتهمة «التحريض ضد فرنسا، ما عرض أمنها للخطر» كما جاء في نص قرار الحكم (الملحق الرقمان (٢ ـ ٦) و(٢ ـ ٧)).

---

(١٥٩) المصدر نفسه، ص ٦٧.
(١٦٠) الزهيري، محمد الخامس: الملك البطل ـ قصة جهاد، ص ٥٠.
(١٦١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٦٧.
(١٦٢) عسه، المعجزة المغربية، ص ٢٣٠.
(١٦٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٢.
(١٦٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٧٨.

الملحق الرقم (٢ ـ ٦)

صورة سجل (قيد) إيداع سجين في ٢٥ شباط/فبراير ١٩٤٤

ROYAUME DU MAROC
MINISTERE DE LA JUSTICE
ADMINISTRATION PENITENTIAIRE
P.A. d'Ali-Moumen

EXTRAIT DU REGISTRE D'ECROU

N° D'ECROU : I2.077
Mensuration: Ali-Moumen 64I2

Par jugement du ~~Tribunal~~ Pacha de Fès

en date du 25 Février I944

le nommé Abdelhadi Mohamed, TAZI

né à Fès le agé de 24 ans

fils de Mohamed Tazi et de Fatna Hadj Abderrahmane

demeurant Fès profession Professeur

Déclaré coupable le Appels à l'émeute, Propagande anti-Française.

a été condamné à la peine de I8 mois de prison

le dit détenu a commencé à subir sa Peine. le II Février I944

et à été libéré le I9 Février I945 par gracié

Certifié Conforme par le Soussigné,

Le Chef d'Établissement

Le sept Décembre 1974

Signé ACHAROUI Abdellaoui

Imp. M. C. K.

الملحق الرقم (٢ ـ ٧)

صورة سجل (قيد) إيداع سجين ترجمة للملحق الرقم (٢ ـ ٦)

مملكة المغرب
وزارة العدل
مصلحة السجون
صورة سجل (قيد) إيداع سجين
رقم السجين ١٢،٠٧٧
بواسطة حكم باشا فاس
بتاريخ ٢٥ شباط/فبراير ١٩٤٤
الاسم عبد الهادي محمد، التازي
ولد في فاس، العمر ٢٤ سنة
ابن محمد التازي
يسكن فاس، المهنة مدرس
الاتهام المبين (المعلن) الدعوة إلى الفتنة. الدعاية ضد سلطة الحماية الفرنسية
مدة العقوبة ١٨ شهراً في السجن
تبدأ العقوبة ١١ شباط/فبراير ١٩٤٤
طالق سراحه بعفو بتاريخ ١٩ شباط/فبراير ١٩٤٥

قررت السلطات الفرنسية نقل التازي إلى سجن « فرحت» في ضواحي فاس، حيث أجبر على العمل مع معتقلين آخرين في أحدى المزارع التي كانت تدار من قبل مستثمر سويسري. إذ تشير الرسائل التي كان يبعثها المعتقلون إلى ذويهم إلى أنهم كانوا في حالة يرثى لها. وكان وضعهم سيئاً حيث إن الخيام المخصصة لهم « بجانب المزرعة لم تقهم برودة الشتاء القاسية»[١٦٥].

ومن المهم أن نشير إلى أن مدة مكوثه في المعتقل، وفي عمله في المزارع، تؤلف حقبة مهمة في حياة عبد الهادي التازي، وفي تطوره الفكري، فقد هيأت له فراغاً مواتياً استغله في مذاكرة دروسه ومطالعة الكتب الدينية والفكرية والسياسية المتنوعة، والتي تحولت إلى واحدة من أفضل هواياته واهتماماته في الحياة[١٦٦].

---

(١٦٥) المصدر نفسه، ص ٨٩.
(١٦٦) المصدر نفسه، ص ٨٨.

وعلى الرغم من معاناة التازي ورفاقه جراء الاعتقال، وظروف العمل في المزارع، إلا إن عبارات الوطن والحرية والاستقلال ظلت ترددها ألسنتهم[١٦٧].

ومما زاد من معاناة عبد الهادي التازي، قرار السلطات الفرنسية نقله مع معتقلين آخرين إلى سجن «علي ومومن»[١٦٨]، بعد مرور ثلاثة أشهر أمضاها في سجن (فرحت)، وذلك إثر علم السلطات بالمعاملة الطيبة التي لقيها هو ورفاقه من الأفراد المغاربة المكلفين بحراستهم.

يصف لنا التازي تفاصيل الصعاب التي لاقاها المعتقلون في سجن «علي ومومن»، وأوضاعهم الصعبة. فيذكر انه وضع مع «سبعين سجيناً في قاعة مساحتها خمسون متراً مربعاً ما يعني أقل من متر لكل شخص» وكيف أنهم أجبروا على العمل الشاق في تكسير الأحجار، وقطع الأشجار في مناطق جبلية وعرة»[١٦٩].

ويشير التازي إلى أن استخدامه في مصنع للدباغة التابع للسجن، أتاح له فرصة تعلم اللغة الفرنسية على يد سجين فرنسي يدعى موريس كان قد أتهم بالتجسس لمصلحة الألمان.

إن إقامة التازي في السجن، وعمله في مصنع الدباغة ساعدهُ في الوقت نفسه على التعرف إلى الكثير من السجناء من العناصر الوطنية، وعزز من صلاته بهم، ما جعله مؤهلاً أكثر لأداء دور محدود من طريق نشر الوعي الوطني بينهم فضلاً عن قيامه بإلقاء الدروس في مبادئ اللغة العربية والإسلامية.

ومن الجدير بالذكر، أن جهود التازي في التبشير بأفكاره بين نزلاء السجن التي مَّست أهم القضايا الوطنية المثارة يومذاك، وفي مقدمها قضية الاستقلال، جذبت انتباه مدير السجن «فورمي الفرنسي» الذي لم يتمكن من كتم انفعاله وغضبه، بل أكثر من ذلك توعّد التازي بسجنه في «السليل» وإتلاف جميع كتبه بتهمة قيامه بأعمال «مخالفة للاعتقال»[١٧٠].

---

(١٦٧) من المفيد أن نذكر أن التازي نظم أبياتاً من الشعر عبر فيها عن شعوره وإخلاصه لوطنه نذكر منها:

«لــك روحـــي وجـنـانـي — رمـــز حـــبـي ووددادي
مـنـك يـا فـــاس أعـانـي — مـا أعـانـي مـن بـعـادي
عـذبـت فـيـك الـرزايـا — وحـمـلـت مـنـك الـمـنـون
يـا بـلادي يُـــردي بـمـريـد — مـا لـنـا عـنـك سـكـون
شـهـد «الـفـاس» بـأنـي — مـن هـوى فـاس ابـيـد
بـألـوانـه لا تـغـنـي — بـسـوء حـال الـعـمـيـد
تـحـت خـيـام اعـتـقـالـي — أنـا أنـشـد بـعـلاك
فـيـحـهـا هـول الـلـيـالـي — لـيـس شـيـئـا فـي رضـاك

(١٦٨) اشتهر سجن «علي ومومن» بأنّه من السجون سيئة الصيت بسبب قسوة حراسهِ من الفرنسيين والكورسيكيين في معاملة نزلائه والذين غالباً ما كانوا يظهرون عداءهم ونقمتهم وعنجهيتهم بكل وسيلة. للتفاصيل انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٨٩ ـ ٩٥.

(١٦٩) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٩٧ ـ ١٠٩. و«السليل» سجن انفرادي يجرد فيه السجين من كل شيء خشية إقدامه على الانتحار.

وعلى كل حال، لم يكن أمام التازي خيار، إلا أن يلجأ إلى إثارة السجناء العاملين في مصنع الدباغة بامتناعهم عن العمل كوسيلة لإرغام مدير السجن على التخلي عن موقفه العدائي منه، مستنداً في ذلك، وفي أطار قناعته، إلى أن الإضراب سيؤدي إلى خسائر مادية كبيرة. وانتهى الأمر إلى اتفاق، مفاده الإبقاء على دروس التازي لقاء عودة السجناء إلى مزاولة عملهم في معمل الدباغة[١٧١].

أمضى عبد الهادي التازي عاماً كاملاً في السجن قبل أن يطلق سراحه في ١٨ شباط/فبراير ١٩٤٥[١٧٢]. ومن المهم أن نشير إلى أن الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في فرنسا التي تمخضت عن انتهاء الحرب العالمية الثانية، ولغرض امتصاص ضغط الرأي العام في المغرب ومحاولة خطب ود الجماهير المغربية وإشعارهم برغبة القيادة السياسية الفرنسية وعلى رأسها الجنرال ديغول[١٧٣] في تحقيق ما تم الإعلان عنه في اتفاق الأطلسي، كما مر بنا، العوامل التي دفعت السلطان محمد بن يوسف إلى الاقتناع أن الوقت قد حان للتفاوض مع فرنسا حول مستقبل المغرب.

وفي ضوء ما تقدم، زار السلطان باريس في أيلول/سبتمبر عام ١٩٤٥، والتقى الجنرال ديغول وتباحث معه في مسألة علاقة فرنسا بالمغرب في ضوء التطورات الجديدة في العالم. وعلى ما يبدو فإن مباحثات السلطان مع ديغول تضمنت هدفاً أساسياً وهو تبديل المقيم العام الفرنسي في المغرب تمهيداً لإجراء تغيير في الإدارة الفرنسية بتقديم تنازلات بهدف إرضاء الحركة الوطنية.

إثر ذلك، تقرر تعيين الدبلوماسي إيريك لابون (Eirik Labonne)[١٧٤] مقيماً جديداً خلفاً للمقيم العام غبريال بوو (Gabriel Puaux). أبدى المقيم العام لابون اهتماماً واضحاً برغبات الحركة الوطنية المغربية.

فحال وصوله المغرب، أمر بإطلاق سراح المعتقلين والسماح بعودة المنفيين[١٧٥] واستمراراً على النهج ذاته، أصدر تعليمات تضمنت رفع القيود عن الصحافة والسماح بتأسيس الأحزاب السياسية،

(١٧١) المصدر نفسه، ص ١١٠ ـ ١١٢.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(١٧٣) شارل ديغول (De Gaulle): جنرال فرنسي اختير رئيساً للحكومة الفرنسية المؤقتة بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٦، ثم انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية الخامسة عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٩. انظر: آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ١٧٨٩ ـ ١٩٤٥، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين؛ مراجعة محمد مظفر الأدهمي ٢ ج (بغداد: دار المأمون للنشر، ١٩٩٢)، ج ١، ص ٢٣٩.

(١٧٤) إيريك لابون: دبلوماسي فرنسي عمل كمقيم في تونس وفي موسكو، وامتازت سياسته في المغرب بالدبلوماسية وإعطاء الحريات والاهتمام بشكل كبير بالجانب الاقتصادي واستثمار موارد المغرب بشكل يعود بالفائدة على المغاربة والفرنسيين. انظر: R.G, D.F, n8801.001/3-2346 (From Paris, to Secretary of State), Biographic Eirik Labonne, 4 April 1946.

(١٧٥) عاد من المنفى محمد بن الحسن الوزاني من الصحراء وأحمد بلافريج من كورسيكا وعلال الفاسي من الغابون. وكان التازي في استقبال الفاسي الذي قدّم له شكره وتقديره على ما قام به، خلال مدة نفيه، من تنظيم حفل تأبين لوالده المتوفى. كما طلب منه الإشراف على تعليم ابنته ليلى.

فأجيز حزب الاستقلال في العام نفسه. وقد عقد أعضاء الحزب عدة جلسات ثبتوا خلالها نظام الحزب الداخلي وأهدافه وقرروا صلاحية الأعضاء المؤسسين في قبول الأعضاء المرشحين للانتماء إلى الحزب، وإشرافهم على إدارته. ولا ريب أن الكثير من العناصر الوطنية انتموا إلى الحزب. وكان من الطبيعي أن ينتسب إليه جميع أعضاء الحزب في مرحلته السرية، ومنهم بالطبع عبد الهادي التازي.

تنوعت نشاطات حزب الاستقلال وشملت مجالات مختلفة، فإلى جانب المحاضرات الوطنية أصدر الحزب صحيفة العلم باللغة العربية لتعبر عن آرائه وأهدافه وقد عالجت الصحيفة موضوعات فكرية وسياسية وعلمية واجتماعية مختلفة. كما نقلت أنباء الوطن العربي، وأوضاع فلسطين وسوريا. وتضمنت مقالاتها توجيهاً للشباب المغربي بأهمية التسلح بالثقافة والعلم لخدمة الوطن العزيز[١٧٦].

ومن الأحزاب الأخرى التي أجيزت حزب «الشورى والاستقلال» الذي أسسه محمد بن الحسن الوزاني[١٧٧] والحزب الشيوعي المغربي[١٧٨].

لكن الحكومة الفرنسية سرعان ما تراجعت عن نهجها، وتنصلت عن وعودها بشأن المغرب إثر قيام السلطان محمد بن يوسف بإلقاء خطاب أمام قناصل الدول الأجنبية في مدينة طنجة خلال زيارته لها في ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٧؛ فقد أشار في خطابه إلى أن «المغرب جزء لا يتجزأ من الجامعة العربية، والمنظومة الإسلامية»[١٧٩] ما أثار حفيظة السلطات الفرنسية فعمدت إلى استبدال المقيم «لابون» بمقيم عام جديد هو الجنرال ألفونس جوان (Alphonse Juin)[١٨٠] في ٢٣ أيار/مايو ١٩٤٧، وعهدت إليه مهمة إرغام السلطان على التعاون مع سلطة الحماية في تنفيذ سياستها الرامية إلى إخضاع الحركة الوطنية تمهيداً لضمان بقاء السيطرة الفرنسية على البلاد[١٨١].

---

(١٧٦) ضريف، الأحزاب السياسية المغربية: من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ١٩٣٤ ـ ١٩٩٩، ص ٤٠.

(١٧٧) حزب الشورى والاستقلال: هو امتداد للحركة القومية التي أسسها الوزاني عام ١٩٣٧، وقد ضم الحزب عناصر جديدة امتازت بالثقافة التقليدية وضمت عبد الهادي بوطالب وعبد الهادي الشرايبي. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الهادي بوطالب، ذكريات وشهادات ووجوه، ٢ ج (جدة: الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ١٩٩٠)، ج ١.

(١٧٨) الحزب الشيوعي المغربي: تأسس عام ١٩٤٣ بشكل سري وأجيزَ عام ١٩٤٦. تبنى مطالب الاستقلال، وكان من أبرز قادته ليون سلطان وعلي يعته، وحاول أعضاء الحزب عدم انجرارهم وراء الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد اختلف بشكل كبير مع حزب الاستقلال وحُظر نشاطه عام ١٩٥٢. انظر: امحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٢٠ (بيروت: مركز درسات الوحدة العربية، ١٩٩٣)، ص ٣٧٠.

(١٧٩) P.R.O., F.O, 371/67845 (Telegram from Mr. Mallet, Tangir), 14 April 1947.

(١٨٠) الجنرال ألفونس جوان: ولد من آب كورسيكي وأم فرنسية، عرف عنه تشدده في تنفيذ السياسة الفرنسية في المستعمرات الفرنسية ليبرهن أنه فرنسي أكثر من الفرنسيين، وقد عين في الأول من أيار/مايو ١٩٤٧ خلفاً للمقيم (إيريك لابون) بعد زيارة السلطان محمد بن يوسف طنجة وما نتج من تلك الزيارة. الأمر الذي أثار فرنسا ودفعها إلى تعيين مقيم أكثر حزماً وتشدداً من سابقه. انظر: حسين برادة، مسيرة التحرير، ديباجة عبد الهادي التازي؛ توطئة عبد الكريم الخطيب (الرباط: منشورات أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠)، ص ٤٠ ـ ٤٥.

(١٨١) P.R.O, F.O, 371/67845 (From Moscow to Foreign Official), 23 April 1974.

في هذا الوقت، أحس التازي بضرورة إكمال دراسته للحصول على الشهادة العالمية لتعزيز مسيرته الوطنية. لذا تقدم لأداء امتحان العالمية في شهر حزيران/يونيو عام ١٩٤٥، وتمكن من اجتيازه بنجاح.

وما لا شك فيه أن رغبة التازي في إكمال دراسته، ونيل الشهادة العالمية، كانت وراء إصراره، وهو في السجن، على مذاكرة دروسه؛ فقد تزامنت تلك الحقبة من حياته مع تفاقم سياسة السلطات الفرنسية، التي بدأت تلجأ إلى وضع سياسة تعليمية تستجيب لمخططاتهما الاستعمارية، الأمر الذي أيقظ في نفسه كوامن التحدي، فرفض الرضوخ لما عده تهاوناً أمام حركة النهوض القومي العربي(١٨٢). وفي الوقت نفسه، واصل التازي التدريس في قسم الفتيات في المدرسة الحرة في فاس واضعاً منهجاً دراسياً خاصاً بالفتاة المغربية.

وقد اعتبر التازي الاهتمام بتعليم المرأة يؤلف ركناً أساسياً من أركان إصلاح المجتمع الذي ربط تطوره وتقدمه بتقدمها في ميدان التعليم والعلم. والتازي حين يدعو إلى تعليم المرأة لا ينسى أن يشير إلى أهمية تحصين «أخلاق الفتاة وتزويدها بضبط ذاتي يمكنها من مخالطة المجتمع على أساس متين وسليم»(١٨٣).

جسد التازي اهتمامه بتعليم المرأة، في هذه المرحلة من نشاطه، في كتابه الذي أصدره بعنوان تفسير سورة النور ليكون منهجاً دراسياً من مناهج المدارس الحرة(١٨٤).

إن تحسس التازي لأوضاع مجتمعه في ظل الحماية الفرنسية، في رأينا، ولّدَ لديه الرغبة في إشاعة القيم الإسلامية والأخلاق الحميدة. من هنا، كان وضعه لتفسير سورة النور لتكون مناراً للفتاة المغربية أماً أو أختاً أو زوجة، تستمد منه الخصال الأخلاقية في بناء الأسرة، المؤسسة التربوية الأولى، ومنها يستمد الأبناء أخلاقهم وعلومهم والقوة الرئيسة الحافزة للأخلاق تتمثل بالفروض الشرعية المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمل الخير والالتزام بما فرض الله سبحانه على النساء من أحكام(١٨٥).

---

(١٨٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٠٥.

(١٨٣) عبد الهادي التازي، تفسير سورة النور (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ٦.

(١٨٤) ومن الجدير بالذكر أن الكتاب أجيز من قبل شيخ القضاة في مدينة فاس (الفقيه السائح) الذي علق عليه «سرني أن أرى الشباب المثقف يعنى بالبحث عن معاني الذكر الحكيم ولاسيما سورة النور التي تثير فيضاً من نور التربية الإسلامية والأخلاق الطيبة في نفوس النشء ولا سيما الفتيات». وأثنى على الكتاب وأجازه الشيخ (محمد الصبيحي) باشا مدينة سلا قائلاً: «ذلك التوفيق الإلهي الذي حدا به لإفاضته ذلك النور الساطع تذكيراً وإرشاداً أولاً، وثانياً، الطموح للمعاني والشعور النفسي وقد طل على العلم عن كثب بقوة الاستعداد للغوص في ذلك البحر الخضم واستخراج جواهره»، وكتب علال الفاسي، الذي عاد من المنفى عام ١٩٤٦، وأطلع على مسودة الكتاب قائلاً: «إن طموح الشباب الوطني لدراسة القرآن وتفهمه على الوجه الذي ينبغي، لدليل على أن النهضة المغربية لا تألوا جهداً في المحافظة على وسائل التجديد الإسلامي، وأنني لأحثك أيها الاخ على أن تواظب على السير في هذه الخطة، فإن فيك استعداداً لا ينبغي أن يهمل لتجعل للمغاربة منك مفسراً عصرياً تحتاج إليه المغرب، وتحتاج إليه القرويين التي تنتظر من أمثالك خيراً». انظر: المصدر نفسه، ص ٦٤ ـ ٦٧.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٨.

وما كان يثير قلق التازي وغيره من العناصر الوطنية المغربية هو ازدياد نشاط الجمعيات والإرساليات التبشرية التي عملت تحت واجهات ثقافية وفكرية لإشاعة الدعوة إلى حرية المرأة ومساواتها بشعارات براقة ليست من أجل الارتقاء بالمجتمع المغربي ونهضته، بل من أجل خدمة الأغراض الاستعمارية للدول الأوروبية لذا لم يخل كتاب تفسير سورة النور من إشارة إلى الظروف السياسية المغربية والتنديد بالرجعيين والمتخاذلين والمتآمرين»[١٨٦].

ومن المفيد أن نذكر أن التازي تولى مهمة تمثيل زملائه في دراسة «العالمية» لمقابلة السلطان محمد بن يوسف لينقل له ولاءهم وإخلاصهم للعرش ويلتمسون منه العدول عن قراره بإلغاء الاختبارات النهائية لنيل الشهادة. وكان السلطان قد أصدر قراره احتجاجاً منه على عدم موافقة الإدارة الفرنسية على عودة محمد الفاسي إلى منصبه في القرويين بذريعة «اشتغاله بالسياسة»[١٨٧].

يصف التازي مهمته بالقول «وبعد أن وصلت مقر السلطان في يوم ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٤٦ لتقديم كتاب تفسير سورة النور، ولعرض موضوع القرويين، أبلغني السلطان أن ضياع سنة من القرويين خير من ضياع القرويين».

وبعد عودة محمد الفاسي إلى منصبه في القرويين إثر تراجع الإدارة الفرنسية عن موقفها، تأهب عبد الهادي التازي لغرض إكمال دراسته في السنة النهائية ونال رضا القائمين على القرويين لنجاحه وحصوله على المرتبة الأولى في القسم الشرعي لدى تخرجه في ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٤٧[١٨٨].

أشر تراجع إدارة الحماية الفرنسية وقبولها بعودة محمد الفاسي إلى منصبه في القرويين، بفعل ضغط الحركة الوطنية وإسنادها إلى السلطان في مطلبه، مدى تعاظم نفوذ الحركة، ومدى قوة المشاعر التي يحملها أعضاؤها وفي مقدمهم عبد الهادي التازي.

وليس أدل على ذلك من قيام المقيم العام الجديد الجنرال جوان، المعروف بمعاداته الحركة الوطنية، بمحاولة إرهاب التازي، والتلويح بخطورة معارضة السياسة الفرنسية، وذلك بهدف صرفه عن الأمور السياسية، ولإشعاره بالحاجة إلى إدارة الحماية الفرنسية لتأمين مستقبله الوظيفي. يذكر التازي انه في يوم تبليغه نتيجة الامتحان النهائي، أبلغه مدير القرويين (محمد الفاسي) أن «المقيم العام الجديد الجنرال جوان يريد أن يستقبلني مع بقية المتفوقين في القرويين في مقر الإقامة العامة في فاس من أجل تقديم جوائز تشجيعية لنا»[١٨٩].

وبعد أن تسلم التازي الجائزة من الجنرال جوان حدثه الأخير قائلاً «لتعِ جيداً أمراً مهماً، قبل قدوم فرنسا، لم يكن الخريجون يحصلون على شواهدهم إلا في سن متقدم. وبفضل فرنسا تمكن

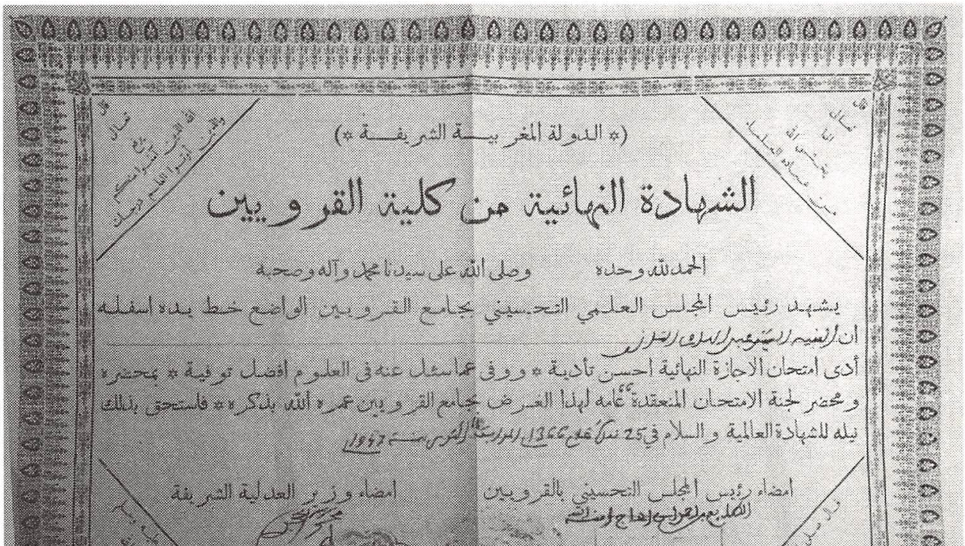
(١٨٦) المصدر نفسه، ص ١١.
(١٨٧) التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٦٦.
(١٨٨) العلم، العدد ٢٥٠ (٣ تموز/يوليو ١٩٤٧).
(١٨٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥٣.

رجال في مقتبل العمر أن يصبحوا علماء، لذا أطلب منك أن تشغل نفسك بما يعنيك وألا تتدخل في السياسة»[١٩٠].

ولما لم يكن عبد الهادي التازي بعيداً من أنظار السلطان محمد بن يوسف الذي لاحظ فيه إمارات الذكاء والروح الوطنية إذ كان يتتبع أخباره، ويهتم بدوره في الحركة الوطنية. وقد تعززت هذه المعرفة خلال مثول التازي أمام السلطان ليقدم له نسخة من كتابه **تفسير سورة النور**. وإذا أضفنا إلى ذلك مزايا التازي في التعلم والتفوق في الدراسة، نفهم لماذا استدعاه إلى قصره في الرباط في الثالث من تموز/يوليو ١٩٤٧، لتكريمه وإصداره أمراً بتعيينه للتدريس في القرويين (الملحق الرقم (٢ ـ ٨)).

الملحق الرقم (٢ ـ ٨)

المصادقة على الشهادة النهائية الخاصة بالتازي من القرويين من قبل وزير العدلية


(* الدولة المغربية الشريفة *)

الشهادة النهائية من كلية القرويين

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يشهد رئيس المجلس العلمي التحسيني بجامع القرويين الواضع خط يده اسفله ان

أدى امتحان الاجازة النهائية احسن تادية * ووفى عما سئل عنه في العلوم افضل توفية * بمحضره ومحضر لجنة الامتحان المنعقدة عامه لهذا الغرض بجامع القرويين عمره الله بذكره * فاستحق بذلك نيله للشهادة العالمية والسلام في

امضاء رئيس المجلس التحسيني بالقرويين

امضاء وزير العدلية الشريفة

لم يغب عن بال التازي ما ورد في كلام المقيم العام عند استقباله للتازي من مغزى، والذي ارجع الفضل في ما حصل عليه من شهادة علمية بسن مبكرة، إلى الوجود الفرنسي في المغرب. دفع ذلك التازي إلى كتابة مقالة في صحيفة **العلم**، حملت عنوان «اعتراف بالجميل». ذكر فيها أن

(١٩٠) سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار، ص ٦٣.

حصوله على «الشهادة بهذا العمر لم يكن فضلها إلا لأهل المغرب فليس ناكر الجميل من شيم المغربي الوفي، لذلك فأننا لا ننسى أبداً تلك المراحل التي قطعناها في جامعة القرويين بفضل مساعدة جلالته وتشجيعه المتواصل ولا سيما تسميته بـ الأستاذ الكبير والحازم الخبير سيدي محمد الفاسي في إدارة جامعتنا القروية، تلك الجامعة التي يرجع إليها كل الفضل في كل ما استشرف إليه المغرب وكل ما ناله ويناله من الحظوة والاعتبار.

إن كل جوارحنا مُدينة لأولئك الشيوخ الأفاضل الذين عاملونا طيلة الأخذ عنهم بالمعاملة بنفسها التي نحظى بها من لدن الوالد الحنون. أولئك الشيوخ الذين كانوا يسهرون الليالي ذوات العدد ليرجعوا إلينا بما ينعش الروح ويشحذ الفكر. ولسنا ننسى لشيوخنا كفاحهم وحرصهم على أن نكون كما نحن اليوم، أولئك الشيوخ الذين قدروا التفاتة صاحب الجلالة متكاتفين آخذين بيد المدير الحازم أشيبهم وكهلهم وشابهم إلى غاية واحدة هي السمو بالمغرب إلى مناط الثريا وإحلاله متبوأ الفرقدين لكل هؤلاء يكون الاعتراف بالجميل وإلى ذلك الأب الحنون صاحب الجلالة الذي تجاوز كل العراقيل من أجل نجاحنا»[١٩١].

إنَّ حصول التازي على الشهادة العالمية وصدور أمر السلطان القاضي بتعيينه مدرساً في القرويين، وما رافق ذلك من قرار الإدارة الفرنسية المتضمن حرمانه من مرتبه الشهري مدة عامين[١٩٢] في خضم هذه الإحداث، يبدو أن التازي آثر أن ينزح عن مسقط رأسه، ومركز أسرته، وموطن دراستهِ وتعليمه، ويتوجه إلى الرباط التي كثيراً ما كان يحضر مجالسها العلمية والإدارية[١٩٣] ولا سيما أنها استقبلت في الوقت نفسه مقر حزب الاستقلال والتي قررت قيادتها الحديثة اتخاذها مقراً بديلاً من فاس[١٩٤].

بدأت حقبة جديدة من حياة التازي، قُدر له أن يؤدي فيها دوراً ملموساً في الحركة الوطنية، بإذكاء وتأجيج الشعور الوطني باتجاه تحقيق آمال الجماهير في الحرية والاستقلال.

---

(١٩١) عبد الهادي التازي، «اعتراف بالجميل،» العلم، العدد ٢٥٥ (٨ تموز/يوليو ١٩٤٧).

(١٩٢) كانت تعليمات وزارة العدلية المغربية قد أوجبت مضي مدة لا تقل عن سنتين على تخرج طالب القرويين قبل صدور أمر تعيينه مدرساً. انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥٥.

(١٩٣) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(١٩٤) انتقل المقر الرئيس لحزب الاستقلال من فاس إلى الرباط عام ١٩٤٧، وتولى رئاسة الحزب كل من محمد اليزيدي وأحمد بلافريج المقيمين في الرباط. وكان الهدف من اتخاذ الرباط مقراً جديداً للحزب كونها العاصمة السياسية وقربها من الدار البيضاء وكونها مدينة صناعية وتجارية تضم أعداداً كبيرة من العمال ما يفسح في المجال أمام الحزب للعمل بين صفوفهم. انظر: العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب، ص ٦٢، وضريف، الأحزاب السياسية المغربية: من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ١٩٣٤ ـ ١٩٩٩، ص ٥٣.

الفصل الثالث

النزعة التحديثية في نشاط التازي وتأثيرها في القرويين ودور ذلك في النضال من أجل الاستقلال وبناء الدولة المغربية، ١٩٤٧ ـ ١٩٦٣

أولاً: تولي عبد الهادي التازي التدريس في القرويين

انتهز التازي وجوده في الرباط لمقابلة السلطان ليعرض عليه رغبته في العمل موظفاً في حكومة المخزن في البلاط السلطاني؛ فقد كان يرى أن بوسعه من طريق الوظيفة المخزنية أن يؤدي جزءاً من واجبه الوطني ولا سيما أنه ينتمي إلى عائلة مخزنية[1].

وفي اعتقادنا أن رغبة التازي في العمل لدى البلاط السلطاني كانت إحدى الصيغ الممكنة لديه للتعبير عن تذمره من مواقف الإدارة الفرنسية في فاس اتجاهه، فقد كان يرى في البلاط السلطاني مجالاً رحباً لإشباع ميله إلى العمل الوطني ولا سيما أن قيادة حزب الاستقلال، وكان التازي من أعضائه، اختارت الرباط مقراً لها.

يبقى دافع آخر مهم، ذلك أن الوضع السياسي في فاس لم يكن ليسمح للتازي وأمثاله من رجال الحركة الوطنية بمهاجمة الأوضاع السائدة في المغرب بجراءة وصراحة، وتسمية الأسماء بمسمياتها، وإعطاء صفاتها الحقيقية. ولم يكن ثمة مجال لانتقاد مباشر للإدارة الفرنسية التي غالباً ما كانت تلاحق الوطنيين وتزجهم في السجون والمعتقلات.

توجه التازي إلى القصر السلطاني في التاسع من أيلول/سبتمبر ١٩٤٧، لمقابلة السلطان محمد بن يوسف الذي كان على علاقة وطيدة برجال الحركة الوطنية ولا سيما قادة حزب

---

(١) عائلة مخزنية: مصطلح أطلق على الأسر التي كانت تعمل في البلاط السلطاني وكان أبناء تلك الأسر يتوارثون المنصب. انظر: أمينة هراج التوزاني، الأمناء على عهد السلطان مولاي الحسن: مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب (الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٩)، ص ٦٦.

الاستقلال. إذ إن السلطان اعتاد على إدامة صلاته بهم وأدراك دورهم بوصفهم القوة التي يمكن بوساطتها تحقيق الأماني الوطنية في الحرية والاستقلال ومجابهة المشاريع الاستعمارية الفرنسية[٢].

سجلّ التازي بهذا الخصوص الحوار الذي دار بينه وبين السلطان خلال استقباله له؛ فقد ذكر التازي للسلطان الآتي نصه:

«إني قضيت إحدى عشرة سنة في القرويين كللت بالنجاح واني اجعل نفسي الآن رهن إشارتكم».

وكان رأي السلطان أن مزايا التازي العلمية وأفق ثقافته، تؤهله للبروز في ميدان التعليم لما لها من أهمية وخطورة، ودور في تحقيق أهداف الحركة الوطنية لذا لا غرو أن يكون رد السلطان قائلاً: «أنت تعرف مدى احتياج البلاد إلى أمثالكم ممن انتظرنا تخرجهم طويلاً وخصوصاً ونحن مقبلون على نهضة المغرب العلمية بعون الله.. إن القرويين تجمع بين زواياها طلاباً يردون عليها من كل جهة من جهات المغرب. فبودي أن تكون راوية عنا إلى أولئك الذين يعز علينا تبليغهم».

وعلى الرغم من أهمية التعليم الاستثنائية، إلا أن القضايا الداخلية ذات المردود السياسي المهم كانت تشغل بال السلطان. ولهذا أضاف السلطان موجهاً كلامه للتازي قائلاً:

«قد تصطدمون بمصاعب وعراقيل في طريقكم فاصبروا وصابروا ولست بحاجة إلى تذكيركم بالتضحيات التي قدمها سلفنا الصالح من أجل توعية الناس». فرد عليه التازي بأنه سيكون «عند توجيهاته»[٣].

جاء توجيه السلطان للتازي متوافقاً مع رغبة حزب الاستقلال؛ فقد كانت القوى الوطنية ترى في التعليم والعلم عدو المستعمر، فإذا قُضي على الجهل وتنور العقل زال الخوف، وأصبح الناس لا ينقادون إلى غير منافعهم، ومنافعهم تكون حتماً نقيض الاستعمار والاحتلال». والجيل المتعلم هو جيل وطني طموح يتطلع إليه الوطن ليتصدى للإدارة الفرنسية وينقل البلاد من الاحتلال إلى الاستقلال، ومن الجمود إلى الحركة، ومن الانغلاق إلى الانفتاح، ومن التقليد في التفكير إلى التجديد مع الإيمان بضرورة الحفاظ على مقومات الهوية المغربية» بحسب تعبير علال الفاسي[٤].

سرعان ما عاد التازي إلى فاس ليضع نفسه رهن إشارة المجلس العلمي للقرويين. ولما كان السلطان قد أصدر أمره بتعيين التازي مدرساً في القرويين، لذا تقدم بطلب إلى المجلس لإشغال «كرسي علمي»[٥] ليتمكن من إلقاء دروسه ومحاضراته على طلبته، كما إن التازي أدرك في تلك

---

(٢) عبد الهادي التازي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف،» مجلة دعوة الحق (الرباط)، السنة ١٠، العدد ٨ (آذار/مارس ١٩٦٧)، ص ٦٨ ـ ٦٩، وفؤاد منصور، «حزب الاستقلال الأمان السياسي في التعادلية الاجتماعية،» مجلة الوطن العربي (باريس)، العدد ٢٢٣ (أيار/مايو ١٩٨١)، ص ٣٨.

(٣) التازي، المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٤) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط ٤ (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٠)، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٥) الكرسي العلمي: كان للأستاذ أو الفقيه في القرويين كرسي خاص به يلقي دروسه لطلبته أو لمريديه. انظر: عبد الهادي بوطالب، نصف قرن في السياسة، حاوره حاتم البطيوي؛ تقديم محمد سبيلا، شرفات الزمن؛ ٦ (الدار البيضاء: منشورات الزمن، ٢٠٠١)، ص ١٢.

المرحلة مدى ضرورة إلقاء المحاضرات الليلية لدعم رسالة القرويين الدينية والوطنية، لذا تشبث بالحصول على إجازة المجلس العلمي للتدريس والحصول على لقب عالم في كانون الثاني/يناير ١٩٤٨[٦]، ليتحول مجلسه بعد ذلك إلى حلقة دراسية مفتوحة أمام عامة الناس من أهالي فاس الذين حرصوا على الحضور والاستماع إلى دروس التازي الذي حل محل علال الفاسي في إشغال «الكرسي العلمي»[٧].

وبحسب ما يبدو فإنَّ رجال الإدارة الفرنسية كان يحز في نفوسهم أن يروا أعضاء الحركة الوطنية يحتلون مراكز تعليمية بالغة الأهمية انطلاقاً من أن هذه العناصر تمثل النمط المتميز للشخصية الوطنية، لذا حاولوا تأخير مرتبه الشهري مدة خمسة أشهر من أجل أن يحول ذلك، بحسب اعتقادهم، من دون استمراره في وظيفة التدريس[٨].

وضمن السياق نفسه، اتهمت الإدارة الفرنسية مدير القرويين محمد الفاسي بتحويل القرويين إلى مؤسسة سياسية بتجمع العناصر الوطنية فيها ولا سيما من حزب الاستقلال[٩].

بدأ عبد الهادي التازي التدريس في القرويين بإلقاء محاضرات من الأدب العربي على طلبة القسم الأول في مطلع عام ١٩٤٨، واستطاع من خلال محاضراته جذب انتباه طلابه إليه بآرائه لما انطوت عليه من مضامين تجمع بين القيم والمفاهيم الإسلامية، والتقاليد العربية الأصيلة، وغالباً ما كان يؤكد أهمية العمل السياسي الذي يقتضيه وضع المغرب من أجل تحريرها من السيطرة الأجنبية[١٠].

جذب نشاط التازي في القرويين وتفانيه وإخلاصه في أداء واجبه التعليمي والتثقيفي أعضاء حزب الاستقلال، ومنهم (إدريس بن عمرو)، وتجاوز الإعجاب إلى القرابة بينهما؛ ففي ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٨، اقترن التازي بابنة أخته ثريا بوطالب[١١] وهي إحدى طالبات مدرسة الفلاح الحرة للبنات وهي أيضا إحدى قريبات (عبد الهادي بوطالب) وأنجبت منه

---

(٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥٨. وكان لقب عالم يطلق على من يتفوق في الدراسة في القرويين، وكان عليه أن يجتاز اختباراً خاصاً قبل تمكينه من التدريس. انظر: بوطالب، المصدر نفسه، ص ١٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٥ ـ ١٦.

(٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥٩.

(٩) عبد الهادي التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ٣ ج (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢)، ص ٧٦٥.

(١٠) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥٩.

(١١) ولدت ثريا بوطالب في مدينة فاس عام ١٩٢٨. يعود نسبها إلى المولى إدريس مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب. ولقب بوطالب نسبة إلى والد الإمام علي (ﷺ). وأسرة بوطالب من الأسر الشريفة في المغرب. أتمت ثريا دراستها في الرباط وكانت أول مغربية حصلت على شهادة الدبلوم لتعليم اللغة العربية ونسبت للعمل كمدرسة للغة العربية في مدرسة عديلة في فاس. كان لها نشاط صحافي قبل وبعد الاستقلال في الصحف المغربية والعربية. رافقت زوجها في مسيرة حياته العلمية والسياسية. وقد حالف الحظ الباحث في إجراء مقابلة شخصية معها قبيل وفاتها في ٢٠ كانون الثاني/يناير ٢٠١٣.

أولادها: سعد[١٢] وبدر[١٣] وآوس[١٤] ويسر[١٥] ومحمد[١٦] وبناتها سلوى[١٧] ولينا[١٨] وآس[١٩] وفاطمة الزهراء[٢٠].

وعلى الرغم من الأهمية التي أولاها لمهنة التعليم وإشاعة الثقافة العربية الإسلامية بين صفوف المتعلمين في القرويين، إلا أن أهم وأخطر عمل اضطلع به التازي في تلك السنوات من عمر الحماية الفرنسية على المغرب، ارتبط بدوره في هيئة العلماء الاستقلاليين، ذلك الدور الذي أفرز نتائج مهمة في طريق التحرر والاستقلال.

ثانياً: انتماء عبد الهادي التازي إلى هيئة العلماء الاستقلاليين وتوجهاته العلمية والفكرية، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣

دشن انضمام عبد الهادي التازي إلى عضوية هيئة العلماء الاستقلاليين[٢١] عام ١٩٤٨ بداية مهمة في مسيرة حياته الفكرية والسياسية ولا سيما أنه كان عضواً في حزب الاستقلال. وكانت هيئة العلماء الاستقلاليين مدرسة جديدة بالنسبة إلى التازي استهدفت توظيف المجالات العلمية والأدبية والفكرية والدينية لخدمة قضايا الوطن[٢٢]. تنوعت نشاطات هيئة العلماء وشملت مجالات مختلفة؛ فإلى جانب المحاضرات التي أعد لها منهاج سنوي، أسهمت الهيئة بكتابة المقالات في صحيفة العلم لتعبر عن أهدافها وآرائها. وقد عالجت الصحيفة موضوعات دينية وفكرية وسياسية وعلمية واجتماعية مختلفة[٢٣].

---

(١٢) سعد: من مواليد فاس ١٩٤٩، يملك ويدير معهداً للتعليم في الرباط.
(١٣) بدر: من مواليد فاس ١٩٥١، يعمل طبيباً في أحد مستشفيات الرباط.
(١٤) آوس: من مواليد فاس ١٩٥٣، يمارس الأعمال الحرة في الرباط.
(١٥) يسر: من مواليد الرباط ١٩٦٠، رجل أعمال في مراكش.
(١٦) محمد: من مواليد بغداد ١٩٦٤، ماجستير إدارة أعمال.
(١٧) سلوى: من مواليد فاس ١٩٥٠، إحدى سيدات المجتمع المغربي.
(١٨) لينا: من مواليد الرباط ١٩٥٩، دكتوراه في اختصاص علوم الحياة، وتعمل أستاذة جامعية.
(١٩) آس: من مواليد الرباط ١٩٦٢، تعمل في إحدى المنظمات الدولية في نيويورك.
(٢٠) فاطمة الزهراء: من مواليد طرابلس ١٩٦٧، تملك إحدى دور النشر في الرباط.
(٢١) كانت هيئة العلماء الاستقلاليين تابعة لحزب الاستقلال، وتضم علماء من القرويين وكلية بن يوسف الدينية في مراكش، والمعهد العالي الديني في مكناس. انظر: الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٤٠١.
(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٧.
(٢٣) احتلت صحيفة العلم مكانة الصدارة من بين الصحف المغربية الأخرى وكانت توزع بإعداد كبيرة في المدن المغربية. انظر: جامع بيضا، «دور الصحافة في النضال السياسي للحركة الوطنية المغربية: من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الإعلان عن الاستقلال،» ورقة قدمت إلى: المقاومة المغربية ضد الاستعمار ١٩٠٤ ـ ١٩٥٥: الجذور والتحليلات: أعمال الندوة العلمية [بأكادير في ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ نوفمبر ١٩٩١]، تنظيم مندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير؛ بتعاون مع كلية الآداب (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٧)، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

كان أمراً طبيعياً ومتوقعاً أن يتصدى التازي عبر صحيفة العلم، لموضوعات وقضايا شتى، سياسية وثقافية وغيرها، كانت تستأثر باهتمام المغاربة. ويُعزى ذلك إلى تطور الأوضاع السياسية في المنطقة العربية إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتزايد المطالبة بالحرية والاستقلال. وكانت فكرة «الاستقلال» أهم موضوع أُثير في تلك المرحلة، واحتلت مكان الصدارة في التفكير السياسي؛ فعندما وصف المقيم العام الفرنسي «جوان» المغاربة بـ «آكلي الجراد والتبن»، علّق التازي على وصف المقيم وعلى صفحات العلم بذكر رواية تاريخية معروفة في الذاكرة المغربية بعنوان سعد وسلوى تتحدث عن تاريخ المغرب بعصوره المختلفة. واختتم التازي الرواية بعبارة «إن المغرب لا محال سيتخلص من هذا العار (الاستعمار)». ثم أورد بيتين من الشعر يلخّص بهما هدفه من المقالة:

سوف أرعى لبلادي ... عهدها ما دمت حيا
بلساني وفؤادي ... كيما تسمو الثريا[٢٤]

وعلى النحو نفسه، بادر التازي إلى نشر مقالات تتناول مواضيع اجتماعية وفكرية تمس قضايا الوطن والمجتمع. ولا يخفي التازي غرضه من ذلك وهو إبداء نقد لبعض العادات والأعراف السائدة التي تحول من دون بلوغ المغربي مرحلة الرقي والتحرر؛ فقد جسد في مقالاته التي نشرها في العلم، باسم مستعار هو «أبو سعد»، بعنوان «لكن من المسؤول؟» قال فيها ما نصه «إن الولاة مهما كانوا، ولاة امة أو قبيلة أو أسرة, لا يحزنوا إذا ما ولد لهم انحرافهم الخبيث خبيثاً مثله. لأنهم تجاهلوا دورهم القاضي بالصلاح وأنهم لمسؤولون عن أي ظاهرة تتنافى مع العدل والإنصاف»[٢٥].

وفي مقالة أخرى، أشار التازي إلى الآثار السلبية لبعض الممارسات الاجتماعية الخاطئة وانعكاسها على المواطن المغربي، ما يجعل منه عرضة للتسلط الاستعماري الفرنسي؛ فتحت عنوان «انك لا تجني من الشوك العنب» ذكر التازي ما نصه:

«أنتم أيها الآباء المربون أيصح أن نهمس في آذانكم بهذه الكلمة الحية. أنكم أذا أسأتم التربية لأولادكم. غررتموهم وجهلتموهم فلا لأمركم يسمعون ولا للعائلة يصلحون ولا للأمة ينتمون ولا للواجب يقدرون ولا للصداقة يحترمون. فيكونون كأعجاز نخل خاوية، لا نرى لهم باقية، لأنهم غرسوا بالأمس شوكة سامة فلا بد أن يكون حصادهم اليوم شوكاً...»[٢٦].

واستمراراً على النهج ذاته بيّن التازي أهمية «الانفتاح، ومواكبة التعلم، ومحاربة السياسة الفرنسية» في أعداد أخرى من صحيفة العلم؛ فأقبل الناس على قراءتها، إذ وجدوا فيها تعبيراً عن واقعهم، وتحسساً لآلامهم[٢٧].

---

(٢٤) العلم، العدد ٧٢٢ (١١ أيار/مايو ١٩٤٨).

(٢٥) عبد الهادي التازي، «لكن من المسؤول؟،» العلم، العدد ٧٥٣ (٥ أيلول/سبتمبر ١٩٤٨).

(٢٦) عبد الهادي التازي، «أنك لا تجني من الشوك العنب،» العلم، العدد ٧٥٩ (١١ أيلول/سبتمبر ١٩٤٨).

(٢٧) للاطلاع على مضامين تلك المقالات. انظر: عبد الفتاح الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي (الرباط: مطبعة إليت، ١٩٩٢)، ص ٣٩ ـ ٤٢.

ويبدو أن مواصلة التازي نشر مقالاته في العلم كان تصميماً منه على رفع راية الإصلاح وصولاً إلى الحرية والانعتاق من السيطرة الفرنسية الاستعمارية. لذا كانت كفيلة بأن تلقى من سلطات الإدارة الفرنسية ما لقيته الصحف الأخرى الوطنية؛ فقد عمدت المحكمة الفرنسية إلى محاولة التعرف إلى اسم كاتب مقالة «لكن من المسؤول؟» متذرعة بان إحدى الأسر في مدينة سلا، رفعت دعوى قضائية اتهمت فيها كاتب المقالة بالإساءة إلى سمعتها.

وإزاء هذا الموقف من المحكمة الفرنسية، اضطرت إدارة صحيفة العلم إلى الكشف عن صاحب المقالة، فكان هذا كافياً للإيقاع بالتازي، فقررت المحكمة إلزام إدارة الصحيفة والتازي دفع غرامة مقدارها خمسمائة فرنك فرنسي بالتضامن[٢٨].

لم تقتصر حماسة التازي على تعليم الفتاة المغربية في المدارس الحرة الخاصة بالفتيات، بل سعى ضمن هذا الإطار إلى إيجاد مشروع جديد لمتابعة تعليمهن الثانوي في ظل عدم وجود مدارس ثانوية خاصة بهن في المغرب[٢٩]، الأمر الذي يؤشر بوضوح إلى التفاتته إلى ما كانت تعانيه المرأة المغربية بسبب السياسة التعليمية للإدارة الفرنسية. لذا نراه يدعو مدير القرويين محمد الفاسي إلى تنفيذ مشروع فتح ملحق للقرويين خاص بالفتيات لتعليمهن تعليماً ثانوياً يقوم على منهاج عربي - إسلامي[٣٠].

في ضوء ما تقدم، فاتح مدير القرويين محمد الفاسي، وبتخويل من هيئة العلماء الاستقلاليين، السلطان محمد بن يوسف بأهمية افتتاح ملحق تابع للقرويين خاص بالفتيات المغربيات على أن تتبنى إدارة القرويين وضع منهاج دراسي يلائم وضع الفتاة المغربية العربية المسلمة. وعلى ما يبدو فإن السلطان اقتنع بأهمية المشروع فأصدر «ظهيراً» سلطانياً بالموافقة على فتح الملحق[٣١].

ومن المهم أن نشير إلى أن قرار فتح الملحق للقرويين أثار ردود فعل شديدة لدى الإدارة الفرنسية التي كانت تعاني حساسية مفرطة تجاه انتشار التعليم ولا سيما التعليم القائم على الصبغة العربية الإسلامية؛ فقد كان المقيم العام الفرنسي «جوان» يعتبر المدارس والمعاهد الوطنية واجهات لأحزاب سياسية، تمارس من خلالها العمل السياسي، والتحريض على المطالبة بالاستقلال[٣٢].

لم تسفر المحاولة التي لجأ إليها المقيم العام لإقناع السلطان بالعدول عن قراره بفتح الملحق عن نتيجة بعد إصرار الأخير على تنفيذ ما عزم عليه، وعلى النحو نفسه، فشلت محاولة المقيم العام

(٢٨) جريدة السعادة (الرباط)، ١٩٤٩/٥/٢٤.

(٢٩) المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ١١ مج (الرباط: منشورات عكاظ، ٢٠٠٥)، مج ٢، ج ١، ص ٣٥٥.

(٣٠) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٦١، والتازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٦٧.

(٣١) التازي، المصدر نفسه، ص ٧٦٩.

(٣٢) Stéphane Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain 1943-1956*, 3 vols. (Bruxelles: Institut de Sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1962), p. 73.

تحريض بعض أدعياء التصوف والاستعانة بهم لإثارة الأقاويل وإشاعة حالة من التذمر بين صفوف الناس والادعاء بأن السلطان وحزب الاستقلال ينويان «إفساد أخلاق المجتمع، والخروج عن القيم والعادات والتقاليد المتوارثة»[٣٣].

ومن الجدير بالذكر، أن أحد أغنياء فاس تبرع بتكاليف إنشاء مبنى الملحق في منطقة «عقدة الفيران». ومن أجل دعم المشروع أبدى التازي استعداده للتدريس، وتعليم الفتاة المغربية من دون مقابل، وقد ساعد ذلك كثيراً في نجاح المشروع وتم افتتاح الملحق في شهر آذار/مارس ١٩٤٩[٣٤] واعتُبر يوماً مشهوداً في تاريخ المغرب ومسيرة القرويين التعليمية[٣٥].

وفضلاً عن ذلك، وضمن نشاطات هيئة العلماء، أخذ التازي على عاتقه مهمة تثقيف المرأة، والارتقاء بالأسرة المغربية بوصفها المجتمع الأصغر ودور المرأة في تربية الأبناء. وفي الواقع، كان الاهتمام بتعليم المرأة يؤلف ركناً أساسياً من أركان إصلاح المجتمع في نظر التازي؛ فإصلاح المجتمع يبدأ، في رأي التازي، بإصلاح الأسرة. وما كان يعزز هذا التوجه لدى التازي حركة التحديث والإصلاح الاجتماعي التي نادى بها السلطان محمد بن يوسف وابنته لاله عائشة[٣٦].

وضمن هذا الإطار، ساهم التازي في تأسيس جمعية في فاس حملت اسم «جمعية أسرة النور» تيمناً باسم إحدى سور القرآن الكريم. انتمى إلى جمعية النور معظم خريجات مدرسة الفلاح للبنات التي كان التازي يلقي محاضراته فيها.

استهدفت «جمعية أسرة النور» توظيف الأنشطة الثقافية والتربوية والفنية لخدمة القضايا الوطنية؛ فقد أسست الجمعية فرقة مسرحية قدمت أول عمل فني بإشراف عبد الهادي التازي تضمن عرض رواية سعد وسلوى في أحد مسارح فاس، وقد سبق للتازي أن أشار إلى الرواية في مقالته التي نشرها في العلم كما مر بنا[٣٧].

---

(٣٣) المغرب الأقصى ـ مراكش (القاهرة: منشورات حزب الاستقلال، ١٩٥١)، ص ١٨٣.

(٣٤) مقابلة شخصية مع أحمد الغازي الحسيني بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٧، وأحمد الغازي كان زميل عبد الهادي التازي في الهيئة التدريسية للقرويين وفي ملحق الفتيات التابع له.

(٣٥) يُعد ملحق القرويين، الذي أطلق عليه اسم أم البنين أول معهد في تاريخ القرويين يستقبل الطالبات ويمنحهن الشهادة العالمية الدينية، بقي هذا المعهد ثلاثة أعوام من دون أن تعترف به إدارة الحماية الفرنسية. اعتمد الملحق في تمويله على تبرعات أعضاء حزب الاستقلال والميسورين من أهالي فاس. انظر: جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي: أعمال ندوة تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود، نظّمها بيت آل عزيز الحبابي؛ تحت إشراف وتصدير فاطمة الجامعي الحبابي (فاس: منشورات جامعة القرويين، ١٩٩٦)، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٣٦) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٤١١، ولاله عائشة ولدت عام ١٩٣٠ في الرباط وأتمت تعليمها فيها. تعد لاله عائشة من الناشطات في ميدان الحركة النسوية والدعوة إلى تعليم المرأة. ساهمت في افتتاح العديد من المدارس الخاصة بالفتيات في عدة مدن مغربية. خرجت لالة عائشة عن تقاليد المجتمع المغربي بارتدائها الملابس العصرية، وتركت النقاب، ما أحدث ضجة بين صفوف المجتمع المغربي الذي انقسم إلى مؤيد ومعارض تحرر المرأة. انظر: العلم، العدد ٢٥٤ (٦ تموز/يوليو ١٩٤٧).

(٣٧) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٥٧.

إن اتجاه القائمين على التعليم في «جمعية النور» وفي مقدمهم عبد الهادي التازي إلى أسلوب عرض المسرحيات ذات الطابع التاريخي الوطني والقومي، يؤشر إلى مدى التطور في وعي الحركة الوطنية المغربية، ويدخل ذلك، من دون شك، في إطار تحرك سياسي واضح المعالم كإحدى ساحات المواجهة مع سلطات الحماية الفرنسية، فإن هؤلاء كانوا يبحثون في الواقع عن كل مجال ينفذون من خلاله من أجل التبشير بأفكارهم التي مست أهم القضايا الوطنية المثارة يومذاك، وفي مقدمها الاستقلال(٣٨)؛ فقد تحولت الأعمال المسرحية(٣٩) في عهد الحماية إلى سلاح أدبي مقاوم في وجه السلطة الفرنسية المحتلة(٤٠).

إذاً،كان التمسك بالوطنية والاستقلال الهدف المهم للتازي في تلك المرحلة من نشاطه الفكري والسياسي. ومن هذا المنطلق قام، وبتوجيه من لجنة الدعوة والإرشاد في حزب الاستقلال، بتشجيع بعض عضوات جمعية أسرة النور على نشر مقالات تتمحور حول قضايا أدبية واجتماعية وسياسية، من دون الإشارة بشكل صريح إلى اسم كاتبة المقالة. ولما لم يكن ثمة مجال لأي انتقاد مباشر للإدارة الفرنسية الحاكمة، فكانت كاتبة المقالة تعمد إلى الرمز أحياناً والى التجريد أحياناً أخرى(٤١).

وبعد أن أخذت السياسة الفرنسية في المغرب تمر بطور جديد، بلجوء المقيم العام الفرنسي جوان، إلى تبني سياسة قائمة على ربط المغرب بفرنسا بإعلانه في بيان له أن المغرب أقرب ما يكون من البلدان الأوروبية، وليس من بلدان المحيط العربي الإسلامي(٤٢). ومن الواضح أن السلطات الفرنسية لجأت إلى فكرة «أوربة المغرب» بدافع تضليل المغاربة، وتجميد مطالبهم بالحرية والاستقلال.

فحسب الخطة المقررة، قام المقيم العام بتأسيس مجلس برئاسته ضم عدداً من المغاربة، ممن ارتبطت مصالحهم بالسياسة الفرنسية فضلاً عن عدد من المستوطنين الفرنسيين، وكان من أهداف المجلس تغيير هوية المغرب العربية الإسلامية وعزل السلطان محمد بن يوسف إذا أبدى اعتراضاً على السياسة الفرنسية الجديدة(٤٣).

---

(٣٨) محمد الكغاط، المسرح وفضاءاته (القنيطرة: البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦)، ص ٢٥ وما بعدها.

(٣٩) يجمع الباحثون على أن النموذج العربي الذي أتت به إلى المغرب الفرق المشرقية يعتمد التاريخ ويبلور ثوابته ومتغيراته لتعميق الوعي، عبر الإيحاءات والرموز والأبطال هذا من جانب، ومن جانب آخر يؤسس مسرحاً سياسياً ملتزماً على العكس من الوضع ويفضح ممارسات دول الاحتلال الهادفة إلى قمع الحركات الوطنية ومسخ الهوية العربية الإسلامية. لذا نجد أن ابرز قادة الحركة في المنطقتين الشمالية والسلطانية في المغرب نشطوا في تأليف بعض المسرحيات الوطنية كعلال الفاسي وعبد الخالق الطريسي ومحمد الغري. انظر: محمد مصطفى القباج، «دور المسرح في دعم النضال الوطني،» في: المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ص ٣٧٥.

(٤٠) الكغاط، المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٤١) مذكرات عبد الهادي التازي، (مخطوط)، ص ١٦٠.

(٤٢) Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain 1943-1956*, p. 66.

(٤٣) اتبع المقيم العام جوان سياسة تقويض حكم السلطان والتهديد بعزله إذا لم يصادق على الظهائر التي تخدم تلك السياسة التي عدّها جوان مهمة لإصلاح الوضع في المغرب، يسانده في هذا العمل بعض باشوات المدن المغربية ممن =

عبّر قادة الحركة الوطنية وفي مقدمهم زعماء حزب الاستقلال عن قلقهم من التوجهات الجديدة للإدارة الفرنسية الهادفة إلى تصفية القضية المغربية، وتجريد المغرب من مقوماته وانتمائه العربي الإسلامي بإدماجه في قومية غير قوميته العربية ـ الإسلامية[٤٤].

كان أمراً طبيعياً أن تمس السياسة الجديدة للمقيم العام مشاعر التازي في الصميم؛ فقد تركت تلك السياسة، مع إفرازاتها، تأثيراً مباشراً في نشاطه، وأرائه الفكرية من دون شك. وضمن هذا الإطار سعى من خلال العودة إلى التاريخ، ومآثر الأجداد، وإنجازات المغاربة في ميدان المدنية والحضارة[٤٥]، إلى كتابة سلسلة من المقالات نشرها في مجلة الرسالة المغربية ابتداءً من العدد الصادر في ٢٨ آذار/مارس ١٩٤٩، أشار فيها إلى مزايا التاريخ المغربي وأمجاد المغاربة في التصدي للحملات الصليبية الأوروبية في معارك وادي المخازن ضد البرتغاليين والإسبان في العصور الوسطى. فقد قال بشأن هذا الموضوع:

«ركب المسلمون المنتصرون على العدو الغازي وولى البرتغاليون الإدبار وضعفت معنوياتهم وضاقت بهم الأرض، فأخذوا يلقون بأنفسهم في النهر مفضلين الغرق على طعن المسلمين، لكنهم كانوا يجتمعون بين القتلتين إذ كان المسلمون يهوون عليهم بسيوفهم في القفا ويرمونهم في الوادي. وهذا هو مصير الغازي المعتدي»[٤٦].

كان من شأن مقالات التازي أن تثير المقيم العام الفرنسي، على الرغم من عدم مساسها بالأمور السياسية؛ فلم يكتفِ المقيم بوضع المجلة تحت المراقبة فحسب، بل لجأ إلى حذف فقرات من المقالات من قبل الرقيب الفرنسي[٤٧] تجعل مفعولها مانعاً لأية أفكار وإيحاءات تحض على الأفكار التي تتعارض مع أهداف السياسة الفرنسية[٤٨]. لم تقتصر حماسة التازي على نشر المقالات في مجلة الرسالة المغربية فحسب، بل سعى إلى جمع الوثائق الخاصة بالتاريخ المغربي، وبدأ منذ عام ١٩٥٠ بتدريس التاريخ الإسلامي وتاريخ الدولة العلوية على طلبة القرويين[٤٩].

= ارتبطت مصالحهم بمصالح الفرنسيين. وما اضطر السلطان محمد بن يوسف أن يرضخ مجبراً لبعض مطالب المقيم العام جوان. للمزيد انظر: المصدر نفسه، ص ٧١ ـ ١٠٠.

(٤٤) أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا (القاهرة: الدار القومية للطباعة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ص ٩٩.

(٤٥) عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، ١٠ مج (الرباط: مطبعة فضالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، مج ١، ص ١٤ ـ ١٥.

(٤٦) مجلة الرسالة المغربية (الرباط)، العدد ٦ (٢٨ آذار/مارس ١٩٤٩).

(٤٧) تمتع الرقيب الفرنسي، الذي عينّه المقيم جوان بموجب قانون «مكتب الرقيب الصحفي»، بحق الإشراف على إصدار الصحف والدوريات ومنع أو حذف مقالات غير مرغوب فيها. انظر: المغرب الأقصى ـ مراكش، ص ١٦٢، وروم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة؛ مراجعة أنيس فريحه (بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٦٣)، ص ٣٣٢.

(٤٨) التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، مج ١، ص ١٥ ـ ١٦.

(٤٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٦٣.

إن جهود التازي في التدريس في القرويين والمدارس الحرة وعمله في لجان حزب الاستقلال وجمعية أسرة النور، ساعده في الوقت نفسه على التعرف إلى شرائح مختلفة من المجتمع المغربي ولاسيما في فاس، وعزز من صلاته بمعارفه وتلاميذه وأبناء بلدته، ما جعله مؤهلاً أكثر لأداء دور أكبر في النشاط الحزبي لحزب الاستقلال(٥٠).

ففي تلك المرحلة، بذل التازي جهوداً كبيرة من أجل جمع شمل أبناء فاس من طريق كسبهم في صفوف حزب الاستقلال ضمن خلايا حزبية سرية؛ فكان هناك خلية تضم التجار وخلية خاصة بالعمال وأخرى لطلبة المدارس العمومية وخلية القرويين(٥١).

وفضلاً عن ذلك، عُهد إلى التازي مهمة توجيه وإرشاد عدد من خلايا الحزب في مناطق «لحلو» و«لبرادة» و«بن كيران» في فاس، وبالتنسيق مع عمر بن عبد الجليل والهاشمي الفيلالي(٥٢).

أبدى عبد الهادي التازي نشاطاً ملحوظاً في هذه المدة، في كسب المؤيدين للحزب، ودعوة أبناء المدن المغربية ولا سيما في المناطق البربرية إلى إكمال دراستهم في المدارس التي تُعنى بالتعليم العربي الإسلامي متجاوزاً ما كان مقرراً للبربر من مناهج خاصة تقررت في الظهائر الصادرة عن لدن سلطات الحماية الفرنسية(٥٣).

وعلى ما يبدو فإن انتساب التازي إلى القرويين كأحد أعضاء هيئتها التدريسية، فضلاً عن سرية اتصالاته، كانت من العوامل الميسرة له في العمل الحزبي، وأبعدت عنه أنظار رجال الأمن الفرنسي، الأمر الذي شجعه على بذل أقصى الجهود لدعوة أبناء البربر إلى إكمال تحصيلهم العلمي في القرويين. يذكر التازي أنه في صيف عام ١٩٥١ زار منطقة «إيفران»(٥٤)، وهناك التقى بأحد الفقهاء مع تلامذته في زاوية(٥٥) إيفران، ويبدو انه فوجئ بمعرفة ذلك الفقيه بكل ما يتعلق بالتازي ومضامين مقالاته في صحيفة العلم ومجلة الرسالة المغربية، وأنه لمس فيه «الرغبة في الاتصال بالحركة الوطنية في فاس وسعيه إلى مواصلة تلامذته تعليمهم في القرويين». وفي نهاية اللقاء، اتفق التازي

---

(٥٠) المصدر نفسه (مخطوط)، ص ١٦٤.

(٥١) المصدر نفسه، ص ١٦٥. وتجدر الإشارة إلى أن الخلية الحزبية لحزب الاستقلال كانت تضم بين ١٥ و ٣٠ عضواً، وكان لكل خلية أمين عام وأمين صندوق ومرشد يشترط فيه أن يكون ذا تعليم جيد ومهمته إدارة التداول داخل الخلية الحزبية.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٥٣) كانت الدراسة في المناطق البربرية باللغة الفرنسية حصرياً. انظر: محمد العبادي، مشرف، محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، سلسلة ندوات ومناظرات؛ ١ (الدار البيضاء: مطبعة فضالة، ١٩٩٦)، ص ٤٥.

(٥٤) إيفران: منطقة قريبة من فاس ذات أغلبية بربرية وقد أنشأ فيها الفرنسيون مصيفاً خاصاً بهم، لا يسمحون لغيرهم بالقدوم إليها. لذا فإن السلطان محمد بن يوسف عندما زاره التازي ومن معه في ذلك المصيف، وكان السلطان يصطاف في تلك المناطق الزراعية، أسعده ذلك التواجد للمغاربة وطلب من التازي الإصرار على المجيء إليه، لكي يعرف الفرنسيون أنها أرض مغربية. انظر: التازي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف،» ص ٧٠.

(٥٥) الزاوية: لغوياً: ركن من أركان البناء. دينياً: مأوى للمتصوفين والفقراء. إما في المغرب، فهي مراكز لنشر الثقافة العربية الإسلامية بين قبائل البربر. انظر: المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ٢، ج ١، ص ٣٠٦.

مع الفقيه على إدامة الاتصال بينهما لتحقيق ما تم الاتفاق عليه بخصوص تعليم أبناء البربر في القرويين(٥٦).

دشنت اتصالات عبد الهادي التازي بفقيه (إيفران) بداية مهمة في العلاقة بين الرجلين؛ ففي صيف العام التالي، زار التازي منطقة «إيفران» مرة أخرى وقام بشراء قطعة أرض في «باليموزار» ليكون قريباً من فقيه «إيفران». ولا نستبعد أن التازي استهدف من شرائه الأرض تضليل رجال الأمن الفرنسيين بتبرير تردده إلى تلك المناطق. في الوقت الذي أقامت سلطات الأمن الفرنسية جهاز أمن قومي عرف بـ «الكونترول»(٥٧) يرصد نشاطات القوى المعارضة ولا سيما جماعة حزب الاستقلال.

ومع ذلك جذب تردد فقيه زاوية إيفران وبعض أصدقاء التازي على محل إقامة الأخير في أرضه انتباه رجال «الكونترول» الفرنسي، الذين أرادوا الوقوف على سر ترددهم على التازي الذي استُدعي مرات كثيرة للتحقيق معه. بهذا الصدد يذكر التازي ما نصه:

«تم استدعائي لأكثر من مرة، للتحقيق معي حول من يأتي عندي ومن يذهب، وما علاقتي بكل هؤلاء؟ وهم من مدن غير مدينة فاس ثم لماذا اشتريت قطعة الأرض في هذه البلدة في حين أنني من مدينة فاس؟»(٥٨).

لجأت سلطات «الكونترول» إلى محاولة إبعاد التازي عن المنطقة بالإيعاز إلى أحد أهالي المنطقة من البربر وكان جاراً للتازي، برفع دعوى قضائية ضد التازي لدى المحكمة الفرنسية يطالب فيها بـ «الشفعة»(٥٩) بضم أرض التازي إلى أرضه بموجب «العرف البربري»(٦٠) وكما هو متوقع، أصدرت المحكمة حكمها لمصلحة صاحب الدعوة مع أن المدة القانونية المنصوص عليها لطلب الشفعة انقضت؛ فكان أن تنازل التازي عن أرضه لمصلحة جاره. ومهما تكن دوافع سلطات «الكونترول»، فإن عبد الهادي التازي حقق غرضه في التحاق عدد من طلبة زاوية إيفران بالدراسة في القرويين، ثم إسهامهم في الحركة الوطنية(٦١).

---

(٥٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٠.

(٥٧) (الكونترول): مصطلح أُطلق في المغرب آنذاك على رجال الأمن المركزي الفرنسي الذين أقاموا لهم مقرات دائمة في مناطق البربر.

(٥٨) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٢.

(٥٩) الشفعة: هي الحق الثابت لكل من يملك مع آخرين على شياع عقارات أو حقوقها عينية عقارية في أن يأخذ الحصة المبيعة بدلاً من مشتريها. بعد أن يدفع المبلغ المؤدي إلى شرائها وكذلك مبلغ ما أدخل عليها من تحسينات وما أدى عليها من مصاريف لازمة العقد. ويسقط ذلك الحق بعد مرور شهر من عملية البيع. انظر: مجلة القضاء والتشريع (تونس)، العدد ٦ (حزيران/يونيو ١٩٨٠)، ص ١١١.

(٦٠) العرف البربري: أصدر أول مقيم فرنسي في المغرب لايوتيه، ظهيراً نص على تأسيس محاكم عرفية في المناطق ذات الأغلبية البربرية. يديرها ضباط فرنسيون للنظر في مختلف القضايا التي تعرض عليها وكانت أحكامها ملزمة تجاه الأشخاص بغض النظر عن انتماءاتهم العرفية أو الدينية. وتستند في أحكامها إلى الأعراف والتقاليد القديمة البربرية فضلاً عن القانون العام الفرنسي. انظر: المغرب الأقصى ـ مراكش، ص ٩٤، والمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، معد، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، مج ١، ج ١، ص ٢١١.

(٦١) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٣.

وبالحماسة نفسها، تحولت دروس التازي في القرويين إلى منبر ثقافي، فضلاً عن دروسه في مجال تخصصه، لا يستغنى عنه. وقد تآلف معه عدد كبير من الطلبة من حلقات تعليمية أخرى، كانت بعهدة «عبد الواحد العراقي»[٦٢]. ووصف بأنه كان «محاضراً ممتازاً يسحر سامعيه في محاضراته بأسلوبه السلس والبسيط، وبروح المرح والدعابة التي يتحدث بها»[٦٣].

وفي القرويين، عُرف عن التازي عدم التزامه بتقاليد التزم بها علماء القرويين، تتنافى مع طبعه، ونزوعه إلى الإصلاح، ونبذه ما كان يراه دخيلاً على الإسلام من قيم وممارسات لا تمت إليه بصلة. لذا نراه «يمارس التمارين الرياضية وهو يرتدي الزي الخاص بالرياضة»، ويستقل «الدراجة الهوائية مما يعد خروجاً عن الأعراف والتقاليد الاجتماعية في فاس». وكان يلقي دروسه على الطلاب في القرويين وهو «حليق الوجه ويرتدي الجلباب من دون أن يضع «السلهام» على رأسه، ويشاهد العروض المسرحية برفقة زوجته»[٦٤].

ومهما يكن من أمر، فإن توجهات التازي مع روح العصر لم تتناقض مع مثله العليا، وتمسكه بالإسلام، ووضوح الرؤيا لديه؛ ففي رده على رئيس المجلس العلمي للقرويين، الذي أبدى اعتراضه على بعض تصرفاته المخالفة سمة علماء القرويين، ذكر التازي أن «ما يقوم به لا يتقاطع مع الإسلام. وأن الإسلام ليس طقوساً سطحية بل مبدأ وعقيدة. والإسلام منفتح على كل العصور وبالتالي فهو متطور ومتجدد»[٦٥].

أدى عبد الهادي التازي نشاطاً سياسياً ملحوظاً داخل أروقة القرويين باستقطاب الطلاب وكسبهم لمصلحة حزب الاستقلال، وانعكس هذا النشاط في ظهور بوادر تنم عن ازدياد شوكة الحزب والعناصر الملتفة حوله حتى أن أعضاء حزب الشورى والاستقلال داخل القرويين أطلقوا على الصراع الذي أخذ بالاحتدام بين الحزبيين بـ «معركة القرويين»[٦٦].

وفي مثل هذه الأجواء، كان أمراً متوقعاً أن يتهم قادة حزب الشورى والاستقلال مدير القرويين محمد الفاسي وعبد الهادي التازي ومحمد الصقلي وأعضاء حزب الاستقلال في القرويين بأنهم «يسعون إلى تجيير القرويين لمصلحة حزبهم»[٦٧] ولا سيما أن عبد الهادي التازي كان أنشط

---

(٦٢) وهو أحد قادة حزب الشورى والاستقلال. وكان القائمون على شؤون القرويين يسندون تدريس المادة الدراسية الواحدة إلى أستاذين بغية إيجاد نوع من المنافسة بينهما. مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٦.

(٦٣) مقابلة مع يوسف الفاسي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٨. أحد طلاب التازي في القرويين واحد أساتذتها حالياً؛ انظر: سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار، تحت إشراف عبد الحق عزوزي وأسماء علوي (فاس: منشورات المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ١٦.

(٦٤) مقابلة مع محمد الصقلي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٧. والسلهام هو غطاء الرأس الذي يميز المغاربة.

(٦٥) الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٣٠.

(٦٦) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي، بتاريخ ٢٠١٢/١/١٦، وعبد الحي حسن العمراني، الزعيم الوطني الكبير محمد بن الحسن الوزاني في سطور (فاس: مطبعة السلام، [د. ت.])، ص ٤١.

(٦٧) أبو الفداء، «من مشاكل القرويين (حزبية الإدارة القروية)،» مجلة الرأي العام (الرباط)، العدد ٢٣ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٩).

الساعين إلى كسب الطلاب وتوسيع قاعدة حزب الاستقلال بين صفوف أساتذة وطلبة القرويين، ووقف بقوة ضد محاولات قادة حزب الشورى والاستقلال لاستمالته إلى جانبهم[٦٨].

ولكن علينا أن نضيف و أن نقر أن هذا الصراع الحزبي داخل القرويين عرقل جهود الإصلاح الذي طالما سعى إليه التازي ورفاقه في حزب الاستقلال، وأوقعهم في أخطاء ظهرت آثارها في السنوات الممتدة بين عامي ١٩٤٧ و١٩٥١؛ فقد حرصت سلطات الحماية الفرنسية على إدامة الصراع بين الحزبين بهدف إضعاف تأثيرهما والحيلولة من دون تكوينهما جبهة موحدة تهدد الوجود الفرنسي في المغرب.

ومن ناحية أخرى، حاولت إغراء قادة الحركة الوطنية، والتلويح لها بأنها عازمة على إجراء إصلاحات جذرية تبشر بمستقبل زاهر للمغرب يدر عليهم النعمة والمجد لغرض إضعاف تأثيرهم وصولاً إلى قيام منافسة بينهم، ثم إقصائهم في مرحلة لاحقة[٦٩].

أدرك قادة الحزبين (الاستقلال) و(الشورى والاستقلال)، بعد حين، ما تنطوي عليه سياسة الإدارة الفرنسية من محاولة لاحتواء الحركة من الداخل بإثارة الخلاف بين زعمائها، وفي تلك الحالة فإنها تحقق هدفها في تغير مواقفهم منها، الأمر الذي دفع زعماء الحزبين إلى توحيد جهودهم ضمن تكتل وطني عرف بـ «الجبهة الوطنية» في نيسان/أبريل عام ١٩٥١، حيث تم التنسيق في المواقف السياسية بين الحزبين الرئيسيين. وتم تبادل الأفكار والآراء لتحقيق الهدف المشترك وهو الاستقلال[٧٠]. وسرعان ما توسعت الجبهة الوطنية بانضمام أحزاب أخرى إليها فانضم حزبا «الإصلاح» و«الوحدة»[٧١] وانعكس هذا التوسع في ازدياد الوعي السياسي للحركة الوطنية المغربية، وتعاظم شعورها المعادي للسيطرة الاستعمارية. وكان عبد الهادي التازي عنصراً منسقاً مهماً بين أحزاب الجبهة الوطنية ولا سيما إنه كان عضواً في حزب الاستقلال، الحزب الرئيسي في المغرب.

وتجدر الإشارة إلى وجود ظروف موضوعية أدت إلى تنامي قوة الجبهة الوطنية في هذه المرحلة، فضلاً عن ازدياد عدد المنتمين إليها، ويأتي في مقدمها تحول الجبهة إلى مؤسسة مغربية وطنية تمثل مختلف الشرائح الاجتماعية، وتراجع القوى الاستعمارية أمام مطالب الشعوب في الحرية والاستقلال، والتطورات السياسية الداخلية في فرنسا، فضلاً عن دور المنظمات الدولية المتمثلة بالجمعية العامة للأمم المتحدة والجامعة العربية التي بدأت تولي اهتمامها بالقضية المغربية.

---

(٦٨) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي، بتاريخ ٢٠١٢/١/١٦.

(٦٩) امحمد بن هاشم العلوي، من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس، ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤، ط ٢ (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠)، ص ١٢٠.

(٧٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٣١١/٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ١٦، ص ٤٥، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، المرقم ٢٤١، بتاريخ ١٩٥٢/٥/٣.

(٧١) وهما من أحزاب المنطقة الشمالية من المغرب الخاضعة للنفوذ الإسباني.

في خضم هذه الأحداث، يبدو أن التازي أصبح في وضع نفسي قلق؛ فقد عانى من هموم السياسة وأعبائها، ومتطلبات التدريس ومتاعبه. وكما لاحظنا فإنه كان قد أرهق نفسه بصورة غير اعتيادية بالعمل في أكثر من مجال تعليمي وحزبي وثقافي، الأمر الذي دفعه إلى التفكير في السفر إلى فرنسا. ولما كانت رحلات المثقفين المغاربة إلى باريس تظهر وجهاً آخر من أوجه التأثر بمظاهر التطور الحضاري في العاصمة الفرنسية. ربما كان ذلك، في اعتقادنا، أحد أسباب رحلته تلك.

انتهز التازي مجاورته أسرةً فرنسية، والصداقة التي كانت تربط أسرته بتلك الأسرة التي غالباً ما بسطت حمايتها عليه، وجنبته ملاحقة رجال الأمن الفرنسي، فضلاً عن رابطة الزمالة التي جمعت بين زوجة التازي وسيدة الأسرة الفرنسية في مدرسة «العديلة» في فاس(٧٢)، فأظهر ترحيبه بدعوة الأسرة الفرنسية إلى مرافقتها مع زوجته لزيارة فرنسا(٧٣).

يصف لنا التازي تفاصيل سفرهم منذ مبارحتهم مدينة فاس يوم ٢٥ تموز/يوليو ١٩٥٢، باتجاه شمال المغرب ومنه إلى إسبانيا بعد عبورهم البحر المتوسط ومنها إلى باريس التي وصلها يوم ٢٨ تموز/يوليو(٧٤).

رصد التازي واقع حياة المجتمع الفرنسي وأثره في التربية والتعليم؛ فأشار إلى أنَّ حظ مختلف الطبقات في استحصال العلم والتخصص فيه كبير، لأنه من مؤشرات أوضاع اجتماعية وسياسية صحيحة؛ فقد وجد التازي أن «التعليم هنا كالماء والهواء في حق كل واحد وفي السن المناسب، وأنَّ اختلاف التقاليد والعادات سهل ما دام احترام الآخر قائماً»(٧٥).

لم يطل المقام بالتازي وزوجته في باريس، فقد بارحها عائداً إلى فاس في ٢٨ آب/أغسطس ١٩٥٢(٧٦).

باشر عبد الهادي التازي بعد عودته من فرنسا وظيفته كأستاذ في القرويين وملحقه في مرحلة شهدت تطور الأوضاع السياسية في المغرب بتأثير الحركة الوطنية، وفي هذا الوقت لم يكن قد مضى على ابتياعه داراً في منطقة «طريق صفرو»(٧٧) من أحد المستوطنين الفرنسيين(٧٨) سوى مدة وجيزة ليساهم مرة أخرى في النضال من أجل نيل المغرب استقلاله الناجز.

---

(٧٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ٣٢.

(٧٣) عبد الهادي التازي، رحلتي الأولى إلى فرنسا ١٩٥٢، مدخل عبد الرحيم مؤذن؛ تقديم سليمان القرشي (القنيطرة: دار الحرف، ٢٠٠٨)، ص ١٧ ـ ١٨.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٧٥) المصدر نفسه ص ٦١.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٧٧) «طريق صفرو»: مدينة مجاورة لفاس تقع بينها وبين مدينة (صفرو) التي تمتاز بكثرة مزارعها وصفاء جوها ويسكنها إضافة إلى المغاربة الكثير من المستعمرين الفرنسيين. انظر: مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٣.

(٧٨) خلال مدة الحماية تمكن المستعمرون الفرنسيون من الاستحواذ على أفضل المناطق الزراعية من خلال تملكها. انظر: سراب جبار خورشيد الربيعي، «التطورات السياسية والاقتصادية في المملكة المغربية (١٩٥٦ ـ ١٩٩٠)،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١٥.

ثالثاً: بروز دور عبد الهادي التازي من خلال حزب الاستقلال والقرويين من أجل الاستقلال

اتسمت المرحلة التي واصل فيها التازي تدريسه في القرويين في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي بعدم الاستقرار الناجم عن استمرار التصادم بين طموحات الشعب المغربي وخطط سلطات الحماية الفرنسية في إدامة هيمنتها على مقدرات المغرب، وحرمان شعبه من حقه في التحرر والاستقلال.

ومع أن التازي حرص على رفع المستوى العلمي لطلابه من خلال محاضراته، ولكن الذي لا ريب فيه، أن الوطن وحريته واستقلاله هو الذي كان يحظى باهتمامه. وانعكس ذلك من خلال توظيفه المجالات العلمية والأدبية لخدمة الأهداف النضالية والتصدي للإقامة العامة الفرنسية وسياستها المعادية لآمال وتطلعات الشعب المغربي لنيل الاستقلال تحت راية السلطان محمد بن يوسف. يؤكد الأستاذ أحمد الغازي الحسيني، أن التازي حرص على «غرس الروح الوطنية في طلبته من خلال محاضراته في المرحلة الثانوية ولاسيما محاضراته عن تاريخ الأدب العربي والملاحم الشعرية وكلامية العرب فهي خير ما يلائم ظروف البلاد آنذاك لما فيها من معاني الصبر عند نزول الشدائد، والشجاعة والاعتزاز بالنفس وحب الحرية ورفض الذلة والعبودية»[٧٩].

إن حرص التازي على ترسيخ قيم الحق وإذكاء الروح الوطنية بين الناشئة ورفع مستواهم الثقافي والعلمي، دفعه إلى تأليف كتاب يتضمن شرحاً وافياً لمفردات لامية العرب، وتوضيح معانيها وإعراب الغريب منها وتقريب مضامينها في أذهانهم مع مجمل أوضاع المغرب تحت الحماية الفرنسية، وأجيز الكتاب بعد طبعه في تموز/يوليو ١٩٥٣، إذ تقرر إدخاله ضمن مناهج القرويين التعليمية[٨٠].

وعندما اتجهت أوضاع المغرب إلى التفاقم عام ١٩٥٢، إثر تعيين فرنسا مقيماً جديداً هو أوغستين ليون غيوم (Augustin Léon Guillaume) «الذي سار على نهج المقيم «جوان» في الإصرار على وجوب رضوخ السلطان محمد بن يوسف للسياسة الفرنسية ومحاولة إرغامه على التوقيع على «ظهائر» تضمن لفرنسا مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في المغرب»[٨١].

وإزاء إصرار السلطان على عدم التوقيع على «الظهائر» والرضوخ للمقيم العام الفرنسي، الذي لجأ إلى التلويح باستعمال القوة، وخلعه اذ تطلب الأمر بمساندة كل من باشا مدينة مراكش «التهامي

---

(٧٩) مقابلة شخصية مع أحمد الغازي الحسيني بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٧.

(٨٠) انظر: عبد الهادي التازي، آداب لامية العرب (الرباط: المطبعة الوطنية، ١٩٥٣).

(٨١) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ٥١، ص ٧٣، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي ـ الحالة في مراكش، المرقم ع/٨١٢/١٤/٢٤٤١٢، في ١٩٥٣/٨/٢٦.

الجيلاوي»[٨٢] و«الشيخ الكتاني»[٨٣]. المعروفين بموالاتهم للسياسة الفرنسية والمقيم العام الذي أمنّ لهما النفوذ والسلطة في البلاد[٨٤]، لم يكن أمام الحركة الوطنية إلا أن يلجأوا إلى السلطان للحصول على تأييده ودعمه لهم، فتم تشكيل وفد ضم عدداً من علماء القرويين وهيئة العلماء وبعض الشيوخ والفقهاء من أمثال الفقيه محمد بن العربي العلوي، وحال مقابلتهم للسلطان في الدار البيضاء في الثاني من آب/أغسطس ١٩٥٣، أعلنوا تأييدهم الكامل له، مؤكدين إخلاصهم للعرش، وفي الوقت نفسه إبلاغه مشاعر قادة الحركة الوطنية تجاه الجيلاوي والكتاني لحمله على وضع حد نهائي لنفوذهما وغطرستها متهمين إياهما بالتعاون مع سلطات الحماية الفرنسية[٨٥].

التحق التازي بالوفد كأحد أعضائه استجابة لطلب قادة الحركة الوطنية بوصفه عنصراً يحظى باحترام السلطان وتقديره لمواقفه الوطنية السابقة، وما عرف عنه التزامه بالصدق في التعامل، والصراحة في القول، والجرأة في الشدائد.

يصف عبد الهادي التازي مهمة الوفد فيقول: «إن السلطان بعدما اطلع على فحوى هذه «العريضة»»، بدت عليه علامات الغضب والامتعاض، إذ خاطب أعضاء الوفد قائلاً: «إن هؤلاء الناس عزموا على محو كيان المغرب ولكننا لا يمكن أن نسمح لهم بذلك وأن عليكم سوء الظن بهم». وأبدى السلطان تقديره للوفد قائلاً: «إن مقابلة مثل هذه الثلة من أبناء المغرب هو خير دعم وإسناد لي في مواجهتهم»[٨٦].

أشرت زيارة الوفد للسلطان، وإعلان تأييد علماء القرويين له، وإخلاصهم لسلطانه، إلى حقيقة واقعة أن المؤسسة الدينية «القرويين» هي المؤسسة الرئيسة المرشحة تاريخياً لتحمل عبء اختيار وتنصيب أي سلطان في المغرب أو خلعِه[٨٧]، الأمر الذي لم يغب عن بال سلطات الإدارة الفرنسية

---

(٨٢) التهامي الجيلاوي: (١٨٧٩ ـ ١٩٥٦) باشا مدينة مراكش منذ عام ١٩٠٨، تعاون مع الفرنسيين عام ١٩١٢ عند احتلالهم المغرب في بسط نفوذهم في كثير من المناطق الجبلية والبربرية ونشأت بينه وبين الفرنسيين علاقة مصالح قوية أتاحت له أن يتمتع بحكم ذاتي في مراكش. شارك الفرنسيون في ضغطهم على السلطان محمد بن يوسف لإخضاعه إلى سلطتهم عام ١٩٥١. وكان المحرك الرئيس في التحريض والقيام بالعمل العسكري الذي أدى إلى خلع السلطان عام ١٩٥٣. تعرض إلى أكثر من محاولة اغتيال بعد خلع السلطان. في عام ١٩٥٥ أظهر ندمه وطلب العفو من السلطان، توفي بعد الاستقلال بثلاثة أشهر. انظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء التاسع: المناطق، الدول، البلدان، المدن، معالم، وثائق، موضوعات، زعماء (القاهرة: [د. ن.]، ٢٠٠٣)، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٨٣) الشيخ الكتاني: هو الشيخ عبد الحي الكتاني شيخ الزاوية الكتانية في المغرب تمتع بسلطة دينية على البسطاء بفعل (الكرامات والمعجزات الوهمية) التي دبرتها الإدارة الفرنسية، إذ قامت الطائرات الحربية الفرنسية التي تحلق في سماء المغرب ليلاً برمي أحجار في البوادي نقش عليها عبارة (الشيخ عبد الحي الكتاني ولي الله)، حتى إذا وجدها الرعاة أيقنوا أن السماء هي التي أمطرت هذه الأحجار وان الكتاني (ولي الله). لذا تعاون مع الفرنسيين ضد السلطان محمد بن يوسف. انظر: أحمد عسه، المعجزة المغربية (بيروت: دار القلم، ١٩٧٥)، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٨٤) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ٥٢، ص ٧٤ كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي ـ الحالة الراهنة في مراكش، المرقم ٢٤٨٠٦/١٤/٨١٢، في ١٩٥٣/٨/٢٦.

(٨٥) Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain 1943-1956*, p. 190.

(٨٦) التازي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف،» ص ٦٩.

(٨٧) المغرب الأقصى ـ مراكش، ص ٤٨، و Bernard, Ibid., pp. 191-195.

إدراكاً منها بخطورة وجود سلطان يتمتع بثقة علماء القرويين وتأييدهم، فعملوا على عزله، ونفيه خارج البلاد.

وكما توقع التازي جرت الأمور باتجاه التصادم بين السلطان والإدارة الفرنسية. إذ سرعان ما أذيع بيان من محطة إذاعة طنجة تضمّن خلع السلطان ونفيه خارج البلاد(٨٨) وإعلان حالة الطوارئ في أرجاء المغرب كافة وتنصيب بن عرفة سلطاناً على المغرب(٨٩) ولغرض إضفاء طابع الشرعية على تنصيب بن عرفة، لجأت الإدارة الفرنسية إلى استحصال البيعة له من علماء القرويين والقادة والباشوات فضلاً عن التهامي الجيلاوي(٩٠) الذي استغل علاقته بالإدارة الفرنسية من أجل استقطاب قوى محلية مؤثرة من البربر تساعد بحسب إمكانياتها على تحقيق هدفه؛ فقاد قوة منهم لتطويق قصر السلطان محمد بن يوسف موهماً إياهم أنهم بصدد حضور احتفال ديني جرياً على عادة أهل المغرب في إقامة الاحتفالات الدينية التي تتخللها استعمال الأسلحة النارية(٩١). تحسس عبد الهادي التازي دقة الظروف التي تولدت بعد عزل السلطان محمد بن يوسف، وبروز عوامل التنافر في اتجاهات الكتل السياسية المختلفة، وتحينها الفرص لتصفية حسابات كل كتلة مع الأخرى.

وما زاد من تعقيد الموقف أن بعض أعضاء وفد القرويين الذي زار السلطان، قبل خلعه، أرغموا على مبايعة بن عرفة بضغط من الإدارة الفرنسية، ما أثار حفيظة التازي بقوة. وكانت زوجته قد اتصلت به، وهو ما يزال في الدار البيضاء، وحذرته من الخضوع للضغوط الفرنسية ومبايعة بن عرفة(٩٢).

كان من الطبيعي جداً أن تؤدي مثل هذه الأجواء إلى خلق مشكلات للتازي؛ فحال عودته إلى فاس أبلغه الأمن الفرنسي بوضعه تحت الإقامة الجبرية في إجراء اتخذه المقيم العام غيوم، شمل أيضاً عدداً آخر من رجال الحركة الوطنية بعد نفي السلطان بن يوسف(٩٣).

---

(٨٨) نقل السلطان محمد بن يوسف مع أفراد أسرته على متن طائرة فرنسية إلى جزيرة مدغشقر منفياً بتاريخ ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٣. انظر: روم لاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه العرش إلى يوم وفاته، تعريب ليلى أبو زيد (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩)، ص ٩٥.

(٨٩) بن عرفة: (١٨٨٦ ـ ١٩٧٦)؛ حكم المغرب بوصاية فرنسية من آب/أغسطس ١٩٥٣ حتى تشرين الثاني/نوفمبر١٩٥٥. وهو من الأسرة العلوية التي تحكم المغرب. لم تكن له أية اهتمامات سياسية. اتسمت مدة حكمه بالاضطرابات والأحداث الدامية، بعدما وقع على جميع الظهائر المقدمة له سواء من المقيم العام الفرنسي أو التهامي الجيلاوي. وتعرض إلى أكثر من محاولة اغتيال فاشلة ما اضطره للتنازل عن الحكم ومغادرته البلاد في تشرين الثاني/نوفمبر١٩٥٥. توفي عام ١٩٧٦ في باريس. انظر: الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء التاسع: المناطق، الدول، البلدان، المدن، معالم، وثائق، موضوعات، زعماء، ص ١٦٩.

(٩٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٤٨١٨،الوثيقة المرقمة ٥٢، ص٧٤، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، الحالة الراهنة في مراكش، المرقم ع/٨١٢/١٤/٢٤٨٠٦ في ١٩٥٣/٨/٢٦.

(٩١) قاسم الزهيري، محمد الخامس: الملك البطل ـ قصة جهاد (الرباط: دار النشر التقنية للشمال الأفريقي، ١٩٨٤)، ص ١٣٨.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ١٣٨؛ مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٥، ولاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه العرش إلى يوم وفاته، ص ٩٨.

(٩٣) Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain 1943-1956*, p. 117.

جاء رد فعل الجماهير على إجراءات المقيم غيوم سريعاً؛ ففي معظم المدن المغربية عمت التظاهرات وحركات الاحتجاج. ومع العاطفة الدينية التي أدت الدور الأول والأساس في دفع هؤلاء إلى حومة النضال ضد الوجود الفرنسي، فإن الدوافع الوطنية لم تكن غائبة عن ذهنهم وكانت تكمن في رفض محتل أجنبي يحمل عقيدة مختلفة عن عقيدتهم. وقدم المحتجون «عرائض» تدين السلطات الفرنسية، وتعبر عن رفضهم إسناد العرش المغربي إلى ابن عرفة. وكان للتازي دور مباشر في كتابة «العرائض» وتقديمها إلى السلطات الفرنسية[٩٤].

جابهت السلطات الفرنسية حركات الاحتجاج بشن حملة اعتقالات طالت العديد من العلماء ورجال الحركة الوطنية ولا سيما في مدينة فاس، وشمل الاعتقال حتى النساء[٩٥].

في حين تمكن التازي من الإفلات بعد ان تنامى إلى سمعه الأخبار التي تؤكد عزم السلطات الفرنسية على اعتقاله. وكان مصدر تلك الأخبار جاراً له فرنسي الجنسية يعمل طبيباً، حذره من حملة اعتقالات ستطال علماء القرويين، طالباً منه عدم مغادرة داره في «طريق صفرو»[٩٦].

وسرعان ما تحول موقف الحركة الوطنية إلى مجابهة مسلحة ضد الوجود الفرنسي، والمتعاونين مع الإدارة الفرنسية. فضلاً عن المستوطنين الفرنسيين، فقد هاجم أحد الشباب في الرباط موكب بن عرفة أثناء توجهه لأداء صلاة الجمعة في أحد مساجدها، إلا أن الشاب أخفق في محاولته اغتيال بن عرفة الذي تمكن أحد مرافقيه من إرداء ذلك الشاب قتيلاً.

بعد فشل محاولة اغتيال بن عرفة، وضعت محاولات أخرى لاغتيال المسؤولين الفرنسيين وبعض الزعماء المغاربة، الموالين لهم بعمليات فدائية؛ فقد جرت محاولة اغتيال المقيم العام غيوم والتهامي الجيلاوي، إلا أنها فشلت هي الأخرى لأسباب متعددة يأتي في مقدمها يقظة القائمين على حراستهم، وعدم تهيئة مستلزمات تنفيذها[٩٧].

لم يكن من السهل على رجال الحركة الوطنية أن ينفذوا ما اعتزموه في مدينة فاس من عمليات فدائية تستهدف رموز الإدارة الفرنسية من العاملين داخل المدينة العتيقة، وذلك بسبب طبيعتها العمرانية من جانب، وتحفظ أغلب العلماء على أسلوب الاغتيال الذي اعتمده رجال الحركة الوطنية لمقاومة الاحتلال الفرنسي، ودعوتهم إلى اللجوء إلى أساليب أخرى لتقويض الحماية الفرنسية منها

(٩٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٨.

(٩٥) نداء القاهرة: خطب وكلمات ألقاها علال الفاسي عبر إذاعة القاهرة ومن خلال اجتماعات مكتب المغرب العربي في القاهرة، ط ٢ (الرباط [د. ن.]، ١٩٩٩)، ص ٦٧ ـ ٦٨، والعلوي، من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس، ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤، ص ٤١.

(٩٦) مذكرات عبد الهادي التازي، (مخطوط)، ص ١٧٥.

(٩٧) للاطلاع على تفاصيل العمليات الفدائية. انظر: مصطفى العلوي، الأغلبية الصامتة بالمغرب (الدار البيضاء: مطابع دار الكتاب، ١٩٧٧)، ص٣٥ ـ ٧٠، وروم لاندو، أزمة المغرب الأقصى، ترجمة محمد إسماعيل علي وحسين الحوت (القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦١)، ص ٤١٥ ـ ٤١٨.

التلويح بالاعتصام، والقيام بالتظاهرات وحركات الاحتجاج، وذلك لخوفهم من أن تؤدي محاولات الاغتيال إلى التنكيل بالقائمين عليها، وإلحاق الضرر بالحركة الوطنية[٩٨].

وبعد ذلك، التقت آراء قادة الحركة الوطنية على ضرورة القيام بالعمليات الفدائية في ضواحي مدينة فاس وتحديداً بالمناطق الزراعية[٩٩]، وكانت منطقة «طريق صفرو» تمثل منطلقاً مثالياً للفدائيين ولا سيما أن دار عبد الهادي التازي تقع في تلك المنطقة، الأمر الذي يؤمن لهم بحسب اعتقادهم، ملجأً آمناً يحتمون به من ملاحقة رجال الأمن الفرنسي. وقد كان لموقف عبد الهادي التازي المتساهل تجاه العمليات الفدائية أثره الكبير في تنامي نشاط الفدائيين واستمرار كفاحهم من طريق إسنادهم ودعمهم وذلك بالسماح لهم استعمال داره للاحتماء به بعد كل عملية يقومون بها. وكان انتساب التازي إلى هيئة علماء القرويين وحزب الاستقلال مبعثاً لارتياح فصائل الفدائيين بوجود من يقدم لهم العون والمساعدة، فإن العديد منهم تتلمذ على يديه في القرويين، وكسبهم في صفوف حزب الاستقلال.

ورد في مذكرات التازي قوله في هذا الخصوص إن احد طلابه من القسم التحضيري الثانوي في القرويين «طلب مساعدتي له ومن معه كونهم من الفدائيين، وبحاجتهم لمكان يأويهم من رجال الأمن الفرنسي، ذلك أن داري بعيدة عن أنظار الفرنسيين وكوني من العلماء، الأمر الذي يبعد شكوكهم عني»[١٠٠].

ولا ينكر أن سماح التازي للفدائيين بالعمل انطلاقاً من محيط داره، قد أقلقه أكثر من أي شيء آخر ولا سيما بعد ارتفاع وتيرة العمليات الفدائية، وازدياد الحاجة إلى السلاح والذخيرة والمواد التموينية.

ولما كان من المتعذر نقل الحاجيات المطلوبة علناً للإجراءات الشديدة التي اتخذتها سلطات الأمن الفرنسي بحق المواطنين المغاربة ورصدها نشاطات الجماعات المعارضة الوجود الفرنسي ولا سيما حزب الاستقلال، الأمر الذي دفع التازي إلى القيام بتجهيز الفدائيين بحاجاتهم من السلاح والذخيرة والمواد التموينية، ويبدو أن ارتداءه الجلباب كونه عالماً من علماء القرويين، قد أتاح له إمكانية نقل احتياجات الفدائيين من دون أن يثير شكوك رجال الأمن الفرنسي[١٠١].

يصف التازي الأعمال التي كانت تقوم بها المجاميع الفدائية من خطف بعض العملاء واقتيادهم إلى ساحة داره ليتم التحقيق معهم وهم معصوبو الأعين، وذلك خلال مدة مغادرته داره مع زوجته

(٩٨) العلوي، من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس، ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤، ص ٤١.
(٩٩) كانت مساحة الأرض التي يقع فيها دار التازي تبلغ ألف متر مربع تم غرسها بالأشجار الكثيفة.
(١٠٠) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٦.
(١٠١) المصدر نفسه، ص ١٧٥. وكان الاعتقاد السائد لدى السلطات الفرنسية أن علماء القرويين لا يمكن أن يتبنوا العنف أو الاغتيال أو كل ما يؤدي إلى مس سمعة المؤسسة الدينية.

في الصباح الباكر. وان هذا الأمر، كما يقول التازي، قد «أقلقه كثيراً وأن عواقبه خطيرة عليه ولكن لا بد من تقديم التضحية لان ما قدمه محمد بن يوسف من تضحية لا ترقى إليها أي تضحية»[١٠٢].

ولكن سرعان ما توقفت العمليات الفدائية إثر تعيين مقيم عام فرنسي جديد هو الدبلوماسي فرانسيس لاكوست (Francis Lacoste)، وتسلم مهام عمله في السابع من أيار/مايو ١٩٥٤. وفي اعتقادنا أن حرص الحكومة الفرنسية على استبدال المقيم غيوم بمقيم جديد كان نابعاً من إيمانهم أن ذلك خير سبيل لامتصاص نقمة الشعب المغربي وإرضاء العناصر الوطنية لضمان هيمنتهم على البلاد[١٠٣].

وتبعاً لذلك وجد علماء القرويين ضرورة استغلال الأحداث، والمستجدات المتلاحقة في هذه الحقبة كُلاً باتجاه تعزيز مطالبهم، ومن أجل الضغط على المقيم الجديد بصورة مباشرة. اتفق العلماء على وضع كتاب لرفعه إلى الإقامة العامة الفرنسية يعبرون فيه عن مطلبهم بعودة السلطان الشرعي للبلاد محمد بن يوسف.

أخذ عبد الهادي التازي على عاتقه ومعه عدد من العلماء مهمة إيصال مطالب القرويين إلى مقر الإقامة العامة في الرباط في ٢٥ آب/أغسطس ١٩٥٤[١٠٤].

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن مِن بين مَنْ وقّع على كتاب القرويين عدداً من العلماء الذين بايعوا بن عرفة بفعل الضغوط التي تعرضوا إليها. وقد سنحت لهم الفرصة للتعبير عن موقفهم الحقيقي تجاه السلطان محمد بن يوسف. وبهذا الصدد يذكر التازي: «وبذلك تحقق رفع ما لحق بالقرويين من حيف وسمعة بسبب هؤلاء العلماء لكي تبقى القرويين مضرب المثل في التضحية الوطنية»[١٠٥].

لم يكن بالإمكان أن تؤثر مطالب القرويين كثيراً في موقف الفرنسيين الذين كانوا في وضع يمكّنهم من إملاء شروطهم ورغباتهم على نحو واضح. ولهذا كان رد الإقامة العامة الفرنسية أن مطلبهم «قيد الدرس والمداولة»[١٠٦].

وعلى ما يبدو فقد أثارت نشاطات التازي ومواقفه، ردود فعل شديدة لدى سلطات الأمن الفرنسية فاستدعي، بعد عودته إلى فاس، للاستفهام منه عن طبيعة مهمته التي سافر من أجلها إلى الرباط، وكإجراء احتياطي فرض عليه الإقامة الجبرية في داره[١٠٧].

---

(١٠٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٨.
(١٠٣) نداء القاهرة: خطب وكلمات ألقاها علال الفاسي عبر إذاعة القاهرة ومن خلال اجتماعات مكتب المغرب العربي في القاهرة، ص ٦٧.
(١٠٤) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٨.
(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١٧٩.
(١٠٦) نداء القاهرة: خطب وكلمات ألقاها علال الفاسي عبر إذاعة القاهرة ومن خلال اجتماعات مكتب المغرب العربي في القاهرة، ص ٦٩.
(١٠٧) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٧٨.

يبدو أن نشاط علماء القرويين في تلك المرحلة، ومطالبتهم بعودة السلطان المنفي، قد ترك تأثيراً واضحاً في موقف الشعب بجميع طبقاته وفي مدن المغرب كافة. إذ تدفقت المذكرات على الإقامة العامة المطالبة بإعادة السلطان الشرعي للبلاد محمد بن يوسف، وخلع بن عرفة عن عرش المغرب[١٠٨].

وفي خضم هذه الأحداث، قررت الإقامة العامة، في محاولة منها لامتصاص نقمة الشعب، رفع الإقامة الجبرية عن عبد الهادي التازي والسماح له بأداء الامتحان النهائي لنيل شهادة «البروفيه» في اللغة الفرنسية في إحدى المعاهد المتخصصة في مدينة فاس مطلع عام ١٩٥٥[١٠٩].

وتحت زخم المطالب الوطنية، وفي جو دولي تطورت فيه معارضة الرأي العام العالمي لأي شكل من أشكال السيطرة الأجنبية وتركت أثرها في الحكومة الفرنسية، وإزاء هذا السيل من التأثير المباشر وغير المباشر، اضطرت الإقامة العامة الفرنسية إلى التراجع والبدء بمفاوضات مع السلطان محمد بن يوسف في منفاه بصدد إعادته إلى المغرب، واعتلائه العرش المغربي.

وتكمن أهم نتيجة تمخضت عن حركة تقديم مذكرات الاحتجاج ضد السياسة الفرنسية، ومطالبة الإقامة العامة الفرنسية بإعادة السلطان إلى عرشه في أنها أجبرت الفرنسيين على إعادة النظر في سياستهم تجاه المغرب بصورة جديدة بقبولهم التفاوض بشأن استقلال المغرب[١١٠].

وفي خضم ذلك، تحول عبد الهادي التازي إلى الشخصية المناسبة للاضطلاع بالمهام الجديدة في تلك المرحلة، حينما قرر علماء المغرب إرسال وفد يمثلهم برئاسته وضم ٤٣ عالماً لمقابلة السلطان الذي غادر منفاه وتوقف في باريس في طريق عودته إلى المغرب لإجراء المحادثات مع الحكومة الفرنسية بشأن المغرب ونيل استقلاله. أكد الوفد خلال زيارته السلطان في السابع من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، موقفه الراسخ بالبيعة له والانضواء تحت لوائه. وقد أثنى السلطان على موقف العلماء ودورهم في خدمة قضايا الوطن، والدفاع عن حقوق الشعب.

تكررت زيارة الوفد للسلطان؛ ففي ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥، استقبل السلطان وفد العلماء برئاسة عبد الهادي التازي وجرى التداول بشأن الاستقلال المرتقب وضرورة «إسدال الستار عن الماضي، والعفو عن الخونة، وتجاوز الخلافات السياسية وصولاً إلى بناء المغرب الحديث في عهد الاستقلال»[١١١].

كان من الطبيعي أن تترك أحداث المغرب وحركات الاحتجاجات، والمقاومة الوطنية، مع كل الأحداث التي رافقت نفي السلطان إلى خارج البلاد، بصمات واضحة على الوجود الفرنسي في

---

(١٠٨) Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain 1943-1956*, pp. 214-215.

(١٠٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٨٠.

(١١٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٣١١/٥٠٥٨، الوثيقة المرقمة ٢٢، ص ٣٥، تقرير السفارة العراقية في باريس، المرقم ٣٢٦/١/١، في ٧ آب/أغسطس ١٩٥٥.

(١١١) التازي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف،» ص ٧١.

المغرب باتجاه وضع نهاية للحماية الفرنسية؛ فبعد وصول السلطان إلى الرباط تم تشكيل أول حكومة وطنية في ٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥. وبعد أشهر قليلة، صدر بيان فرنسي ـ مغربي مشترك في ٨ آذار/مارس ١٩٥٦، تضمن إنهاء الحماية الفرنسية على المغرب. وفي ٧ نيسان/أبريل من العام نفسه، أذيع بيان إسباني ـ مغربي تضمن إنهاء الوجود الإسباني في شمال المغرب. واستكمل المغرب سيادته الكاملة في ٨ أيار/مايو باستعادة حريته الدبلوماسية فتم قبوله في منظمة الأمم المتحدة في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٥٦، الأمر الذي أسهم في إنهاء الوضع الدولي لطنجة في ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦. وفي تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥٨، قُبل المغرب عضواً في الجامعة العربية[١١٢].

وبنيل المغرب استقلاله اتخذ السلطان محمد بن يوسف لقب الملك محمد الخامس، وأطلق على المغرب تسمية المملكة المغربية[١١٣].

إنَّ أهمية مواقف عبد الهادي التازي في سبيل نيل المغرب استقلاله وحريته في تلك السنوات المصيرية الحافلة بالأحداث في حياة المغرب، مكّنته من أن يؤدي دوراً كبيراً في بناء الدولة المغربية الفتية في المرحلة التي تبعت انتهاء الحماية الفرنسية. وكان الانخراط في الحركة الفكرية والأدبية ميدانه المفضل في ذلك.

رابعاً: التوجه الفكري والثقافي للتازي في عهد الاستقلال

اندفع عبد الهادي التازي إلى مواصلة مهمة التدريس في القرويين كأحد أساتذته، وأنيطت به مهمة التدريس في قسم «العالمية». ولما كانت مادة التاريخ تلقى هوى في نفسه فقد اختار تدريس مادة التاريخ المغربي والإسلامي مستعيناً بالمصادر التاريخية، التي تزخر بها مكتبات القرويين ومدينة فاس، في التدريس والبحث التاريخي ولا سيما ما يخص تاريخ القرويين فقد توجهت أنظاره بصورة ظاهرة إلى كل ما يتعلق بالمغرب والمغاربة وتاريخهم وواقعهم[١١٤].

ولعل أبرز نشاطات التازي الثقافية في تلك المرحلة قيامه بتعريب كتابين لأحد الضباط الفرنسيين المشاركين في الحملة العسكرية لاحتلال المغرب وهو الجنرال بيار بوايه دو لاتور (Pierre Boyer de Latour). حمل الكتاب الأول عنوان حقائق عن شمال أفريقيا؛ فيما بدا الكتاب الثاني أكثر تحديداً تحت عنوان أيام فاس الدامية.

---

(١١٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٣١١/٢٦٩٩، الوثيقة المرقمة ٥٣، ص ٩٣، تقرير السفارة العراقية في الرباط، في ٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٦، وعبد الكريم محمود غرايبة، دراسات في تاريخ أفريقيا العربية ١٩١٨ ـ ١٩٥٨ (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠)، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(١١٣) بوطالب، نصف قرن في السياسة، ص ١٤، وعسه، المعجزة المغربية، ص ٢٩٧.

(١١٤) الزين، دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي، ص ٣٠.

ولا يخفي التازي غرضه الحقيقي من تعريبه الكتابين وهو تنوير الأجيال المغربية بالحقائق المتعلقة بالاستعمار الفرنسي للمغرب والمصائب والمحن التي لحقت بالمغاربة جراء سياسة الحماية الفرنسية بحقهم منذ عام ١٩١٢[١١٥]. لذا كان تعريب الكتابين ونشرهما كفيلاً بأن يلقى رواجاً واسعاً في المغرب[١١٦]. وهو فعل ذلك لأنه كان متحمساً له، إذ لو كان الأمر مختلفاً لاكتفى بنشر خلاصة عنهما. وقد اظهر المثقفون إعجابهم بالكتابين، وتضاعف إقبالهم عليهما؛ فمما ذكره في مقدمة الكتاب الثاني: «كيف تم عقد الحماية البائد؟ وهل استقبله المغاربة بالحليب والتمر كما كان يقال؟ ثم ماذا كان موقف المولى عبد الحفيظ؟ وماذا كان رد الفعل الذي قامت به العاصمة فاس؟ ومن هم أبطال الثورة على ذلك العهد؟ «والعاطفيون» سماسرة الاستعمار من كانوا؟ وهل عرفت شيئاً عن الخلاف الذي احتدم بين المسيو رونيول والجنرال موانيه عندما كان الأول يرى أن للحماية حدوداً لا ينبغي أن تتعداها؛ بينما فكرة الثاني تتلخص في أن القوة والفتك هما الدواء الوحيد؟ وهل تريدون أن تأخذوا صوراً عن تلك الأيام التي ظل آباؤنا يتحدثون بها إلينا كدليل على أنهم لم يستسلموا للأمر الواقع إلا عندما خربت منازلهم وتحطمت مآثرهم وقطعت رؤوسهم.. ؟ ستجدون الجواب ـ إن كان يعنيكم شان التاريخ ـ في هذا الكتاب الذي يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ١٩١٣... »[١١٧].

لم يكن بوسع التازي، في مرحلة الاستقلال، أن يتابع ما كان يحلم به ويخطط له في المجال السياسي في صفوف حزب الاستقلال أو خارج الحزب بعد أن تسبب الخلاف بين قادة الحزب إلى حدوث انشقاق أسفر عن ظهور اتجاهين الأول يساري بقيادة المهدي بن بركة[١١٨]، والثاني يميني مثله علال الفاسي[١١٩]. ومع أن التازي كان من أعضاء حزب الاستقلال، إلا أنه آثر ألاّ يرشح نفسه لانتخابات الحزب، مع حرصه على إدامة اتصاله وإيمانه بمبادئه، كما إنه لم يرتضِ لنفسه إشغال أي منصب سياسي في ظل الظروف التي رافقت انشقاق الحزب.

ومن جانب آخر، تبنى التازي في تلك المرحلة نشر الثقافة الوطنية والقومية، والعمل على رفع المستوى الأخلاقي والعلمي والاجتماعي والفكري، الذي وجده «ضرورياً في بناء الدولة المغربية، فهو يدافع عن مفهوم الدولة وليس عن مناهج وسياسة أحزاب»، بحسب تعبير عبد الفتاح الزين[١٢٠].

(١١٥) عبد الهادي التازي، الحماية الفرنسية بدايتها ـ نهايتها، ص ٧.

(١١٦) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٨٠.

(١١٧) عبد الهادي التازي، الحماية الفرنسية: بدايتها ـ نهايتها حسب إفادات معاصرة، ط ٢ (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، ص ٧.

(١١٨) المهدي بن بركة: أحد قادة حزب الاستقلال، عمل مدرساً للرياضيات، واختير لرئاسة الجمعية الاستشارية بعد الاستقلال. وبعد انشقاق الحزب تولى تشكيل الاتحاد الوطني للقوى الشعبية. تم اغتياله في ظروف غامضة عام ١٩٦٦. انظر: خلف عبيد حمود الدليمي، «المهدي بن بركة ودوره الفكري والسياسي في المغرب،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

(١١٩) د. ك. و، ملفات مجلس السيادة، الملفة المرقمة ٤١١/٣٧٧، الوثيقة المرقمة ١٩، ص ٦٩، تقرير السفارة العراقية في بروكسل، المرقم د/٢/١/٢٦، في ١١ آذار/مارس ١٩٥٩.

(١٢٠) مقابلة شخصية مع عبد الفتاح الزين (باحث وأكاديمي مغربي) بتاريخ ٢٠١٢/١/١٤.

كانت باكورة أعمال التازي في المجال التربوي والثقافي اختياره عضواً في اللجنة المكلفة بتوحيد المناهج في المغرب[١٢١]. وتولى توحيد المنهاج بدءاً من شمال المغرب الذي زاره لهذا الغرض[١٢٢]. أخذت مسؤوليات التازي تمتد إلى العديد من المناصب؛ ففي ١٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦، عُين عضواً ممثلاً عن علماء القرويين في اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو[١٢٣].

وفي تلك المرحلة بدأ التازي يدرك أهمية التفكير بالتحرك في مجال العمل الوظيفي على نطاق أوسع باتجاه توحيد الجهود في عملية نشر الوعي السياسي، وإثارة الشعور الوطني والقومي عبر القنوات الثقافية للدولة المغربية ولا سيما أن عهد الاستقلال شهد انقساماً في الحركة الوطنية المغربية بظهور تيارين سياسيين فكريين، وكانت وجهات النظر بينهما تمثل انقساماً حاداً في الموقف من الغرب، وما تولد عنه من ضغط هدد السيادة الإسلامية. بعضها دعا إلى التخلي عن الماضي، وتبني الأفكار والنظم الغربية بصرف النظر عن مدى توافقها مع التقاليد العربية والإسلامية. وكان يمثل هذا التيار معظم قيادات حزب الشورى والاستقلال والذي دعا إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيوني[١٢٤]. والتيار الآخر نادى بإعادة بناء المغرب على أسس النظام العربي الإسلامي من دون الاكتراث للتأثيرات الأجنبية، وتمتين العلاقات مع المحيط العربي الإسلامي، ومثل هذا التيار علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال[١٢٥].

كان من الطبيعي جداً أن تؤدي مثل هذه الأجواء إلى خلق مشكلات للدولة المغربية، وهي في بداية التأسيس. ظهرت في منهاج أول وزارة مغربية في عهد الاستقلال التي شكل أعضاء الحزبين أغلب وزرائها[١٢٦]. فقد سمح وزير البريد والبرق والتلفون وهو من حزب الشورى والاستقلال بالتعامل مع البريد الإسرائيلي[١٢٧].

---

(١٢١) من المشكلات التي واجهت المملكة المغربية في عهد الاستقلال، هو تعريب المناهج الدراسية وتوحيدها بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية والإسبانية وما نتج منها من اختلاف مناهج التعليم حتى في المدينة الواحدة. إذ كان هنالك منهاج فرنسي وإسباني وعربي - إسلامي وبربري، لذا تم تشكيل لجنة من خيرة علماء ومثقفي ومفكري المغرب لمعالجة هذه الظاهرة. انظر: محمد رضا شرف الدين، ١٤ يوماً في المغرب (بغداد: مطابع النجاح، ١٩٥٨)، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(١٢٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٨٩.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(١٢٤) غرايبة، دراسات في تاريخ أفريقيا العربية ١٩١٨ ـ ١٩٥٨، ص ٢٠٧.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

(١٢٦) ضمت الوزارة الأولى (١٩٥٦ ـ ١٩٥٨)، تسعة وزراء من حزب الاستقلال ومن وزراء من حزب الشورى والاستقلال. انظر: عبد السلام البكاري، دليل تاريخ الأحداث وتعاقب الحكومات بالمغرب، ١٩٥٥ ـ ٢٠٠١: مع نصوص الدساتير والظهائر وتأليف الحكومات وتعيين أو إعفاء الوزراء، مراجعة عمر بلحسن؛ قدّم له محمد المنصور (سلا: مطبعة بني إزناسن، ٢٠٠٢)، ص ١٣٤.

(١٢٧) غرايبة، المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

ولما كانت سياسة حزب الاستقلال إقامة الروابط الدبلوماسية والثقافية مع البلدان العربية؛ فقد استحصل وزير التربية الوطنية محمد الفاسي موافقة البلاط الملكي لاستحداث قسم خاص في وزارته يعنى بالشؤون الثقافية وتنظيم العلاقات الثقافية الخارجية ولا سيما مع الدول العربية[١٢٨]. وقد استقر رأي الوزير على ترشيح عبد الهادي التازي لرئاسة القسم، فقد كان يرى في التازي، الشخص المناسب بما يمتلكه من مؤهلات ثقافية ودينية كأحد علماء القرويين.

وإذا أضفنا إلى ذلك مزايا التازي في قدرته على تنفيذ المهمات التي توكل إليه بدقة، وتمتعه بثقة رؤسائه، فضلاً عن إجادته الترجمة من اللغة الفرنسية، نفهم لماذا تم اختياره لرئاسة قسم مهم في الوزارة[١٢٩].

اثبت عبد الهادي التازي حضوراً في ميدان عمله الجديد، وحقق قدراً من النجاح جديراً بالتقويم، كما يبدو ذلك من تنظيمه أول مؤتمر جمع الوفود العربية الثقافية باسم «مؤتمر اللجان الوطنية العربية لليونسكو»، الذي عقد في فاس في شهر شباط/فبراير ١٩٥٨. ويعد أول مؤتمر من نوعه يقام في المغرب، شكّل تظاهرة ثقافية عربية عززت الروابط الثقافية بين الدول العربية. وسرعان ما أصبح التازي يتمتع بمكانة خاصة؛ فقد توثقت الصداقة بينه وبين بعض الأدباء والمفكرين من العراق ومصر[١٣٠].

تعزز هذا التوجه لدى التازي أكثر في المرحلة اللاحقة؛ فبعد مرور عام واحد وقع اختيار الجامعة العربية على مدينة فاس لترعى مؤتمر الآثار الثالث للدول العربية، واستغل التازي الذي تولى فيه منصب السكرتير العام للمؤتمر هذه الفرصة، فتقدم ببحث تحت عنوان «الحروف المنقوشة بالقرويين في خدمة الآثار»[١٣١]. كما ساهم التازي في المؤتمر الرابع للأدباء العرب، الذي انعقد في الكويت في عام ١٩٥٩[١٣٢]؛ ففي تلك المرحلة بذل التازي جهوداً كبيرة من أجل جمع شمل الأدباء والمفكرين العرب، وتعريف أدباء المشرق بنتاجات الأدباء والمفكرين المغاربة[١٣٣].

---

(١٢٨) بعد صدور دستور عام ١٩٦٢، وهو أول دستور بعد الاستقلال تضمن إضفاء الأولوية الإسلامية صفة للمغرب ثم العربية ثم الانتماء إلى المغرب الكبير وأفريقيا. انظر: روم لاندو، الحسن الثاني ملك المغرب، تعريب وتقديم بنحمان الداودي (الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦٩)، ص ٩٠؛ صلاح العقاد، السياسة والمجتمع في المغرب العربي (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١)، ص ١٣٣، وأبو بكر القادري، «دور الحركة الوطنية في ترسيخ الهوية المغربية،» ورقة قدمت إلى: مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة: [أعمال] الندوة [المنعقدة] بتطوان ٢٦ ـ ٢٧ شعبان ١٤١٧هـ ٦ ـ ٧ يناير ١٩٩٧م (تطوان: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧)، ص ١١٣ ـ ١٢٦.

(١٢٩) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٨١.

(١٣٠) للمزيد من التفاصيل عن المؤتمر، انظر: المؤتمر الإقليمي الأول في فاس للجان الوطنية العربية لليونسكو، الرباط، ٢٧ ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٥٨ (الرباط: منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، ١٩٥٨).

(١٣١) للاطلاع على دور التازي في مؤتمر الآثار. انظر: المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية في فاس ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٩ (القاهرة: منشورات جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، ١٩٦١).

(١٣٢) مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط)، ص ١٨٣.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ١٨٥.

ومما يجدر ذكره بهذا الخصوص أن التازي عمل على تقريب وجهات النظر بين المناضل المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي، وبين الملك محمد الخامس، الذين كان يسود علاقتهما الفتور.

بعد أن أنهى المؤتمر أعماله، غادر التازي الكويت وقررَّ التوقف في القاهرة وهناك، التقى الخطابي. ويصف التازي الأمسية التي قضاها مع الخطابي أنها «اتسمت بالود والحوار حول تاريخ وذكريات القرويين»؛ فقد كان الخطابي أحد طلاب القرويين.

وفي نهاية اللقاء، طلب التازي من مضيفه رأب الصدع بينه وبين الملك وحل الخلاف بينهما. وكما يؤكد التازي أنه وجد في الخطابي استعداداً لقبول الفكرة وضرورة التفاهم. وكان الملك حريصاً على وحدة البلاد، ودفع مؤامرات المستعمرين في تقسيم الوطن الواحد. وقبل أن يغادر التازي القاهرة متوجهاً إلى المغرب، حمل رسالة من الخطابي إلى الملك محمد الخامس، تتعلق بأحداث التمرد في الشمال المغربي[١٣٤].

تحسنت علاقة الملك بالخطابي بعد ذلك، وتوثقت الصداقة بينهما إلى درجة أن الأول بعث ولي عهده إلى القاهرة لتسليمه رسالة جوابية تعبر عن تطابق أفكارهما تجاه قضايا الوطن. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٦٠، قام الملك بزيارة القاهرة والتقى هناك الخطابي. ويبدو أن الملك استهدف من زيارته الخطابي في القاهرة بناء أساس رصين لضمان وحدة تراب المغرب، ووضع حلول للخلافات بأسلوب يساعد على استقرار المنطقة إلى حدٍ كبير[١٣٥].

ويعد الاحتفال بذكرى تأسيس القرويين من المنجزات المهمة في عهد رئاسة التازي للقسم الثقافي. ولدوافع مختلفة، لم يقف جميع المثقفين وبعض الجهات الحكومية ومن يمكن وصفهم بـ أصحاب الثقافة الأوروبية مع فكرة تطوير القرويين، فهم كانوا يرون فيه مؤسسة تقف عائقاً أمام تقدم المغرب واللحاق بركب المدنية.

لكن التازي تعامل مع هذا الأمر بحكمة وتروٍ، فقد عرض فكرة إعادة تنظيم القرويين على الملك محمد الخامس الذي تحمس لها، وقرر عقد مؤتمر في فاس يُدعى إليه المفكرون والمثقفون من شتى أنحاء العالم[١٣٦].

---

(١٣٤) كان من أسباب حصول ذلك التمرد هو الاندماج الذي حصل بعد الاستقلال بين الشمال وبقية أجزاء المغرب، وأدى إلى حدوث أزمة اقتصادية في المنطقة الشمالية وتالياً غلاء المعيشة. ما دفع بعض الشماليين إلى التمرد وحمل السلاح والذي استغله بعضهم للمطالبة بالانفصال عن المغرب، ما دفع الحكومة إلى توجيه قوة عسكرية للقضاء على التمرد. وبعد ذلك تم إنهاء الأزمة. انظر: د. ك. و، ملفات مجلس السيادة، الملفة المرقمة ٤١١/٣٧٧، الوثيقة المرقمة ٢٣، ص ٨٥، تقرير السفارة العراقية في المغرب، المرقم ١٢٤/١/٩، في ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٨، ود. ك. و، ملفات مجلس السيادة، الملفة المرقمة ٤١١/٣٧٧، الوثيقة المرقمة ٢٥، ص ٩٢، تقرير السفارة العراقية في المغرب، المرقم ١٢٨/١/٩، في ٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٨.

(١٣٥) التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، مج ١٠: عهد العلويين، ص ٢٢٥.

(١٣٦) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي، في ٢٠١٢/١/١٦.

عقد المؤتمر في فاس بتاريخ الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٠، وحضرته وفود من أقطار عربية وأجنبية. وترأسه الملك محمد الخامس الذي ألقى كلمة افتتاحية تناول فيها أهمية تحديث المناهج الدراسية في القرويين وإجراء إصلاحات عمرانية وإدخال التوسيعات المطلوبة فيه(١٣٧).

وعلى الرغم من أن التازي كان لا يخفي اعتزازه بما حصل عليه من تعليم في القرويين، وأمضى سنوات من عمره في التدريس في أروقته، إلا انه كان يدرك أهمية مواكبة تطور نظام التعليم الحديث، وقد تركت مرافقته طه حسين خلال زيارته إلى المغرب عام ١٩٥٨، بصماتها الواضحة في تعزيز هذا التوجه لديه؛ فقد أظهر عميد الأدب العربي في تلك الزيارة إعجابه بالتازي وبما يتمتع به من مزايا أدبية وفكرية تؤهله مواصلة دراسته للحصول على شهادة عليا في المؤسسات التعليمية الحديثة(١٣٨). وبذلك برز طه حسين بوصفه عاملاً مهماً في انتساب التازي إلى كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة محمد الخامس التي أسست في مدينة الرباط بعد الاستقلال. ومن الجدير بالإشارة إليه، أن رئيس الجامعة اشترط على التازي اجتياز مراحل الدراسة الأولية ومدتها أربع سنوات قبل مواصلة دراسته العليا للحصول على شهادة الدبلوم(١٣٩).

ومهما يكن من أمر، فقد شرع التازي بالدراسة في الكلية، على الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه من بعض علماء القرويين من أن انتسابه إلى الجامعة من شأنه التقليل من شأن القرويين ما قد يتسبب من انصراف الطلاب عن الدراسة فيه(١٤٠).

نال التازي أول «شهادة دبلوم دراسات عليا تمنحها الجامعة»(١٤١) في ٢٨ شباط/فبراير عام ١٩٦٣، بتحقيقه مخطوطة المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة (الملحق الرقم (٣ ـ ١)).

هنا تبدأ مرحلة مهمة في حياة التازي، يمكن وصفها بمرحلة الاختبار العملي لقدراته ومواهبه وأهليته لمهام ثقافية ودبلوماسية في المرحلة اللاحقة من حياته.

---

(١٣٧) التازي، القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ص ٧٧٩ ـ ٧٨٠، وانبعاث أمة (محمد الخامس ملك المغرب) (الرباط: مطبوعات القصر الملكي، ١٩٦٦)، ج ٥: ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، ص ٢١٣ ـ ٢١٦.

(١٣٨) عبد الهادي التازي، طه حسين في المغرب (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠)، ص ٣ ـ ١٠.

(١٣٩) كانت جامعة محمد الخامس لا تعد شهادة القرويين معادلة لشهادة الكلية. مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي، بتاريخ ٢٠١٢/١/٨.

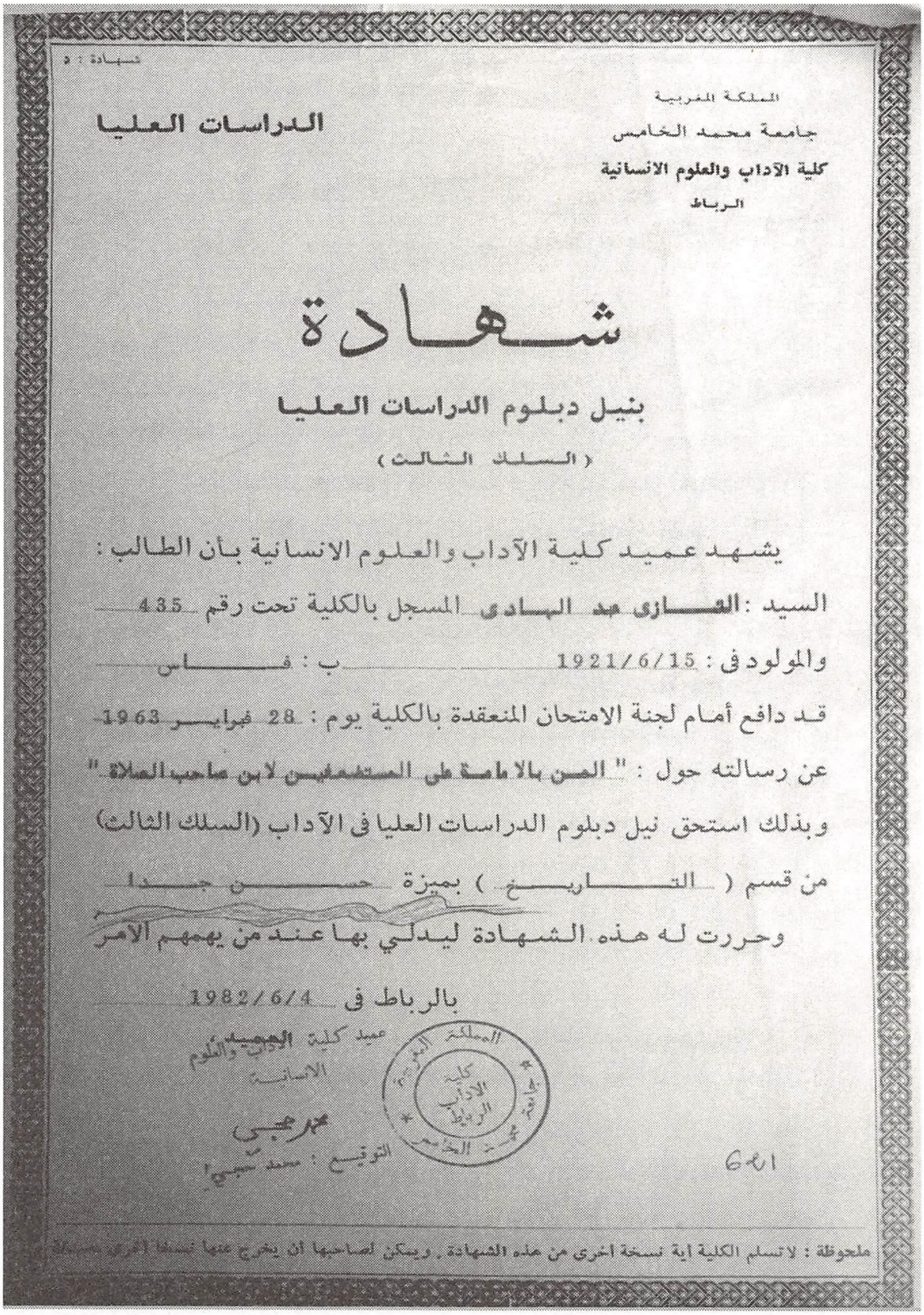
(١٤٠) التازي، طه حسين في المغرب، ص ٢١.

(١٤١) تعادل شهادة الماجستير. انظر: دليل الأطاريح والرسائل (الرباط: منشورات جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٠)، ص ٢٨٥.

الملحق الرقم (٣ ـ ١)

شهادة دبلوم الدراسات العليا

مخطوطة «المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة»



شهادة : د

المملكة المغربية

جامعة محمد الخامس

كلية الآداب والعلوم الانسانية

الرباط

الدراسات العليا

شهادة

بنيل دبلوم الدراسات العليا

(السلك الثالث)

يشهد عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية بأن الطالب :

السيد : التازى عبد الهادى المسجل بالكلية تحت رقم 435

والمولود فى : 1921/6/15 ب : فاس

قد دافع أمام لجنة الامتحان المنعقدة بالكلية يوم : 28 فبراير 1963

عن رسالته حول : " المن بالامامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة "

وبذلك استحق نيل دبلوم الدراسات العليا فى الآداب (السلك الثالث)

من قسم (التاريخ) بميزة حسن جدا

وحررت له هذه الشهادة ليدلي بها عند من يهمهم الامر

بالرباط فى 1982/6/4

عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية

التوقيع : محمد حجي

621

ملحوظة : لاتسلم الكلية اية نسخة اخرى من هذه الشهادة . ويمكن لصاحبها ان يخرج عنها نسخا اخرى [illegible]

الفصل الرابع

دور عبد الهادي التازي في تطوير العلاقات المغربية ـ العراقية، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨

أولاً: العلاقات المغربية ـ العراقية

لم يكن البعد الجغرافي بين المغرب والعراق يحول دون قيام العراق بدعم القضية المغربية في المحافل العربية والدولية وذلك للروابط التاريخية والدينية التي تربط بين كلا البلدين[١].

فعلى المستوى الدولي، كان للعراق موقف واضح وصريح بالمطالبة باستقلال المغرب من السيطرة الفرنسية وإنهاء الحماية المفروضة عليه من خلال أروقة الأمم المتحدة، والسعي إلى استصدار القرار الدولي الداعي إلى ذلك[٢]؛ فمنذ عام ١٩٥١، طالب وزير الخارجية العراقي (فاضل الجمالي)[٣] بإنهاء الحماية الفرنسية على المغرب في كلمته التي ألقاها في الاجتماع السنوي للأمم المتحدة، وظل يتابع القضية المغربية بعد نفي السلطان بن يوسف عام ١٩٥٣، حتى نال المغرب استقلاله عام ١٩٥٦[٤].

---

(١) كريمي علي، «الدبلوماسية المغربية وسياسة المحاور العربية،» مجلة أبحاث، العدد ٨ (آب/أغسطس ١٩٨٥)، ص ٥١.

(٢) محمد فاضل الجمالي، صفحات من تاريخنا المعاصر (الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣)، ص ٧٨ ـ ٩٠، وعبد الهادي التازي، «ثورة ٢٠ غشت في الأرشيف الدولي،» ورقة قدمت إلى: الذكرى الخمسون لثورة الملك والشعب: [أعمال] الدورة الخاصة التي عقدت في الرباط أيام ٢٤ ـ ٢٦ جمادى الثاني ١٤٢٤، الموافق ٢٢ ـ ٢٤ غشت ٢٠٠٣، نظّمتها أكاديمية المملكة المغربية (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٤)، ص ١٠٧ ـ ١١٧.

(٣) محمد فاضل الجمالي: سياسي ودبلوماسي عراقي شغل منصب وزير الخارجية في العهد الملكي وممثل العراق في الأمم المتحدة. كان له دور فعال في طرح قضايا المغرب العربي في الجامعة العربية والأمم المتحدة من خلال مناصبه الرسمية في عدّة مؤتمرات. انظر: محمد فاضل الجمالي، «جلالة المغفور له الملك محمد الخامس الشاب القائد للشعب المغربي،» ورقة قدمت إلى: محمد الخامس، الملك الرائد: أعمال الندوة الدولية التي نظّمت من ١٦ إلى ٢٠ نوفمبر ١٩٨٧ (الرباط: جمعية رباط الفتح للتنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، ١٩٨٧)، ص ٩١ ـ ٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٣ ـ ٩٤.

تجسد موقف العراق الداعم للقضية المغربية على نحو خاص في مساندته المقاومة المسلحة المغربية بعد انطلاقها إثر نفي السلطان محمد بن يوسف عام ١٩٥٣، مما نجد لهُ شواهد معبرة في تزويدها بالمال والسلاح الذين كانت سُلما إلى زعيم الحركة الوطنية المغربية علال الفاسي خلال زياراته العراق لهذا الغرض[٥].

ويعد إعلان استقلال المغرب عام ١٩٥٦، نقطة تحول في تاريخ العلاقات المغربية ـ العراقية؛ فما أن وقّع الملك محمد الخامس اتفاقية الاستقلال مع إسبانيا في ١٧ نيسان/أبريل عام ١٩٥٦، حتى سارع إلى استقبال السفير العراقي في مدريد مبيناً له أهمية اعتراف العراق باستقلال المغرب ليكون حافزاً للدول العربية الأخرى لتحذو حذوه في الاعتراف بالمملكة المغربية مملكة مستقلة[٦]. وهكذا تم اعتراف العراق بالمملكة المغربية دولة مستقلة في العاشر من نيسان/أبريل ١٩٥٦[٧]. وبذلك يكون العراق أول دولة عربية تعترف بالمغرب[٨].

وتعزيزاً لهذه العلاقات التي تولدت بين العراق والمغرب بعد المخاض العسير في مسيرة المغرب نحو الاستقلال، قرر الملك فيصل الثاني في نيسان/أبريل ١٩٥٦، إرسال وفد رفيع المستوى إلى المغرب لتقديم التهاني لملك المغرب بمناسبة الاستقلال. ضم الوفد الذي يعد أول وفد رسمي عربي يصل إلى المغرب، وزير الدولة عبد المجيد محمود، ووزير الخارجية محمد فاضل الجمالي، وفي يوم لقائه بالوزيرين منحهما الملك محمد الخامس وسام الاستقلال. وخص الوزير الجمالي بالقول: «لم يكن ليسليني في منفاي شيء أكثر من دفاعك عني في المحافل الدولية»[٩].

وإمعاناً من العراق من أجل إقامته أفضل العلاقات المطلوبة مع المملكة المغربية، تم تكليف السفير العراقي في مدريد تقديم منح مالية للمغرب إسهاماً من العراق في دعم وتطوير المؤسسات الحكومية فيها؛ فبعث السفير مبلغ (٧٥) ألف باوند إسترليني إلى وزير الداخلية المغربي «إدريس المحمدي»، ومبلغ (٢٠) ألف باوند إسترليني إلى وزير الخارجية «أحمد بلافريج»[١٠].

وتوجت العلاقات العراقية ـ المغربية هذه بزيارة الملك فيصل الثاني المغرب في ٢٥ أيار/مايو عام ١٩٥٦، تلبية لدعوة تلقاها من الملك محمد الخامس. وتعد تلك الزيارة أول زيارة لملك وزعيم

(٥) عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب: من نهاية الحرب الريفية حتى بناء الجدار السادس في الصحراء، ٢ ج (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٧)، ص ٥٨٧، ومقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.

(٦) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٣١١/٤٨٢، الوثيقة المرقمة ٤٢، ص ٧. كتاب موجه من وزارة الخارجية، سري ومستعجل إلى الديوان الملكي برقم ع/٣٣٦٤/٢٧٣/١ في ٧ نيسان/أبريل ١٩٥٦.

(٧) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٣١١/٥٧٢٧، الوثيقة المرقمة ١، ص ١، قرار مجلس الوزراء في ١٠ نيسان/أبريل ١٩٥٦.

(٨) كانت تركيا أول بلد غير عربي اعترف بالمملكة المغربية. انظر: محمد رضا شرف الدين، ١٤ يوماً في المغرب (بغداد: مطابع النجاح، ١٩٥٨)، ص ١١١.

(٩) الجمالي، «جلالة المغفور له الملك محمد الخامس الشاب القائد للشعب المغربي،» ص ٩١ ـ ٩٢.

(١٠) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ٢، ص ٢، كتاب وزارة الخارجية سري ومستعجل إلى الديوان الملكي المرقم ع/٣٣٦٤/٣٧٣/١/٣٠٥١ في تموز/يوليو ١٩٥٦.

عربي بعد حصول المغرب على استقلاله. وقوبل الملك فيصل الثاني في الديار المغربية باحتفال عظيم، فخرجت جماهير الرباط لاستقباله. وكان على رأس المستقبلين الملك محمد الخامس وأركان دولته، وقد أدِّب للضيف مأدبة خاصة مساء يوم وصوله حضرها عدد غفير من المسؤولين المغاربة وأقطاب الأحزاب الوطنية(١١).

وإثر ذلك، تم تعيين أول سفير عربي يُعتمد عند المغرب هو السفير العراقي «عبد الغني الدلي»، بعد سفراء إسبانيا وبريطانيا وبلجيكا(١٢).

اتخذت العلاقات العراقية ـ المغربية، بُعداً آخر من خلال التنسيق لتقديم الدعم السياسي والمادي للشعب الجزائري في نضاله ضد الاستعمار الفرنسي(١٣). وفي ضوء ذلك، زار الأمير وولي العهد عبد الإله في ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٥٧، المغرب، وحظيا باستقبال وحفاوة كبيرين. وعلى الرغم من عدم رغبة الأمير وعبد الإله في مقابلة السفير الفرنسي في المغرب بسبب سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر، إلا انه بعد إلحاح من رئيس التشريفات الملكية في البلاط المغربي الحاج أحمد بناني، وافق الأمير على مقابلة السفير الذي عرض عليه استعداد الحكومة الفرنسية تقديم المساعدات المالية إلى العراق لتمويل مشاريع الإعمار فيه، وردَّ الأمير أن «العراق ليس بحاجة إلى أموال فرنسا، وما يتوافر في الخزينة العراقية من أموال تكفيه وتزيد على حاجته». وبعد ذلك وصل الأمير إلى الموضوع الأساسي في حديثه قائلاً للسفير الفرنسي «إذا كانت الحكومة الفرنسية حقاً تريد أن تحسن علاقتها مع العراق، عليها أن تكف عن أعمالها العسكرية ضد أبناء الشعب الجزائري، وتمنحهم حقهم في الحرية والاستقلال». وبعدها، خرج الأمير من الاجتماع تاركاً السفير عبد الغني الدلي مع السفير الفرنسي، لينهي المقابلة بعبارات المجاملة كما هو معتاد في العرف الدبلوماسي(١٤).

في ضوء التطور الجديد الذي نشأ بفعل التغيير الذي حصل في العراق يوم ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، وتأسيس الجمهورية، ما انعكس على علاقة المغرب بالعراق التي أصابها الوهن، ولا سيما مع ما تناهى إلى سمع العائلة المالكة المغربية ما آل إليه مصير العائلة المالكة في العراق(١٥).

---

(١١) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٢٦٢٦، الوثيقة المرقمة ٦٦، ص ١٠٢، كتاب موجه من وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي بالرقم ١٨١٥١ بتاريخ ١٦ حزيران/يونيو ١٩٥٦، والدبلوماسية المغربية في عشر سنوات من مارس ١٩٥٦ إلى مارس ١٩٦٦ (الرباط: منشورات وزارة الشؤون الخارجية المغربية، ١٩٦٦)، ص ١٤٤.

(١٢) شرف الدين، ١٤ يوماً في المغرب، ص ١١٠.

(١٣) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، الملفة المرقمة ٤١١/٢٩٠، الوثيقة المرقمة ٤٣، ص ١٢، تقرير السفارة العراقية في الرباط، ١٩٥٧/١/١٣.

(١٤) العلم (٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧).

(١٥) في يوم ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، تم القضاء على النظام الملكي العراقي، وإعلان الجمهورية العراقية، على يد مجموعة من ضباط الجيش العراقي بقيادة عبد الكريم قاسم، بعد أن تم قتل جميع أفراد العائلة المالكة رمياً بالرصاص بما فيهم الملك فيصل الثاني. انظر: ليث عبد الحسين الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩)، ص ٢١٣، وعبد الوهاب كريم حميد، «العلاقات العراقية ـ المغربية بعد أزمة الخليج الثانية الواقع وآفاق المستقبل،» =

بيد أن تطابق الآراء بين العراق والمغرب بشأن الكثير من القضايا العربية والدولية[16]، أدى إلى استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وعلى ما يبدو فإنَّ الحكومة المغربية عملت على توثيق علاقتها مع الدول العربية، ومنها العراق الذي ساند المطالب المغربية في انسحاب القوات الأجنبية من بعض أراضيه التي كانت ما تزال خاضعة للسيطرة الاستعمارية وإزالة القواعد العسكرية الأجنبية في بلاده[17].

ساعدت هذه المواقف على تهيئة مستلزمات نجاح المساعي لانضمام المغرب إلى الجامعة العربية، ولا سيما أن المغرب حظي بدعم العراق في مداولات مجلس الجامعة بشأن قبول المغرب عضواً فيها. وكما تؤكد بعض المصادر، كان هدف العراق من دفع المغرب إلى الانضمام إلى الجامعة العربية هو لإحداث توازن داخل الجامعة، ولإسناد مطالب المغرب في استرجاع ما تبقى من أراضيه تحت السيطرة الأجنبية[18].

وعلى ما يبدو فإنَّ الحكومة المغربية كانت مترددة في مسألة الانضمام إلى الجامعة العربية، بسبب مواقف جمال عبد الناصر المعادية للأنظمة الملكية، وتشجيعه لـ «الثورات» ضد الأنظمة التي يصفها بـ «الرجعية» و«العميلة للاستعمار».

استوجب واقع الدولة المغربية الحديثة وضرورة إيجاد حلول لبعض مشكلاتها المتعلقة بالقواعد العسكرية الأمريكية ووجود قوات إسبانية وفرنسية في بعض أراضيها، الاستماع إلى وجهة نظر الحكومة العراقية التي أرسلت وزير خارجيتها عبد الجبار الجومرد[19] إلى الرباط لإجراء مباحثات مع علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال، وأحمد بلافريج وزير الخارجية[20]. وفي ختام المباحثات

= (رسالة دبلوم الدراسات العليا المقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال ـ الرباط، ٢٠٠٣)، ص ٥.

(١٦) الجمالي، «جلالة المغفور له الملك محمد الخامس الشاب القائد للشعب المغربي،» ص ٩٣، وحميد، المصدر نفسه، ص ٦ ـ ٧.

(١٧) كانت الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تحتفظ بقواعدها العسكرية في المغرب بعد حصوله على الاستقلال. كما إن بعض مناطق المغرب كانت ماتزال ترابط فيها قوات إسبانية وفرنسية للمزيد. انظر: محمد ضريف، النسق السياسي المغربي المعاصر (الرباط: مكتبة الأمة، ١٩٩٣)، ص ٨٢، وسمر رحيم نعمه جبارة الخزاعي، «العلاقات المغربية الأمريكية، ١٩٥٦ ـ ١٩٩١،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ١٦٠ ـ ١٦٦.

(١٨) ميغيل هيرناندودي لارامندي، السياسة الخارجية للمغرب، ترجمة عبد العالي بروكي (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٣)، ص ٢٥٢.

(١٩) عبد الجبار الجومرد: سياسي عراقي كانت له مواقف معارضة في العهد الملكي اختير وزيراً للخارجية في أول حكومة جمهورية في العراق عام ١٩٥٨. انظر: الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، ص ١٤١.

(٢٠) علال الفاسي، كي لا ننسى، سلسلة الجهاد الأكبر؛ ٩ (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٧٣)، ص ٣٤٥؛ محمد العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٧٥)، ص ١٤٥، والعلم (٣٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٨).

أبدى الجانب المغربي موافقته على الانضمام إلى الجامعة العربية الذي تحقق في الأول من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨[٢١].

توجت العلاقات المغربية ـ العراقية، بزيارة الملك محمد الخامس العراق ضمن جولة له في بلدان المشرق العربي في شهر شباط/فبراير عام ١٩٦٠. فقد استقبل بحفاوة كبيرة، وكان الزعيم عبد الكريم قاسم على رأس المستقبلين الذي أطلق على الملك لقب «الملك الشعبي» تقديراً لدوره في النضال ضد الاستعمار[٢٢].

وقد تمخضت عن زيارة الملك محمد الخامس للعراق نتائج جيدة وملموسة؛ فقد أهدى عبد الكريم قاسم إلى الملك محمد الخامس سرباً من الطائرات المقاتلة واسندّ إلى الطيارين العراقيين مهمة تدريب المغاربة على قيادتها، كما أمر بتهيئة ما يحتاجه المغرب من أسلحة أخرى[٢٣].

فرضت هذه المواقف، فضلاً عن التقاء مصالح الطرفين، التنسيق في السياسة الخارجية للبلدين وفي إطار الجامعة العربية، فقد ساند المغرب مطالبة العراق بضم الكويت باعتبارها جزءاً من أراضيه، بينما أعرب العراق عن تأييده المغرب في ما يتعلق بموريتانيا[٢٤].

وعلى الرغم من التطور الذي طرأ على علاقات المغرب بالعراق، إلا أن واقع تلك العلاقات بعد تعيين التازي سفيراً للمغرب في العراق، يؤلف أساساً جديراً بالتقدير للعلاقات اللاحقة بين البلدين. سبق ذلك وشائج كثيرة أقامها مع شخصيات عراقية فكرية وسياسية، ساعدته في تهيئة مستلزمات نجاح مهمته المقبلة في العراق.

ثانياً: عبد الهادي التازي: الشخصية المناسبة للاضطلاع بالمهام الجديدة بقناعة أولي الأمر في المغرب والعراق

دشن عمل التازي في وزارة التربية، وبصفته عضواً في اللجنة الوطنية لليونسكو، وإسهامه في مؤتمرات اليونسكو وتحت رعاية جامعة الدول العربية، بداية مهمته في علاقته بممثلي الجانب

(٢١) العلم (٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨).

(٢٢) إسماعيل العارف، أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق (لندن: دار لانا، ١٩٨٦)، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١، ومحمد العلمي، المغرب بين الاختيار الأيديولوجي والحوار السياسي (الرباط: الوكالة الإفريقية الآسيوية للصحافة والإعلام، ١٩٩٧)، ص ٣٠.

(٢٣) نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨، ٦ ج، ط ٢ (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٥)، ج ٤، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢٤) طالب العراق بالكويت عام ١٩٦١ بعدّها أرضاً عراقية تابعة له منذ العهد العثماني. بالمقابل كان المغرب يطالب باسترجاع موريتانيا التي فصلها الاستعمار الفرنسي عن المغرب واعترف بها دولة مستقلة عنه عام ١٩٦٠. انظر: لارامندي، السياسة الخارجية للمغرب، ص ٢٥٣؛ العارف، المصدر نفسه، ص ٢٧٢، وعلي يعته، موريطانيا: إقليم مغربي أصيل (الدار البيضاء: مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠)، ص ٢٧ ـ ٣٢.

العراقي؛ فقد مارس أثناء انعقاد مؤتمر اللجان الوطنية المحلية العربية لليونسكو في فاس نشاطاً ثقافياً وإدارياً ملحوظاً بصفتهِ عضواً ومنسقاً عاماً للمؤتمرين.

وسرعان ما أصبح التازي يتمتع بمكانة خاصة، فقد توثقت الصداقة بينه وبين أعضاء الوفد العراقي الذي كان برئاسة عبد الرزاق الجليلي، المدير العام للعلاقات الثقافية بوزارة المعارف العراقية. وعضوية عبد المالك ياس السكرتير الأول في السفارة العراقية في المغرب، وعبد المجيد حسن، مدير إعداد المعلمين الذي انتدبته الحكومة العراقية لافتتاح دار المعلمين في مدينة فاس[٢٥]. وقد تآلف معه أعضاء الوفد العراقي إلى الحد الذي دفعهم إلى الطلب بأن تناط مهمة المقرر العام للمؤتمر بأحد أعضاء الوفد المغربي بدلاً من أن تسند إلى أحد أعضاء الوفد المصري كما كان مقرراً بادئ الأمر. وحظي الطلب العراقي بقبول الوفود المشاركة في المؤتمر[٢٦].

أدت كلمة عبد الرزاق الجليلي في المؤتمر، إلى تعميق الروابط الثقافية والقومية بين العراق والدول العربية، وفي مقدمها بلدان المغرب العربي، وبإسناد وتأييد المغاربة، وتركت تأثيراً ملحوظاً على التازي الذي لم يكن قد أحاط بعد بإسهامات العراقيين في ميادين الأدب والفكر. ويفسر أنور الجندي عدم اطلاع المغاربة على الانتاجات الفكرية والأدبية للمشرق العربي، بالقول:

«بسبب ما كان يفرض على المغرب من حصار فكري وثقافي ومعرفي من قبل الفرنسيين خلال فترة الحماية حتى وصفه المغاربة بـ «السور الحديدي»، لكي لا يطلعوا أو يتواصلوا مع المشرق العربي والإسلامي، وعلى الرغم من كسر المغاربة لذلك الحصار بطريقة أو أخرى، فكان ما يصلهم هو ما ينتج من أدب وسياسة وفن مصري من المشرق العربي فحسب. ومن جانب، آخر كان لبُعد المسافة الجغرافية بين البلدين سبب آخر في ذلك»[٢٧].

وقد جلبت كلمة الجليلي نظر التازي، عندما تطرق إلى دور «القرويين» في نشر العلم والمعرفة في زمن كان الكثير من دول أوروبا يعيش في ظلام الجهل والأمية. ومما ذكره المسؤول العراقي بهذا الشأن:

«ولا غرابة في ذلك؛ فتشجيعكم للعلم يشهد لنا بها تاريخ هذه الأمة العريقة في نهضتها، ولقد سرنا أن يعقد هذا المؤتمر في مدينة فاس باعتبارها كانت وما تزال وستبقى مصدراً من مصادر الإشعاع الفكري والثقافي في نهضة العرب ماضيهم وحاضرهم. والتاريخ يذكر لنا جيداً أن القرويين

---

(٢٥) المؤتمر الإقليمي الأول في فاس للجان الوطنية العربية لليونسكو، الرباط، ٢٧ ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٥٨ (الرباط: منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، ١٩٥٨)، ص ١٣٠.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(٢٧) أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا (القاهرة: الدار القومية للطباعة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، ص ٨٦.

كانت مركزاً تشع منه المعارف والعلوم في وقت كانت فيه أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل. ولا غرابة أن يعقد اجتماعنا هذا، في هذا البلد الذي هو أحد دعامات القومية العربية»[٢٨].

ظهرت في السنوات الأولى من عهد الاستقلال في المغرب إمكانيات أكبر من السابق لنشر الثقافة والعلم، وزيادة عدد المدارس على اختلاف مراحلها. وذلك أن وحدة المجتمع وتطوره تتطلب مواطناً مثقفاً واعياً واجباته. من هنا، فإن الحكومة المغربية أولت التعليم جانباً كبيراً من اهتماماتها ولا سيما أن السياسة الفرنسية في عهد الحماية التي استهدفت طمس معالم الثقافة العربية الإسلامية، وعرقلت مشاريع فتح المدارس في المدن المغربية لتغطيته حاجة الأعداد المتزايدة من النشء للتعليم وتحولت إلى عائق كبير أمام تحقيق طموحات المغاربة في هذا المضمار الحيوي[٢٩].

على الرغم من محاولات الحكومة المغربية افتتاح المدارس، وتهيئة المعلمين والمدرسين لها، وعلى الرغم من كل ذلك، فإن ما تحقق للمغرب في ميدان التعليم كان شيئاً محدوداً، وكان دون الحاجة الفعلية لمتطلبات تطور المجتمع وتجاوز السياسة التعليمية السابقة في عهد الحماية الفرنسية[٣٠].

وبحكم تلك القناعة لدى الحكومة المغربية التي كان يشاطرها فيها عبد الهادي التازي بحكم منصبه في وزارة التربية وعضويته في اللجنة الوطنية لليونسكو، توجهت الحكومة المغربية إلى الاستعانة بالملاكات التعليمية في العراق وسوريا ومصر للتعليم في مدارس المغرب. كما تم إرسال البعثات الدراسية للدراسة في المعاهد والكليات العراقية، للحصول على الشهادات التي تؤهلهم للتدريس في مدارس المغرب.

كما اتجه القائمون على التعليم في المغرب وفي مقدمهم وزير التربية الوطنية محمد الفاسي الذي أسند إلى عبد الهادي التازي مهمة العمل على تأسيس معهد للمعلمين في مدينة فاس، لغرض إعداد المعلمين المغاربة وتهيئتهم لممارسة التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية[٣١].

شرع عبد الهادي التازي باتخاذ الإجراءات الضرورية لتأسيس المعهد. وعلى هذا الأساس، تقرر أن يعهد إلى العراق مهمة إقامة المعهد وتزويده بالملاكات التعليمية والتربوية العراقية. ومن المهم

(٢٨) المؤتمر الإقليمي الأول في فاس للجان الوطنية العربية لليونسكو، الرباط، ٢٧ ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٥٨، ص ٦٣.

(٢٩) إحسان حقي، المغرب العربي (بيروت: دار اليقظة العربية، [د. ت.])، ص ١٩٠، ونازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، سلسلة الثقافة القومية؛ ٦ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦)، ص ٨٣.

(٣٠) ظهر بعد استقلال المغرب عام ١٩٥٦ أن ٧٥ بالمئة من المغاربة يعانون من الأمية وأن ٢٠ بالمئة منهم كان تعليمهم ابتدائياً وفقط ٥ في المئة كان تعليمهم أكاديمياً. انظر: صلاح العقاد، السياسة والمجتمع في المغرب العربي (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١)، ص ٣٢.

(٣١) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٨، وشرف الدين، ١٤ يوماً في المغرب، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

أن نشير هنا إلى أن اختيار العراق لأداء المهمة، يُعزى إلى أن التازي والمسؤولين في وزارة التربية المغربية كان يعدون العراق من أبرز الدول العربية في مجال المعارف، وأن العراقيين أكثر من غيرهم خبرة في ميدان التربية والتعليم. وهو أمر كان يحرص عليه موظفو البلاط الملكي المغربي أيضاً.

وقع الاختيار على مدينة فاس مقراً للمعهد الذي تم افتتاحه في نيسان/أبريل ١٩٥٨، بحضور عبد المجيد حسن، مدير إعداد المعلمين في العراق من الجانب العراقي، وعبد الهادي التازي من الجانب المغربي(٣٢).

ومن المهم أن نذكر أن رغبة الجانب العراقي، أدت دوراً بارزاً في اختيار مدينة فاس لتكون مقراً للمعهد، وذلك لقرب طبيعة وعادات أهلها من طبيعة وعادات أهالي بغداد وملاءمة جوها مع جو العراق، كما إن اللهجة الفاسية هي أقرب اللهجات المغربية إلى اللغة العربية الفصحى، فضلاً عن احتضان المدينة لجامع القرويين ما جعل منها مركزاً للدراسات العربية ـ الإسلامية(٣٣).

ولتعزيز دور معهد المعلمين، ولتوظيف العلاقات الجيدة بين المغرب والعراق باتجاه تحقيق أهداف التربية والتعليم في المغرب بعد الاستقلال، عهد عبد الهادي التازي إلى عمه «أحمد» مهمة الإشراف على المعهد بصفة سكرتير عام، وليكون حلقة اتصال بين الوزارة والمعهد، فكان للتازي الدور البارز في تذليل العقبات التي واجهت المدرسين العراقيين(٣٤).

حرص عبد الهادي التازي على إدامة اتصاله بالمدرسين العراقيين العاملين في المعهد، على الرغم من انهماكه في مهامه في وزارة التربية، فتعززت أواصر المحبة والأخوة معهم.

بهذا الصدد، يذكر التازي أن ما أعجبه في المدرسين العراقيين أنهم «يمتازون بأداء عملهم بكل أخلاص ويحترمونه. ولا تقف الأمور المادية حائلاً بين تحقيق هدفهم في تعليم المغاربة الملتحقين بهذا الدار أحسن تعليم». و«على عكس المدرسين المصريين(٣٥) الموجودين في المدرسة المصرية في فاس، الذين كانت لهم أجندة خاصة ويعملون على نشر أفكار حكومتهم وتوجهاتها آنذاك، كما إنهم كانوا يضعون القضايا المادية كهدف أول لعملهم. هذه المقارنة بين المعهد العراقي والمدرسة المصرية حببت لي العراقيين بشكل كبير دفعتني إلى احترامهم كثيراً»(٣٦).

تعززت صلة التازي بالشخصيات الأدبية والفكرية العراقية أكثر في المرحلة اللاحقة؛ ففي ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٨، شارك التازي في مؤتمر الأدباء العرب، الذي انعقد في الكويت

---

(٣٢) المؤتمر الإقليمي الأول في فاس للجان الوطنية العربية لليونسكو، الرباط، ٢٧ ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٥٨، ص ١٣١، وشرف الدين، المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٣٣) محمد رضا الشبيبي، «رحلة إلى المغرب الأقصى،» مجلة المجمع العلمي (بغداد)، السنة ١٢ (١٩٦٥)، ص ٢٥.

(٣٤) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٨.

(٣٥) يذكر عبد الكريم غلاب أن الأساتذة المصريين «الذين يفترض فيهم أن يساهموا في تدعيم التعليم واللغة العربية، استعملوا كدعاة لثورة ٢٣ يوليو، واستعمال الطلبة للغاية نفسها». انظر: غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب: من نهاية الحرب الريفية حتى بناء الجدار السادس في الصحراء، ص ٥٨٧.

(٣٦) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٨.

بمشاركة عدّة وفود في مقدمها الوفد العراقي الذي تألف من ٣٣ أديباً وشاعراً[٣٧]. في المؤتمر المذكور أصبح التازي على اتصال وثيق بعدد من الأدباء ورجال الفكر في الوفد العراقي، الذين كان لهم دورهم البارز في نهضة العراق الأدبية وفي مقدمهم محمد مهدي الجواهري.

ومن دون شك، فإن التازي وجد في نتاجات الأدباء العراقيين مجالاً رحباً لإشباع ميله الأدبي، وانعكاساً لأفكاره وطموحاته. فقد ساهمت تلك النتاجات في تعريف المثقف والأديب المغربي بمواقف الأدباء والمفكرين العراقيين في ما يتعلق بمناقشة القضايا العامة، واطلاعه على النهضة الأدبية التي شهدها العراق في ذلك الوقت. ووصف التازي أنه حرص، قبل أن يعود إلى وطنه، على اقتناء ما سطره يراع الأدباء والشعراء العراقيين من نتاجات أدبية؛ فقد كان معجباً بالشعر والأدب العراقي[٣٨].

لذا لا غرو أن حرص التازي على دعوة المفكرين العراقيين إلى المشاركة في مؤتمر خصص لإحياء ذكرى تأسيس القرويين، الذي عقد في فاس في شهر تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٠، كما ذكرنا سابقاً، وضم الوفد العراقي الفقيه الأديب محمد بهجت الأثري[٣٩] والعلامة اللغوي الدكتور مصطفى جواد[٤٠] والفقيه الشيخ محمد رضا الشبيبي[٤١]، الذين جذبت بحوثهم في المؤتمر انتباه التازي اذ كان يتتبع أخبارهم، ويهتم بدورهم في قيام النهضة الأدبية والفكرية في العراق بفضل الجهود التي

---

(٣٧) ضم الوفد العراقي محمد مهدي الجواهري، وحافظ جميل، ومهدي المخزومي، وصلاح خالص، وعبد الوهاب البياتي، وعبد الزهر عاني، ونازك الملائكة، ومحمد بحر العلوم، ومحمد رضا شرف الدين، وكاظم جواد، ومحمد جواد الغبان، ومصطفى جمال الدين، وخليل كمال الدين، وحسين مردان وآخرين. انظر: وقائع مؤتمر الأدب والعرب المنعقد في الكويت للفترة من ٢٠ ـ ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٨.

(٣٨) وقائع مؤتمر الأدب والعرب المنعقد في الكويت، ص ٦٥٠ ـ ٦٥٩، ومقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٢١.

(٣٩) محمد بهجت الأثري: ولد في بغداد عام ١٩٠٤، وأكمل دراسته وفيها عمل مدرساً في مدارس بغداد حتى عام ١٩٢٥. عين مديراً للأوقاف في بغداد عام ١٩٣٦ واعتقل بعد أحداث أيار/مايو ١٩٤١ مدة ثلاث سنوات، ومنذ عام ١٩٥٨ عين مديراً عاماً للأوقاف في العراق وبقي في منصبه حتى عام ١٩٦٣. انتخب كنائب أول لرئيس المجمع العلمي العراقي ونال الكثير من الأوسمة لجهوده الفكرية والأدبية. كتب عدّة مؤلفات في الشعر والنثر والتحقيق. توفي عام ١٩٩٥ في بغداد. انظر: عبد الله الجبوري، المجمع العلمي العراقي: نشأته، أعضاءه، أعماله (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥)، ص ٥٥ ـ ٥٧.

(٤٠) مصطفى جواد: ولد في بغداد خلال العقد الأول من القرن العشرين وأكمل دراسته الأولية في بغداد وديالى. عمل في مدارس بغداد وحصل على الدكتوراه من فرنسا عام ١٩٣٩، وعمل بعد ذلك في دار المعلمين العالي في بغداد. وانتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي عند تأسيسه عام ١٩٤٨. عمل أستاذاً في كلية التربية، جامعة بغداد وعين عميداً لمعهد الدراسات الإسلامية وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٤٧، وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٥٠. لهُ عشرات الدراسات والبحوث والمؤلفات وضمت مكتبته خمسة آلاف مخطوط عمل على تحقيقها بنفسه ومن ماله الخاص. توفي عام ١٩٦٩. انظر: محمد عبد المطلب البكاء، مصطفى جواد (حياته ومنزلته العلمية) (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩).

(٤١) محمد رضا الشبيبي: ولد في مدينة النجف عام ١٨٨٥، وأكمل دراسته فيها، شغل منصب وزير المعارف في العهد الملكي خمس سنوات، وعين كأول رئيس للمجمع العلمي العراقي عند تأسيسه عام ١٩٤٨. طبع أول ديوان شعري له في القاهرة عام ١٩٤٠. له موقف مساند للنضال العربي في المغرب العربي وخصوصاً في المغرب الأقصى ما دفع زعيم حزب الاستقلال (علال الفاسي) أن يسجل تقديره العالي لمواقف الشبيبي بما يخص قضية المغرب العربي في رسالة خطية بعث بها إلى صحيفة الزمان البغدادية بتاريخ ١٥ حزيران/يونيو ١٩٥٢. للمزيد انظر: جريدة الزمان (بغداد)، ١٩٩٢/٦/١٥، وعلي عبد شناوة، محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى عام ١٩٦٥ (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٣).

كان يبذلها المدرسون العاملون في التعليم في دار المعلمين في فاس من العراقيين من أجل رفع مستوى طلابها الثقافي والعلمي، والذين بينوا له أن الأثري وجواد والشبيبي هم أساتذتهم خلال سنوات دراستهم. وتحدثوا عن خصالهم، وتبحرهم في الثقافة والآداب العربية الشرقية، وباعتبارهم أبرز أعلام العراق، الأمر الذي أثر عميقاً في نفس التازي[٤٢]، فقد وجد فيهم انعكاساً لتوجهاته في بعث الهمم في نفوس الشباب المغربي والاعتزاز بالماضي المجيد للأمة العربية ـ الإسلامية. وبهذا الصدد يذكر التازي أن «الوفد العراقي كان الأقرب إلى تفكيري بعدما قدموا كلماتهم في المؤتمر، وخصوصاً كلمة محمد رضا الشبيبي التي قال فيها «هذا الاحتفال فيه بعض الهمم وشحذ العزائم ودعوة الخلف إلى القدوة بسلفهم الصالح في نشر وبذل النفس والنفيس في إنشاء المؤسسات العلمية. هذا ما دعانا للاشتراك في المؤتمر». «ومن دواعي غبطتنا كذلك ما لاحظناه من عدد غير قليل من ذوي الشأن في أن تقوم نهضة علمية على أمتن الأسس، وأن يتم تحرير البلاد ضمن حدود الدين والفضيلة والعقائد الإسلامية ليس كما يزعم بعض المقلدين المفتونين عقبة كأداة قائمة في سبيل التقدم والتحرر»[٤٣].

كان عبد الهادي التازي حريصاً على وضع برنامج للوفد العراقي لزيارة المدن المغربية ومنها طنجة، والاطلاع على الأماكن الأثرية فيها. ومن طريف ما ذكره الشبيبي عن زيارة الوفد مدينة طنجة، وكان بمعيتهم عبد الهادي التازي، أنهم قرروا ارتياد أحد مطاعم المدينة لتناول الغداء. وعندما طلب الشبيبي من عامل المطعم إحضار صنف الطعام الذي يرغبه أجابه العامل بكلمة «وخا»، فظن الشبيبي أن العامل امتنع عن إجابة طلبه ما أثار استياءه، وهنا تدخل التازي بأسلوب لبق وأوضح للشبيبي أن كلمة «وخا» في لهجة أهالي طنجة تعني قبول الطلب. الأمر الذي أثار في نفس الشبيبي الرغبة في التعرف إلى المصطلحات المغربية وما يقابلها من مفردات في اللهجة العراقية؛ فلبى التازي رغبة الشبيبي فعملا على وضع جدول بذلك[٤٤].

ساهمت نشاطات التازي في المحافل العربية والدولية، وحرصه على أداء مهامه في وزارة التربية بجد وإخلاص، في توجيه أنظار المقامات العليا في المغرب إليه؛ فحظي باحترامهم وبحبهم، الأمر الذي تحول إلى عامل مهم في تسلمه منصب السفير المغربي في العراق.

ثالثاً: عبد الهادي التازي سفير المغرب في العراق

شهدت السنوات الأولى من ستينيات القرن الماضي، بداية مرحلة جديدة في التاريخ السياسي لعدد من الدول العربية تركت أحداثها وتطوراتها آثاراً مباشرة وغير مباشرة على مواقف وسياسات

(٤٢) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٢١.

(٤٣) للتفاصيل عن المؤتمر وكلمات الوفد العراقي. انظر: جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف (٢٤٥ ـ ١٣٧٩هـ/٨٥٩ ـ ١٩٦٠م)، الكتاب الذهبي (الرباط: وزارة التربية الوطنية، ١٩٧٢)، ص ٣٠ ـ ٥٠.

(٤٤) الشبيبي، «رحلة إلى المغرب الأقصى،» ص ٢٧.

تلك الدول؛ فقد نالت الجزائر استقلالها في ٣ تموز/يوليو عام ١٩٦٢[٤٥]. وفي اليمن، قام انقلاب عسكري في ١٦ أيلول/سبتمبر عام ١٩٦٢ ضد حكم الإمامة الزيدية[٤٦]. وفي العراق، أدى انقلاب عسكري بقيادة مجموعة من الضباط المنتمين إلى حزب البعث وضباط من ذوي الاتجاه القومي وفصائل تابعة لهم، إلى الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم وإعدامه مع عدد من رفاقه في ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣[٤٧]. وبعد مرور شهر على الانقلاب في العراق، حدث انقلاب في سوريا بقيادة ضباط في الجيش السوري، أطاح بحكومة خالد العظم ورئيس الجمهورية ناظم القدسي[٤٨].

تحولت هذه الوقائع إلى مؤثرات تكهنت أوساط سياسية مختلفة من خلالها بأن يمتد تأثير تلك الانقلابات إلى الدول العربية ذات الأنظمة الملكية ولا سيما أن قادة الانقلابات رفعوا شعارات وصفوا فيها تلك الأنظمة بـ «الرجعية» و«العميلة» وحرضوا «القوى الثورية» إلى الانقضاض عليها وإسقاطها[٤٩]. وفي الوقت نفسه كانت إذاعة القاهرة تذيع خطب وأحاديث جمال عبد الناصر عن «بعث القومية العربية ودولتها الموحدة» و«محاربة الاستعمار وعملاء الاستعمار». واستهدفت تعبئة «الجماهير العربية لأداء واجبها القومي في التصدي للأنظمة الرجعية والوقوف ضد المشاريع الاستعمارية في المنطقة العربية».

لم يبقَ المغرب بعيداً من هذه الأحداث، فإن زعيم حزب اتحاد القوى الشعبية «المهدي بن بركة»، كان يمثل المعارضة السياسية للنظام السياسي في المغرب؛ فقد كان يرى في سياسة جمال عبد الناصر توافقاً مع آرائه وتوجهاته ضد النظام القائم[٥٠].

ومن الجدير بالإشارة إليه أن أيديولوجية الأحزاب السياسية المغربية، التي ساهمت في تشكيل الوزارات في تلك الحقبة من تاريخ المغرب، امتازت بفهم خاص للقومية العربية، مغاير لمفهوم القومية في المشرق العربي؛ فهو نتاج لواقع اجتماعي وثقافي وإثني، ترسخ على مدى عدّة قرون؛ فالقومية لدى المغاربة تعني حالة الترابط بين ثقافتين ولغتين هما «العرب والبربر»، والإسلام هو الجامع لهما في ظل الثقافة واللغة العربية، وإلا فإن التركيب الاجتماعي والسياسي للمغرب سيتحول إلى أخطر ميدان يقرر فيه مستقبل المغرب السياسي والذي كان شعاره الولاء للوطن والنظام الملكي

(٤٥) للتفاصيل، انظر: رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦)، ص ١٣٨.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٤٧) محمد حديد، مذكراتي: الصراع من أجل الديمقراطية في العراق، تحرير نجدة فتحي صفوة (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦)، ص ٤٧١.

(٤٨) للتفاصيل، انظر: فرانتس تشنر، فريتس شتيبات وسلوى الخماش، تاريخ العالم العربي (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ص ٢١٧.

(٤٩) غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب: من نهاية الحرب الريفية حتى بناء الجدار السادس في الصحراء، ص ٥٨٦، ولارامندي، السياسة الخارجية للمغرب، ص ٢٥٣.

(٥٠) خلف عبيد حمود الدليمي، «المهدي بن بركة ودوره الفكري والسياسي في المغرب،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ١٩٤ ـ ٢٠٠.

الذي يحكم منذ قرون بهذا المفهوم[٥١]، وبحكم ذلك حرص الحسن الثاني[٥٢]، الذي تولى العرش بعد وفاة والده محمد الخامس في الثالث من آذار/مارس ١٩٦١، على خصوصية المغرب السياسية من خلال أسلوب التعامل الدبلوماسي مع الدول العربية ولا سيما تلك التي وقعت فيها الانقلابات العسكرية. وتجمع الدلائل على أن المغرب كان مصمماً على الاحتفاظ بمكانته التاريخية، ونظام الحكم السائد فيه، وتعزيزهما في الظروف الدولية التي سادت المنطقة في تلك الحقبة المضطربة.

ومن أجل تحقيق ذلك، تطلع الملك وحكومته إلى اختيار الشخصيات ذات المؤهلات الخاصة لتمثل المغرب في الدول العربية ولا سيما أولئك الذين ناضلوا ضد الاستعمار الفرنسي وساندوا الأسرة الملكية الحاكمة، وتفانوا في خدمتها والإخلاص لها، وممن تشربوا بالثقافة العربية الإسلامية[٥٣]. ومن هنا، وقع اختيار الملك على عبد الهادي التازي؛ ففي ١١ نيسان/أبريل ١٩٦٣، صدر «الظهير» الملكي القاضي بتعيينه سفيراً للمغرب في العراق (انظر الملحق الرقم (٤ ـ ١)).

وخلال حفل تسلمه أوراق الاعتماد في يوم ١٣ أيار/مايو ١٩٦٣، قلده الملك وسام العرش من الدرجة الأولى تثميناً لدوره في مقارعة المستعمر الفرنسي، وجهوده في خدمة المملكة المغربية[٥٤]، مخاطباً إياه بالقول:

«إن الاتصالات الثقافية هي خير سند للنجاح في هذه المهمة الجديدة في بلد عربي أصيل»[٥٥] (الملحقان الرقمان (٤ ـ ٢) و(٤ ـ ٣)).

وفي جوابه على كلمة الملك، رسم التازي أبعاد مهمته الجديدة بصورة واضحة، لا لبس فيها وبما يحقق أهداف الملك في اختياره المنصب، حين قال:

«مع اعتزازي بهذه الثقة لأنني بهذه الالتفافة كونت حلقة من سلسلة الذين ربطوا تاريخ المغرب بالمشرق، وأنني اعرف أن أبرز سفير للمغرب لدى بغداد كان الإمام ابن العربي[٥٦]... وأني لآمل أن

---

(٥١) عبد الإله بلقزيز، العربي مفضال وأمينة البقالي، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، ١٩٤٧ ـ ١٩٨٦: محاولة في التأريخ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢)، ص ٢٠، والجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا، ص ٨٨.

(٥٢) الحسن الثاني، ولد في الرباط عام ١٩٢٧ وواكب والده محمد الخامس في نضاله ضد الفرنسيين ونفي معه عام ١٩٥٣ إلى كوستاريكا. عين ولياً للعهد في عام ١٩٥٧، جلس على عرش المغرب بعد وفاة والده في ٣ آذار/مارس عام ١٩٦١، سار على نهج والده في السياسة الخارجية والداخلية. انظر: ملفات وزارة الخارجية العراقية، الملفة المرقمة ١٣/٤/٢، ص ١، تقرير السفارة العراقية في الرباط حول سير الأوضاع السياسية في المغرب.

(٥٣) «السفراء المغاربة الجدد والسفراء المعتمدون بالرباط،» المغرب (مجلة وزارة الشؤون الخارجية، الرباط)، العدد ٥ (كانون الثاني/يناير ١٩٦٣)، وسهيل حسن الفتلاوي، الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق (عمّان: دار الثقافة للتوزيع والنشر، ٢٠٠٩)، ص ١٠٥.

(٥٤) المغرب، العدد ٧ (١ تموز/يوليو ١٩٦٣).

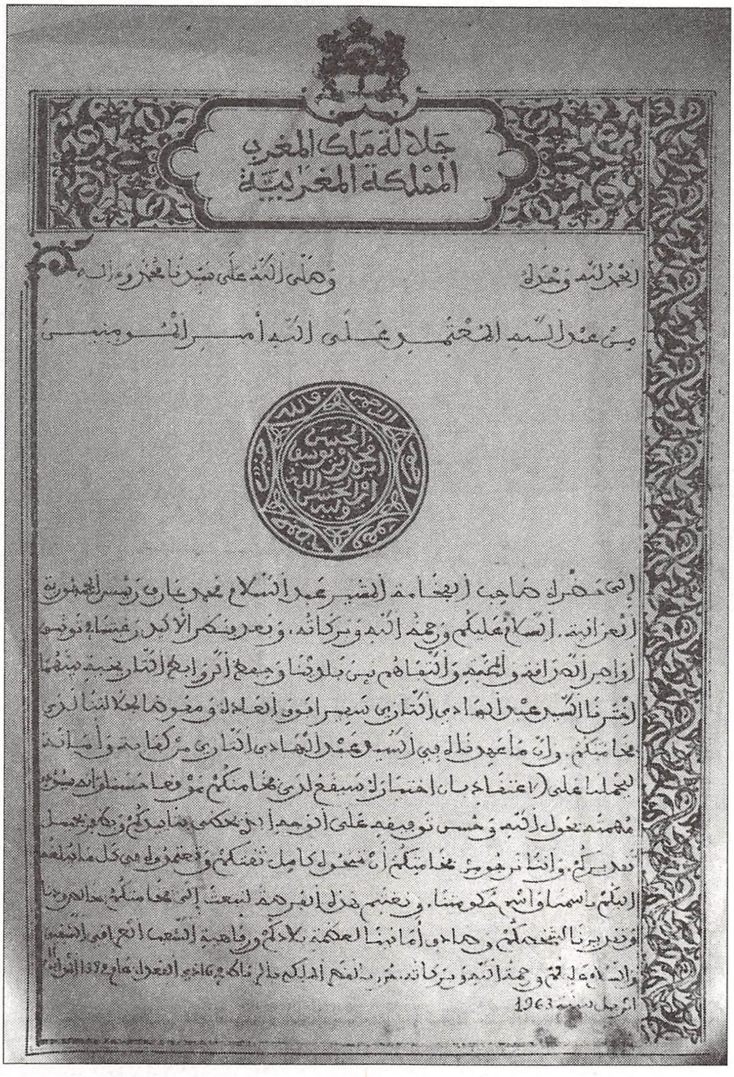
(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) الإمام ابن العربي: هو محمد بن عبد الله العربي الأندلسي أول سفير مغربي يصل إلى بغداد مبعوثاً من يوسف بن تاشفتين في عهد الموحدين لتمثيله عند الخليفة العباسي المستنصر بالله. تمكن من الاطلاع على علوم ومعارف =

أعمل على تمتين العلاقات المغربية ـ العراقية على أساس ذلك الاتصال الذي يرجع إلى عدة قرون خلت»[٥٧].

الملحق الرقم (٤ ـ ١)

الظهير الملكي بتعيين عبد الهادي التازي سفيراً في العراق



جلالة ملك المغرب

المملكة المغربية

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من عبد الله المعتمد على الله أمير المؤمنين

الحسن بن محمد بن يوسف [illegible] الله وليه

إلى حضرة صاحب الفخامة المشير عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فنظراً للأكيد رغبتنا في توثيق أواصر الصداقة والمحبة والتفاهم بين بلدينا وجمع أواصر التاريخ [illegible] اخترنا السيد عبد الهادي التازي سفيراً فوق العادة ومفوضاً لجلالتنا لدى فخامتكم. وإن ما عهدناه في السيد عبد الهادي التازي من كفاءة وأمانة ليحملنا على الاعتقاد بأن اختيارنا سيقع لدى فخامتكم موقعاً حسناً وأنه سيؤدي مهمته بحول الله وحسن توفيقه على الوجه الذي يحظى بتأييدكم ويكون محل تقديركم. وإننا نرجو من فخامتكم أن تمنحوه كامل ثقتكم وتصدقوه في كل ما يبلغه إليكم باسمنا وباسم حكومتنا. ونغتنم هذه الفرصة لنبعث إلى فخامتكم [illegible] وتقديرنا [illegible] وأمانينا العظيمة لبلادكم ورفاهية الشعب العراقي الشقيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. حرر بقصرنا الملكي بالرباط [illegible] ذي القعدة عام ١٣٨٢ [illegible]

أبريل سنة 1963

= ورجال العلم والفقه في بغداد. انظر: عبد الملك بن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، تحقيق عبد الهادي التازي (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٢)، ص ١٤٦.

(٥٧) عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم**، ١٠ مج (الرباط: مطبعة فضالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، مج ١، ص ٩.

الملحق الرقم (٤ ـ ٢)

تقليد عبد الهادي التازي وسام العرش من قبل الملك الحسن الثاني وتسليمه أوراق اعتماده سفيراً في العراق



بعد أربعة أيام من وصوله قدم عبد الهادي التازي أوراق اعتماده إلى الرئيس العراقي عبد السلام محمد عارف[٥٨] في ١٦ حزيران/يونيو ١٩٦٣[٥٩]. وفي الوقت نفسه، سلمه رسالة خطية من الملك الحسن الثاني يهنئه فيها بإعلان ميثاق ١٧ نيسان الذي تضمن إعلان الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، التي لم تر النور بسبب الصراع الحزبي في سوريا، والخلافات السياسية داخل أجنحة السلطة في العراق[٦٠].

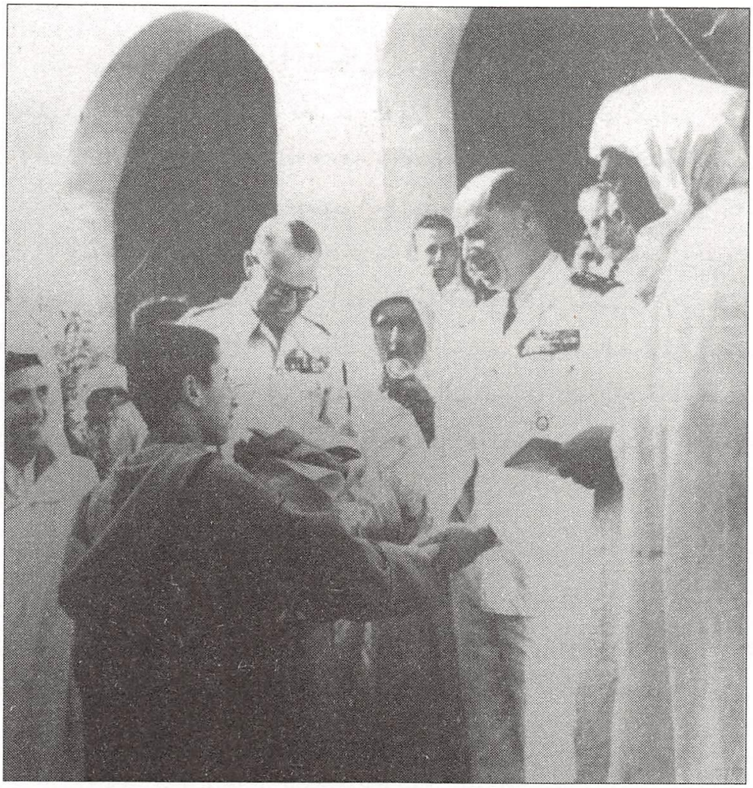
(٥٨) للتفاصيل عن حياة عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري، انظر: ناصر علوان الوائلي، «عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام ١٩٦٦،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية، بغداد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

(٥٩) جريدة **الطليعة** (بغداد)، ١٨/٦/١٩٦٣.

(٦٠) في الساعة الواحدة من صبيحة ١٧ نيسان/أبريل ١٩٦٣، تم التوقيع على ميثاق القاهرة الوحدوي وكانت المباحثات بين وفود العراق وسوريا ومصر، قد بدأت في الثالث من نيسان/أبريل، واستمرت حتى السابع عشر منه. وتألف الوفد المصري من الرئيس جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي نائبه وكمال الدين رفعت عضو مجلس الرئاسة وكمال الدين حسين، عضو مجلس الرئاسة وعلي صبري رئيس المجلس التنفيذي وأمين الهويدي سفير مصر في بغداد. وترأس الوفد العراقي أحمد حسن البكر رئيس الوزراء وعلي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وصالح مهدي =

الملحق الرقم (٤ ـ ٣)

في قصر البطحاء بفاس بمناسبة استقبال المتفوقين
حصول التازي على جائزة التفوق



شرع عبد الهادي التازي بعد لقائه الرئيس عارف إلى العمل من أجل إقامة أفضل العلاقات مع العراق في المجالات الاقتصادية والثقافية. وفي هذا الإطار التقى التازي وزير التربية عبد الستار الجواري، وعلي صالح السعدي وزير الإرشاد، وشكري صالح زكي وزير التجارة[٦١].

= عماش وزير الدفاع وطالب شبيب وزير الخارجية وعبد الستار عبد اللطيف وزير المواصلات ومحمود شيت خطاب وزير الشؤون البلدية. أما الوفد السوري، فتألف من لؤي الأتاسي رئيس مجلس قيادة الثورة وصلاح الدين البيطار رئيس مجلس الوزراء ونهاد القاسم، نائب رئيس مجلس الوزراء ومحمد الصولي وزير الدفاع وزياد الحريري رئيس الأركان العامة وغسان حداد ورائد قطيني وكمال هلال وفهد الشاعر ومحمد عمران وفواز محارب أعضاء مجلس قيادة الثورة وعبد الكريم زهو وزير الاقتصاد وشبلي العيسمي وزير الإصلاح الزراعي وهاني الهندي وزير التخطيط وسامي صفوة وزير التموين وتضمن الاتفاق الصيغة الدستورية للوحدة وهي أنها وحدة اتحادية لها مجلسان تشريعيان أحدهما مجلس النواب بنسبة سكان كل قطر، والآخر مجلس اتحادي من عدد متساوٍ من كل قطر. عن نص الميثاق. انظر: **الأهرام** (القاهرة)، ١٩٦٣/٤/١٨، والشيخ، **تاريخ العرب المعاصر**، ص ١٩٦.

(٦١) **الطليعة**، ١٩٦٣/٦/١٨.

ومع ذلك لم تكن المهمة التي تنتظر التازي في العراق سهلة، فحين تفاقمت العلاقات بين المغرب والجزائر بسبب قضية تعيين الحدود بين البلدين، وما تبع ذلك من قيام نزاع عسكري بينهما، الأمر الذي كان يقلق التازي أكثر من أي شيء آخر، وذلك لموقف الحكومة العراقية المساند للجزائر آنذاك.

ومن أجل إلقاء ضوء إضافي على هذا الجانب المهم من الموضوع، من الضروري أن نشير إلى أن مشكلة الحدود المغربية ـ الجزائرية تعد من الآثار السلبية التي تركتها سياسة الفرنسيين الذين استهدفوا إثارة المشاكل بين الدول العربية؛ فبعد نيل المغرب الاستقلال عام ١٩٥٦، بدأت الحكومة المغربية بالتفاوض مع فرنسا من أجل ترسيم الحدود بين المغرب والجزائر التي كانت ما تزال وقتذاك تحت الاحتلال الفرنسي. ولكن سرعان ما قرر الملك محمد الخامس وقف المفاوضات مع فرنسا تلبية لرغبة قادة الثورة الجزائرية من أجل إجراء المفاوضات معهم بدلاً من فرنسا، للتوصل إلى حل يرضي الطرفين؛ فتم الاتفاق مع الملك محمد الخامس ورئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة فرحات عباس في ٦ تموز/يوليو ١٩٦١، على عدم اعتراف الجزائر بالحدود كما رسمتها فرنسا بين البلدين، وتأليف لجنة مشتركة للنظر في ترسيم جديد من دون تدخل من دولة أجنبية على أن يتم ذلك بعد نيل الجزائر استقلاله[٦٢].

لكن ما لبثت الحكومة الجزائرية بقيادة أحمد بن بلة[٦٣]، بعد نيل الجزائر الاستقلال أن عدلت عن الاتفاق السابق، لتعلن في بيان لها عدم التزامها بالاتفاقية السابقة مع المغرب باعتبارها سرية وموقعة من حكومة مؤقتة لا تمثل الشعب الجزائري[٦٤]. ويبدو أن موقف الحكومة الجزائرية كان نتيجة مطالبة المغرب بعائدية منطقة «تدنوف» الحدودية لها[٦٥].

وكما كان متوقعاً جرت الأمور باتجاه التصادم بين البلدين في معركة عرفت بـ حرب «الرمال» وذلك في الثامن من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣[٦٦]. الأمر الذي تسبب في حدوث أزمة بين المغرب

(٦٢) الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات من مارس ١٩٥٦ إلى مارس ١٩٦٦، ص ٣٢، وضريف، النسق السياسي المغربي المعاصر، ص ٨٦ ـ ٨٧.

(٦٣) أحمد بن بلة: أحد قادة الحركة الوطنية الثورية الجزائرية، تعرض للاعتقال على يد المحتلين الفرنسيين عام ١٩٥٦، وبعد إطلاق سراحه واصل نضاله من أجل قضية بلاده حتى نال الجزائر استقلاله عام ١٩٦٢، وانتخب كأول رئيس للجمهورية الجزائرية. وتم الإطاحة بحكمه عام ١٩٦٥ بانقلاب عسكري. للتفاصيل، انظر: مائدة خضير علي السعدي، «أحمد بن بلة ودوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى عام ١٩٦٥،» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤).

(٦٤) الحسن الثاني (ملك المغرب)، التحدي، ط ٢ (الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٩٣)، ص ١٤٢، ومحمد رضوان، منازعات الحدود في العالم العربي: مقاربة سوسيوتاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية (بيروت: أفريقيا الشرق، ١٩٩٨)، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٦٥) «تدنوف» تقع على الحدود المغربية ـ الجزائرية وتربط المغرب بموريتانيا من جهة الشرق وتمتاز باحتوائها على مناجم للفسفور والحديد. انظر: أحمد عسه، المعجزة المغربية (بيروت: دار القلم، ١٩٧٥)، ص ٣٤٨.

(٦٦) عبد الهادي بوطالب، نصف قرن في السياسة، حاوره حاتم البطيوي؛ تقديم محمد سبيلا، شرفات الزمن؛ ٦ (الدار البيضاء: منشورات الزمن، ٢٠٠١)، ص ١٤١.

والعراق الذي ارتبط بطريقة أو بأخرى بالتيار القومي الذي تزعمته مصر آنذاك، وعملت على الظهور بمظهر المساند لقضايا التحرر العربي، فكان من الطبيعي بعد أن توترت العلاقات بين المغرب والجزائر بسبب النزاع الحدودي بينهما، أن ينحاز العراق إلى جانب الجزائر[٦٧]. وما عززّ هذا التوجه لدى دول التيار القومي (العراق ومصر وسوريا) في تأييد وجهة النظر الجزائرية، تصريحات الرئيس الجزائري أحمد بن بلة في أجهزة الإعلام، ومنذ الأيام الأولى للخلاف المغربي ـ الجزائري، أن ما حدث هو (صراع بين النظام الرجعي الملكي لإسقاط النظام الثوري التقدمي في الجزائر)[٦٨].

تمثل انحياز العراق إلى جانب الجزائر في الحملة الإعلامية التي شنتها الصحافة العراقية ضد المغرب. وما نشرته الصحف العراقية في تلك الأيام بشأن الخلاف المغربي ـ الجزائري، يلقي الضوء على حجم تأييد العراق للجزائر؛ فمنذ بدء الخلاف بين البلدين وصفت جريدة الشعب النظام الملكي المغربي «بالنظام الرجعي الذي يسعى إلى القضاء على القوى التحررية الثورية في الجزائر، ويسعى إلى تقويضه في منطقة المغرب العربي»[٦٩].

لم يكن عبد الهادي التازي مرتاحاً لما آلت إليه العلاقات المغربية ـ العراقية، وظل مقتنعاً بأنه يمكن تفادي تدهور العلاقة مع العراق؛ فحين بدأت الصحف العراقية تنشر مقالات تنال من النظام السياسي في المغرب، قام بزيارة للرئيس عبد السلام محمد عارف بهدف عرض وجهة النظر المغربية بشأن الخلاف مع الجزائر، وتطوير العلاقات بين العراق والمغرب نحو الأفضل، الذي كان عارف، كما يبدو، يرنو إليه أيضاً[٧٠].

إلا أن تأثير الزيارة ظل محدوداً، واستمر التوتر يخيم على العلاقات المغربية ـ العراقية؛ فعندما نشبت الحرب بين المغرب والجزائر، أخذت الصحف العراقية تصف تلك الحرب على أنها «عدوان عسكري مغربي على الجزائر»[٧١].

من هنا، توقع التازي أن تعمد حكومته إلى استدعائه كما استدعت سفيري المغرب في كل من سوريا ومصر، وذلك إثر تقديم مسؤولي البلدين الدعم العسكري للجزائر والدعم السياسي من خلال الجامعة العربية التي وصفها ملك المغرب بأنها «دمية بيد مصر»[٧٢].

وعلى الرغم من أن الجهود التي بذلها عبد الهادي التازي في هذا المجال لم تؤدِ إلى النتائج التي كان يطمح إليها، إلا أنها لم تخلُ، مع ذلك، من نتائج مفيدة؛ فقد شجعت عبارات الرئيس عارف التي خاطبه بها خلال لقائه به في وقت سابق، ونشرتها مجلة دنيا العرب هكذا:

---

(٦٧) لارامندي، السياسة الخارجية للمغرب، ص ٢٥٣.

(٦٨) محمد التازي، مذكرات سفير، ٢ ج (الكويت: مطابع الأنباء، ٢٠٠٠)، ج ١، ص ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٦٩) جريدة الشعب (بغداد)، ١٩٦٣/١٠/٢، و١٩٦٣/١٠/٦.

(٧٠) الشعب (بغداد)، ١٩٦٣/١٠/٨.

(٧١) الشعب (بغداد)، ١٩٦٣/١٠/١٥.

(٧٢) أستدعت الحكومة المغربية سفيريها في سوريا ومصر. في الوقت نفسه، أبعدت سفيري البلدين عن المغرب، وأنهت عقود المدرسين والعاملين لديها. انظر: لارامندي، السياسة الخارجية للمغرب، ص ٢٥٣، والشعب، ١٩٦٣/١٠/١٧.

«إنك لست سفير المغرب فقط في العراق بل إنك سفير العراق أيضاً وعليك من حقوق تجاه العراق كما للمغرب عليك من حقوق، ونحن نطلب أن تقول لنا كل ما تراه صحيحاً وكل ما تجده غير صحيح»[٧٣].

استغل عبد الهادي التازي حديث الرئيس العراقي في ذلك اللقاء بذكاء الدبلوماسي الناجح. إذ قرر مقابلة وزير الخارجية وكالة صالح مهدي عماش، وزير الدفاع[٧٤].

وفي ذلك اللقاء، برزت مواهب التازي وأهليته في تمثيل بلاده بأكمل وجه ممكن؛ فقد تناول في حديثه مع الوزير العراقي الروابط التاريخية والدينية التي تربط المغرب بالعراق، وحرص المغرب على توطيدها، وفتح آفاق جديدة من التعاون في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية.

بدا واضحاً في حديثه مع المسؤول العراقي، أن التازي كان مقتنعاً أن العلاقات بين المغرب والعراق لا بد، قبل كل شيء، أن تقوم على أسس ثابتة في إطار الاعتراف بسيادة المغرب، واحترام خيارات الشعب المغربي، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية المغربية. وفي اللقاء نفسه، حاول التازي، بقصد إقناع القيادة العراقية بصحة موقف المغرب من الأزمة مع الجزائر، وكسبها إلى جانبه، توجيه نقد غير مباشر ضد سياسة العراق مؤكداً إن كان «غير مرغوب بوجوده في العراق» فإنه «سيحزم حقائبه ويغادر العراق»، وأنه لا يفهم سبب الحملة الإعلامية الموجهة ضد بلده»[٧٥].

ومن المعروف أن التازي كان رصيناً في حديثه، بعيداً من التكلف، صريحاً في تعابيره، لذا لم يؤدِ لقاؤه مع المسؤول العراقي إلا إلى ازدياد ثقة القيادة العراقية به، واعتمادهم عليه، الأمر الذي يمكن ملاحظته في جواب وزير الخارجية على حديث التازي؛ فقد أكد الوزير اعتزاز القيادة السياسية به، «وتمسكها ببقائه على رأس البعثة الدبلوماسية المغربية في بغداد» وأنه ـ أي الوزير ـ «سيبلغ رئيس الوزراء برغبتك في عرض قضية بلادك بشأن موضوع الحدود مع الجزائر». وأن ما ورد في الصحافة العراقية عن أزمة الحدود «لا تعبر عن موقف الحكومة العراقية ذلك أن الدستور العراقي أعطى للصحافة حرية التعبير والرأي»[٧٦].

إثر ذلك، استقبل رئيس وزراء العراق أحمد حسن البكر، التازي في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣. وتركز حديث التازي في المقابلة التي استغرقت حوالى الساعة، على أحداث الحرب بين المغرب والجزائر، ووجهة النظر المغربية بشأن أسباب تلك الحرب.

(٧٣) مجلة دنيا العرب (بغداد)، العدد ٥ (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣).
(٧٤) كان وزير الخارجية طالب شبيب في مهمة رسمية خارج العراق. انظر: الشعب، ١٩٦٣/١٠/٦.
(٧٥) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.
(٧٦) المصدر نفسه.

ويبدو أن القادة العراقيين ازدادوا اقتناعاً بأسلوب التازي في إدارة الدبلوماسية المغربية، لذا نراهم يتخذون موقف الحياد تجاه مشكلة الحدود المغربية ـ الجزائرية، وقد أكد رئيس الوزراء العراقي رغبة بلاده في التوصل إلى حل سلمي ينهي حالة الحرب بين البلدين الشقيقين[٧٧].

وتكمن أهم نتيجة تمخضت عن لقاء التازي برئيس وزراء العراق، في أنها أقنعت القيادة العراقية بإعادة النظر في سياستها تجاه المغرب بصورة جديدة؛ ففي ١٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣، أي بعد مرور يوم واحد فقط على اللقاء، أرسلت الحكومة العراقية مذكرة إلى جامعة الدول العربية تدعوها إلى التدخل لفض النزاع بين المغرب والجزائر والتوصل إلى حل سلمي للمشاكل القائمة بينهما لأنها «لا تخدم ظروف البلدين الإسلاميين العربيين»[٧٨].

ولكن يبدو أن محاولات الجامعة العربية لحل الأزمة المغربية ـ الجزائرية لم تسفر عن نتيجة، وذلك بسبب الاعتقاد السائد في أوساط المسؤولين المغاربة من أن مجلس الجامعة العربية كان يرتسم خطى سياسة عبد الناصر العربية.

وعلى الغرار نفسه، لم تلقَ محاولات سوريا وتونس ومصر التوسط، خارج نطاق الجامعة العربية، القبول من جانب المغرب[٧٩].

أبدى التازي نشاطاً ملحوظاً في هذه المدة، فقد بذل أقصى الجهود للتأثير في القيادة السياسية العراقية وحملها على الإسهام في حل النزاع الدائر آنذاك بين المغرب والجزائر. يذكر التازي في هذا الصدد ما نصه: «أجرت الحكومة العراقية مشاورات معي قبل أن تقرر إرسال وفد عراقي بهدف التوصل إلى حل يرضي طرفي النزاع. وقد أكدت للحكومة العراقية أن الوفد محل ترحيب وتقدير من قبل الحكومة المغربية، وكانت مهمة ذلك الوفد الاستماع إلى وجهة النظر المغربية، والتوصل إلى حل للنزاع الدائر بين البلدين بالحوار والتفاوض»[٨٠].

ترأس الوفد العراقي أحمد عبد الستار الجواري وزير التربية، وضم في عضويته محسن غرب وزير الصحة، ومحسن الحبيب سفير العراق لدى المغرب ومحمد فاضل شكري مدير الشعبة العربية في وزارة الخارجية والدكتور فاضل زكي الأستاذ في جامعة بغداد[٨١]. وكان الأخير قد أجرى

---

(٧٧) الشعب، ١٩٦٣/١٠/١٦.

(٧٨) الشعب، العدد ١٥٧.

(٧٩) وقفت مصر إلى جانب الجزائر في نزاعها مع المغرب. أما السعودية والأردن، فقد اتخذتا موقفاً سلبياً من المغرب بسبب تأييد الأخير العراق في مطالبته بضم الكويت. كما إن اعتراف تونس بموريتانيا سبب توتراً في العلاقة مع المغرب الذي كان يعد موريتانيا أرضاً مغربية. للتفاصيل انظر: كريمي علي، «جامعة الدول العربية والمنازعات التقليمية العربية،» (رسالة دبلوم دراسات عليا في القانون العام غير منشورة مقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، ١٩٨٠)، ص ١٨٥ ـ ١٩١.

(٨٠) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.

(٨١) كان صديقاً للتازي.

عدة لقاءات مع التازي في منزله لغرض المداولة بشان الأزمة، والاستيضاح منهُ عن جذور الخلاف المغربي ـ الجزائري بشان الحدود بين البلدين[٨٢].

زار الوفد كلاً من العاصمتين المغربية والجزائرية، وخلال إقامة الوفد في المغرب أقيمت لهم حفلة تعارف خاصة في القصر الملكي يوم ١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣، دعي إليها كبار المسؤولين المغاربة، وتم إطلاع الوفد العراقي على خلفيات الأزمة مع الجزائر، ووجهة نظر المغرب بشأنها[٨٣].

وكما يؤكد التازي أن زيارة الوفد المغرب، وتفهمه وجهة النظر المغربية، تركت «تأثيراً حسناً جداً في نفوس المسؤولين المغاربة» في الوقت الذي أغاظ موقف الوفد العراقي الجانب الجزائري. إذ أبدى وزير الخارجية الجزائري عبد العزيز بوتفليقة دهشته، وعدم ارتياحه من مهمة الوفد خلال حديثه مع وزير الخارجية العراقي طالب شبيب بقوله:

«كيف تتوسطون بحيادية وأنتم، تقدميون، بيننا وبين المغرب، بين حليفكم الجزائر وبين خصمه وهو خصمكم أيضاً»[٨٤].

إزاء تمسك كل طرف من طرفي النزاع بموقفه، اخفق الوفد العراقي في أداء مهمته، وإقناع الطرفين بالجلوس إلى مائدة المفاوضات[٨٥].

ومع ذلك ساعدت مهمة الوفد العراقي على تخفيف حدة الصراع بين المغرب والجزائر، إلا أنها لم تؤدِ إلى وقف إطلاق النار بينهما، الأمر الذي تم تحقيقه بعد أن تم عقد قمة في باماكو عاصمة مالي في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣، ضم الملك المغربي الحسن الثاني والرئيس الجزائري أحمد بن بلة ورئيس جمهورية مالي موديبوكينا، وهيلا سلاسي الإمبراطور الإثيوبي. وتقرر وقف إطلاق النار، وتشكيل لجنة رباعية لدراسة أسباب النزاع بين البلدين بعد قيام الطرفين بسحب جيشهما إلى مواقعهما قبل الحرب[٨٦].

وبما أن القضية الفلسطينية كانت تمثل قضية العرب الأولى، لذا كان من الطبيعي أن تحظى باهتمام خاص من لدن الحكومات العربية؛ فقد أدت تطورات القضية الفلسطينية ومحاولات سلطات الاحتلال الصهيوني تحويل مجرى نهر الأردن، إلى الدعوة إلى عقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في ١٩٦٤/١/١١[٨٧]. شارك فيه المغرب بوفد ترأسه الملك الحسن الثاني وبمعيته

---

(٨٢) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.

(٨٣) المصدر نفسه.

(٨٤) نقل عبد السلام عارف تفاصيل ما دار من حديث بين وزير الخارجية الجزائري ووزير الخارجية العراقي، إلى عبد الهادي التازي في إحدى لقاءاته به بعد انتهاء الصراع بين الجزائر والمغرب. مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.

(٨٥) علي، «جامعة الدول العربية والمنازعات التقليمية العربية،» ص ١٨٦.

(٨٦) الشعب، ١٩٦٣/١٠/٣١.

(٨٧) التازي، مذكرات سفير، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

شقيقه الأمير عبد الله وضم عدداً من الوزراء البارزين[٨٨]. وتقرر أن يرافق الوفد عدد من سفراء المغرب في الخارج بينهم عبد الهادي التازي، سفير المغرب في العراق. وتقرر أن يذهب الوفد إلى القاهرة قبل سفر رئيسه ليكونوا في استقباله هناك، وليتمكنوا من الاتفاق بينهم بشأن ما يجب أن تتضمنه كلمة الملك في ما يخص المسائل المطروحة في اجتماعات القمة العربية[٨٩].

عقد الوفد اجتماعاً قبل انعقاد القمة تدارس فيه الأعضاء موضوع تحديد موقف المغرب من «القضية الفلسطينية» بصورة عامة أو الاكتفاء بحل قضية «نهر الأردن» بغية تضمينه كلمة المغرب في المؤتمر[٩٠]. وفي الاجتماع استأنس الوزير عبد الهادي بوطالب بآراء السفراء.

كان رأي عبد الهادي التازي، الذي عرف باطلاعه الواسع على اتجاهات السياسة العربية، وخلفيات القضايا المطروحة على بساط البحث في مؤتمر القمة، أن «على الملك والمملكة أن يضطلعان بدور ريادي في هذه القمة، والتأكيد على ارتباط المغرب بالجامعة العربية من خلال الالتزام بأي قرار يتخذه العرب، خصوصاً وأن الدوائر العربية تعتبر أن المغرب مقصر في القضية الفلسطينية بما يخص قضية الهجرة والمقاطعة العربية لإسرائيل»[٩١].

واستجابة لهذا الرأي الذي كان له وقع حسن لدى الملك الحسن الثاني، تقرر أن يتضمن خطابه في المؤتمر معظم ما جاء فيه من توصيات[٩٢].

ساعدت مشاركة المغرب في مؤتمر القمة العربي على تذليل عقبات جدية، كانت تعترض تحسين العلاقات المغربية ـ العراقية. وهناك ما يشير إلى أن الكثير من زعماء الدول العربية بدأوا يقتنعون بصحة السياسة الخارجية المغربية، وتوافقها مع المصالح العليا للأمة العربية. من هنا، يفترض أن يكون عبد الهادي التازي قد أدى دوراً ملموساً فيها تم إنجازه في القمة العربية[٩٣].

---

(٨٨) كان من أبرزهم أحمد بلافريج وعبد الهادي بوطالب.

(٨٩) التازي، المصدر نفسه، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٩١) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٥. وقد شارك التازي في رأيه عبد الرحمن الفاسي سفير المغرب في الأردن، وعبد الهادي الشرايبي السفير في ليبيا، وأحمد بن عبود السفير في لبنان.

(٩٢) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٥. وكبادرة حسن نية اصطحب الملك معه إلى القاهرة الضباط المصريين الذين تم أسرهم من الجيش المغربي في «حرب الرمال». وكان الضباط المصريون قد انضموا إلى الجيش الجزائري في الحرب ضد المغرب ووقعوا في الأسر بعد هبوط طائرتهم اضطرارياً في الأراضي المغربية. وقد سلمهم الملك الحسن الثاني شخصياً إلى جمال عبد الناصر لدى استقباله له في مطار القاهرة. والضباط هم العقيد عباس شاهين، والعقيد أحمد الهويدي، والعقيد حسني مبارك (الذي أصبح رئيساً لمصر عام ١٩٨١)، والمقدم عبد الخالق عطية والرائد فاروق عبد الحميد.

(٩٣) أجرى الملك الحسن الثاني مباحثات مع الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والرئيس المصري جمال عبد الناصر. كما أجتمع مع الرئيس الجزائري أحمد بن بلة بحضور عبد الناصر تناولت العلاقات المغربية ـ التونسية والمغربية الجزائرية. كما أجرى الملك مباحثات مع الرئيس العراقي عبد السلام عارف تبادلا خلالها وجهات النظر بشأن القضية الفلسطينية، وقد دشن لقاؤهما، الذي يعد أول لقاء يجمع بين قادة البلدين، بداية مرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين. انظر: توفيق الشاوي، مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي ١٩٤٥ ـ ١٩٩٥ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨)، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٦.

أدرك عبد الهادي التازي في هذه الأجواء أن بوسعه استغلال تطور العلاقات بين المغرب والعراق في اتجاه تحقيق أهداف السياسة التربوية التي انتهجها المغرب بعد الاستقلال في ما يتعلق بعملية التعريب، ورفد المؤسسات التعليمية المغربية بالملاكات التدريسية المتخصصة في مختلف العلوم[٩٤]؛ فقد كان على القائمين بأمور التربية والتعليم أن يعيدوا ملء الشواغر في المدارس والمعاهد المغربية بعد إبعاد المدرسين المصريين إثر تأييد مصر الجزائر في نزاعها مع المغرب[٩٥].

وكما يؤكد التازي أن الأساتذة والمدرسين العراقيين هم على درجة كبيرة من الكفاءة العلمية، والخبرات التربوية، ويمثلون حلاً أمثل في سد الشواغر في المؤسسات التعليمية في المغرب، في ظروف تمخضت عن إبعاد المدرسين المصريين. وقد صاغ التازي هذه الحقيقة بصورة دقيقة حين خلص إلى القول:

«لقد أثبتت السنوات السابقة وعلى ضوء التجربة وما مر به المغرب من مشاكل، أننا لم نجد في المغرب اصدق من الأساتذة العراقيين في عملهم قياساً بباقي البعثات العربية الأخرى»[٩٦].

وقد تمخض عن الاتفاق المبرم بين التازي ووزير التربية العراقي نتائج جيدة وملموسة. وتعزز الاتفاق بعد قيام وفد مغربي بقيادة أحمد اقلال المستشار في وزارة التربية المغربية بزيارة العراق لإكمال الترتيبات الخاصة بانتداب المدرسين العراقيين. وسرعان ما بدأت وجبات الأساتذة والمدرسين تصل المغرب ليتم تنسيبهم إلى المدارس والمعاهد المغربية. وبهذا الصدد نشرت جريدة العلم في عددها الصادر في ١٦ حزيران/يونيو ١٩٦٤ خبر وصول (٢٥٣) من الملاكات التعليمية بصحبة عوائلهم[٩٧].

ومثلما حرص التازي على تهيئة أسباب تطور التعليم في المغرب ورفع مستواه بالتعاون مع المؤسسات التعليمية العراقية، أبدى اهتماماً كبيراً بالطلبة المغاربة الدارسين في المدارس العراقية[٩٨]. فحين نما إلى مسمعه في مطلع شهر آذار/مارس من عام ١٩٦٥، قيام عدد من الطلبة المغاربة بالاعتصام داخل السفارة المغربية للمطالبة بتحسين أوضاعهم المادية.

استوجب عمل عبد الهادي التازي بصفته سفيراً في العراق، إيجاد حل لمشكلة الطلاب، لذا خاطب وزارة الخارجية المغربية مقترحاً رفع مخصصاتهم المالية لتأمين ما يحتاجونه من متطلبات الدراسة.

---

(٩٤) عشر سنوات من الاستقلال: المغرب بين ١٩٥٦ و١٩٦٦ (الرباط: منشورات وكالة الأنباء المغربية، ١٩٦٦)، ص ١١٧.

(٩٥) الشعب، ١٩٦٣/١٠/٢٦.

(٩٦) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٥.

(٩٧) العلم (١٦ حزيران/يونيو ١٩٦٤).

(٩٨) كان العراق قد استقبل العشرات من الطلبة المغاربة بعد نيل المغرب الاستقلال، لتحصيل العلم في المؤسسات التعليمية العراقية. انظر: الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات من مارس ١٩٥٦ إلى مارس ١٩٦٦، ص ١١٢، وعشر سنوات من الاستقلال: المغرب بين ١٩٥٦ و١٩٦٦، ص ١١٨.

جاء رد وزارة الخارجية المغربية مخيباً لآمال الطلبة ومتعارضاً مع طموحاتهم وآمالهم في إكمال دراستهم والحصول على الشهادة التي تؤمن مستقبلهم؛ فقد تضمن رد الخارجية المغربية تكليف التازي بمفاتحة الحكومة العراقية ودعوتها إلى «طرد هؤلاء الطلبة من العراق باعتبار أنهم جاءوا لإكمال دراستهم على مسؤوليتهم الشخصية»[٩٩].

استمر عبد الهادي التازي، مع ذلك، في محاولاته إقناع وزارة الخارجية المغربية بالعدول عن قرارها بحق الطلبة المغاربة.

ففي رده، ضرب التازي على وتر العلاقات المغربية ـ والعراقية الأكثر حساسية لدى الخارجية المغربية، مؤكداً أن الحكومة العراقية سبق أن امتنعت عن طرد الطلبة من العراق باعتبارهم ضيوفاً ولا يمكن لها أن تخالف العادات والتقاليد العربية[١٠٠].

وإزاء عدم استجابة الخارجية المغربية لتوضيحات التازي، ارتأى أن ينزل بنفسه إلى الميدان حتى يلقي بثقله بصورة مباشرة من أجل حل قضية الطلبة فعاد إلى المغرب، وكان من رأيه أن تحقيق ذلك يعتمد إلى حد كبير على كسب أعلى سلطة في بلاده. وكما توقع التازي لم يرق لوزير الخارجية «أحمد بن الطيبي بن هيمة» موقفه من قضية الطلبة، فخلال مقابلتهِ له أبدى الوزير انزعاجه من عدم تنفيذه لتعليماته، ومخاطباً إياه بقوله «إن لم تستطع تنفيذ مهامك فعليك أن تترك المنصب لغيرك»[١٠١]. وإزاء ذلك لم ير التازي بداً من طلب مقابلة الملك لعرض الموضوع أمامه، وكان قد سبق ذلك قيام الوزير باطلاع الملك على موضوع الطلبة ذاكراً له أنهم، أي الطلبة، لم يستحصلوا على موافقة رسمية للدراسة في العراق.

عرض التازي خلال لقائه الملك وجهة نظره التي اتسمت بالجرأة والوضوح والثبات مبيناً أن «عملية طردهم لا تليق بسمعة المغرب» وأن طرد «طالب وهو على مقاعد الدراسة، ليس من الإنسانية بشيء». وإذا تم تنفيذ عملية الطرد فهذا يعني «أن يكون مصير هؤلاء الطلبة العمل كعتالين في ميناء الكويت»[١٠٢].

اقتنع الملك ببيانات التازي، وتوضيحاته المخلصة، فلم يوافق على منع الطلبة من مواصلة دراستهم في العراق، وأوعز بتقديم منحه مالية لهم من الخزانة الملكية وتخصيص راتب شهري لهم أيضاً.

إن نجاح التازي في حل مشكلة الطلبة المغاربة في العراق، وإنجازاته في مجال العمل الدبلوماسي والخبرة التي اكتسبها، ولَّدت ثقة أكبر في أعماقه، ما انعكس في نشاطاته اللاحقة التي تعدت إلى مجالات مست العلاقات الثقافية والفكرية بين المغرب والعراق.

---

(٩٩) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٤. انظر أيضاً: مجلة الدبلوماسي (الرباط)، العدد ١٥٦ (كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧)، ص ١٩.

(١٠٠) حصل ذلك في وقت كان سفير المغرب في العراق أحمد بالمليح.

(١٠١) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٥.

(١٠٢) مجلة الدبلوماسي (الرباط)، العدد ١٥٦ (كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧)، ص ١٩.

رابعاً: توجهات ثقافية وفكرية في نشاط التازي الدبلوماسي في بغداد

يُعدّ تعزيز الروابط الثقافية والعلمية من بين اهتمامات عبد الهادي التازي خلال عمله سفيراً في بغداد. وتشير الدلائل على ان التازي كان أهلاً للاضطلاع بهذه المهمة، إذ إن ما حققه من نجاح في ميدانها يفوق نجاحاته في العديد من مهامه الدبلوماسية، فأنه لم يأل جهداً في بذل كل ما كان بإمكانه بذله في هذا المجال؛ فمنذ أول يوم وطأت قدماه العراق لم «يتخل التازي لصالح مهمته الرسمية كسفير عن رسالته كأديب واجتماعي» كما ورد على صفحات إحدى الصحف العراقية[١٠٣]، وفي إحدى المناسبات صرح التازي قائلاً «إني عندما وصلت إلى العراق وخلال سير عملي الدبلوماسي، وجدت أن العلاقات السياسية بين البلدين فاترة فقررت التوجه نحو تنمية التعاون الثقافي والفكري بين البلدين خصوصاً وأني وجدت أجواء ثقافية وفكرية وبيئة مناسبة، تساعدني في هذه المهمة»[١٠٤].

أصبح التازي على اتصال وثيق بعدد من الأدباء والعلماء ورجال الفكر الذين كانوا لهم دور بارز في نهضة العراق الأدبية والعلمية، فكان يحرص على حضور مجالسهم وأنديتهم. ويشاركهم في مناقشة العديد من المسائل الأدبية والفكرية والسياسية والاجتماعية[١٠٥].

أنتهز التازي فرصة وجوده في بغداد فاتصل بالعلامة نجم الدين الواعظ[١٠٦] وكان التازي يجله وأظهر إعجابه به وبعلمه، فإنه التقاه مراراً في مجلسه الذي كان يعقده في منطقة الأعظمية بحضور نخبة من العلماء والأدباء فضلاً عن عامة الناس، حيث كانوا يتناولون قضايا شرعية وثقافية وسياسية عديدة. وجمعت التازي بكل من عبد المجيد القصاب[١٠٧] ومحمد بهجت الاثري[١٠٨] ومحمد رضا

---

(١٠٣) جريدة البلد (بغداد)، ١٩٦٦/٣/١٠.

(١٠٤) جريدة البلد، ١٩٦٦/١/٨.

(١٠٥) مقابلة شخصية مع محمود علي الداود بتاريخ ٢٠١١/١١/١٧. وهو دبلوماسي ومؤرخ عراقي كانت تربطه علاقة عمل مع التازي عندما كان في بغداد.

(١٠٦) ولد العلامة نجم الدين الواعظ في بغداد عام ١٨٨٠، وتولى الإمامة في عدد من مساجد بغداد وجوامعها ومنها جامع الإمام أبي حنيفة النعمان وجامع العسافي. انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي ومجلس الأوقاف الأعلى. اشتهر بمواقفه الوطنية، له العديد من المؤلفات منها كتاب الاعتصام. توفي عام ١٩٧٦. انظر: يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، مجالس بغداد (بغداد: منشورات المكتبة العالمية، ١٩٨٥)، ص ٢٥ ـ ٣٠.

(١٠٧) مجلس عبد المجيد القصاب: شغل عبد المجيد القصاب مناصب وزارية عديدة منها حقيبة وزارة المعارف عام ١٩٥٣، وحقيبة الصحة عام ١٩٥٤. تفرغ بعد ذلك لممارسة مهنة الطب في بغداد. عرف عن القصاب اهتمامه في إقامة مجلس ثقافي مساء كل يوم جمعة في داره في كرادة مريم في بغداد، يحضره أدباء ومثقفون وعلماء منهم كوركيس عواد وعبد الرزاق الهلالي وموسى الغبان ومكي الواعظ. انظر: المصدر نفسه، ص ٧٥ ـ ٨٢.

(١٠٨) مجلس محمد بهجت الأثري: عرف عن الأثري اهتمامه بدراسة آداب اللغة العربية والعلوم الدينية. تحول داره في الأعظمية إلى ملتقى العلماء والأدباء من أمثال أمجد الزهاوي إمام وخطيب جامع الإمام الأعظم. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٦ ـ ٦٠.

الشبيبي[109] صداقة كبيرة، فإنه كان يحضر مجالسهم مراراً، ويساهم في حلقاتهم الفكرية والسياسية التي تحولت إلى منبر ثقافي لا يستغنى عنه.

ومن جهة أخرى اتخذ التازي من داره ملتقى للعديد من رجال الفكر والسياسة والأدب وأساتذة الجامعات يتداول معهم في موضوعات وقضايا شتى فيدلي بآرائه ويستمع إلى أرائهم. ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن التازي عرف كيف يستعمل لقاءاته مع الشخصيات الفكرية والسياسية والأدبية، الذين كان الكثير منهم أساتذة المسؤولين الحكوميين، للتأثير في مواقف الحكومة العراقية بما يخدم أهداف السياسة المغربية في تطوير العلاقات بين العراق والمغرب[110].

وأقام التازي أوثق الصلات بأحد أبرز علماء العراق، الشيخ أمجد الزهاوي[111]؛ فقد واظب على حضور دروسه الدينية في جامع الإمام الأعظم في شهر رمضان المبارك. وعلى ما يبدو تركت محاضرات الزهاوي أثراً عميقاً في نفس التازي والى الحد الذي دفعه، خلال زيارته المغرب، إلى تقديم التماس إلى الملك الحسن الثاني في الثامن عشر من آب/أغسطس ١٩٦٤، يرجو فيه تكريم الزهاوي لجهوده في إغناء الفكر الإسلامي، ودفاعهِ عن العقيدة الإسلامية. وقد تحقق للتازي ما أراده، إذ أمر الملك بمنح الزهاوي (وسام الكفاءة الفكرية الملكي) المخصص لأفضل العلماء والمفكرين من العرب والمسلمين[112].

وفي مناسبة أخرى، ساهم التازي في حصول الشيخ نجم الدين الواعظ، على الوسام نفسه الممنوح للزهاوي، وذلك إثر واقعة تحدث عنها التازي مفادها أنه حينما عاد إلى بغداد حاملاً الوسام الذي منحه الملك للزهاوي، فوجىء أن موظفة السفارة المغربية كانت قد أبلغت، خطأً، الشيخ نجم الدين الواعظ بمنحه وسام الملك، الأمر الذي أحرج التازي ووضعه في موقف حساس للغاية. إثر ذلك، ذهب إلى دار الشيخ وأعلن أمام ضيوفه الذين أقاموا احتفالاً بالمناسبة، أن الملك الحسن الثاني أمر بمنح الشيخ الواعظ وسام الملك تقديراً واعترافاً بفضله في خدمة الإسلام. وفي الوقت نفسه، أبلغ التازي البلاط الملكي المغربي بما حصل مع موظفة السفارة المغربية، ورأيه في

---

(١٠٩) مجلس محمد رضا الشبيبي: كان يعقد في دار الشبيبي في منطقة الكرادة الشرقية ببغداد، واعتاد على استقبال الكثير من العلماء والمفكرين ومنهم العلامة مصطفى جواد والمؤرخ مير بصري ويوسف عز الدين عضو المجمع العلمي العراقي، ويعقوب مسكوني وآخرون، وكان الشبيبي حريصاً على إقامة مجلسه طيلة حياته حتى وفاته عام ١٩٦٥. انظر: المصدر نفسه، ص ٢١٧ ـ ٢٢٠.

(١١٠) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٢٤.

(١١١) ولد الشيخ أمجد الزهاوي في بغداد عام ١٨٨٣. وتلقى فيها علومه الأولية، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة الحقوق في استانبول. وفي عام ١٩٠٦، تخرج في معهد القضاء العالي. شغل عدة مناصب في المحاكم العراقية، كان أبرزها رئاسة مجلس التميز الشرعي، كما تولى التدريس في كلية الحقوق في بغداد. تولى عضوية جمعية رابطة علماء العراق وجمعية الأخوة الإسلامية. ساند القضية الفلسطينية في عدّة مؤتمرات. للتفاصيل، انظر: كاظم أحمد ناصر المشايخي، الشيخ أمجد بن محمد سعيد الزهاي: عالِم العالم الإسلامي، ط ٢ (بغداد: مطبعة أنوار دجلة، ٢٠٠٣).

(١١٢) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١١/١٢/٢٤. ومن الجدير بالذكر أن طه حسين عميد الأدب العربي هو أول من نال هذا الوسام.

كيفية معالجة الموضوع. واستجابة لرأي التازي أصدر الملك ظهيراً أخر بمنح الشيخ الواعظ وساماً ملكياً بدرجة وسام الشيخ الزهاوي[١١٣].

وفي هذه المرحلة من نشاطه الدبلوماسي والفكري، أقام التازي علاقات متميزة مع علماء الدين في النجف وكربلاء، الذين كان لهم دور بارز في نهضة المدينتين الفكرية والأدبية، حيث التقى بالشيخ هادي فياض أحد رجال الدين في ٧ أيار/مايو عام ١٩٦٤، في أحدى المناسبات الدينية التي كانت تقام هناك. كما تعززت علاقة التازي بالسيد محسن الحكيم[١١٤] المرجع الديني الأعلى في النجف خلال لقائه به في مدينة النجف في ٧ تموز/يوليو ١٩٦٤، وكان التازي من المعجبين به بوصفه يمثل زعامة دينية ووطنية[١١٥]، وفضلاً عن ذلك، حاول التازي في تلك الأيام استغلال تردده على النجف للاطلاع على المخطوطات المحفوظة في مكتبات المدينة والإفادة منها[١١٦]، والاستماع إلى المحاضرات الدينية التي كان يلقيها (أبو القاسم الخوئي)[١١٧] من علماء النجف المعروفين. وكان التازي يجلّه وأظهر إعجابه به وبنبوغه وتبحره بالعلم، فحين وجه له سؤلاً عن تفسير الأحرف الواردة في مطالع بعض سور القرآن الكريم مثل (الم، الر، كهيعص) لم يتردد الخوئي في الإجابة بقوله «إنها من الأسرار الإلهية التي خص بها الله نبيه (ﷺ) وإنها أشبه بـ «الشفرة». وأضاف قائلاً: «وأنك سفير وتعرف دور الشفرة بين المرسل والرسول» وردد الآية الكريمة ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً. إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ﴾[١١٨].

إن إجابة الخوئي كانت الإطار الذي انطلق منه التازي لتأليف كتابه الذي تناول فيه الرموز السرية والشفرات في المراسلات المغربية عبر التازي، مستعيناً بنتاجات بعض مؤرخي وأدباء العراق في هذا المجال[١١٩].

---

(١١٣) مجلة الدبلوماسي (الرباط)، العدد ٢٣ (كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧).

(١١٤) السيد محسن الحكيم: ولد في مدينة النجف عام ١٣٠٨هـ وتتلمذ فيها على يد كبار العلماء والفقهاء؛ فكان أحد علمائها البارزين، وأحد قادة ثورة العشرين ضد الإنكليز الذين احتلوا العراق عام ١٩٢٠. أصبح المرجع الديني الأعلى في مدينة النجف عام ١٩٦٠. وكانت له مواقف وطنية، له عدّة مؤلفات أبرزها: مستمسك العروة الوثقى؛ حقائق الأصول، ومنهاج الصالحين. توفي عام ١٩٧٠. انظر: أحمد الحسيني، الإمام محسن الحكيم الطباطبائي (النجف: [د. ن.]، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص ١٦ ـ ٣٣.

(١١٥) مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/١٩.

(١١٦) جريدة البلد (بغداد)، ١٩٦٥/١٠/١٠.

(١١٧) أبو القاسم الخوئي: من زعماء الحوزة العلمية الدينية في النجف، إذ مارس التدريس فيها منذ ثلاثينيات القرن العشرين، أصبح المرجع الديني الأعلى في النجف عام ١٩٧٠، كانت له مدرسة خاصة به بالفقه والأصول، تخرج على يده حوالى خمسة آلاف عالم وفقيه. انظر: أحمد الواسطي، سيرة وحياة الإمام الخوئي (بيروت: دار الهادي، ١٩٩٨)، ص ٤٩.

(١١٨) القرآن الكريم، «سورة الجن،» الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

(١١٩) عبد الهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ (الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٩٨٣)، ص ٢٨ ـ ٢٩. تبنى التازي في مؤلفه نتاجات عددٍ من علماء وأدباء ومفكري العراق منهم محمد بهجت الأثري وسعيد الديوه جي وسامي سعيد الأحمد وخديجة الحديثي (ص ٥ ـ ٣٠).

لم يقتصر اطلاع التازي على ما احتوته مكتبات النجف من مصادر ومخطوطات فحسب، بل تردد على المكتبة القادرية بما تحتويه من نفائس المخطوطات والمؤلفات المختلفة. ووصف التازي أنه واظب على الحضور والمطالعة لنتاجات لم تكن في متناول يده آنذاك.

وأقدم التازي في الوقت نفسه على السفر إلى البصرة للإفادة من خزائن مكتباتها وما تحويها من مؤلفات متنوعة[١٢٠]. ولا شك في أن الاهتمام البالغ الذي كان يوليه التازي للبحث ودراسة المخطوطات والمؤلفات، كان لها صدى مؤثر في أوساط الأدباء والمفكرين الذين كانوا في الواقع السند القوي له في دراساته وبحوثه[١٢١].

تفاعل هذا الواقع والبيئة العلمية والأدبية التي عاشها التازي في ربوع وادي الرافدين مع مؤثرات نابعة من رغبة ذاتية أسهمت في دفعه إلى حلبة التأليف. وعلى الرغم من قصر المدة التي أمضاها في عمله الدبلوماسي في بغداد، إلا أنه قام بدور بارز في مجال نشر البحوث والدراسات في الصحف والمجلات العراقية؛ فكتب مقالة صحافية تحت عنوان «في المكتبة التاريخية العربية» في جريدة العرب وبتوقيع «أبي سعد»، تناول فيها تاريخ المغرب في العصر الوسيط من خلال سيرة وأعمال «الوزير الغرناطي»[١٢٢].

عمل التازي طيلة سنوات مكوثه في العراق بنشاط منقطع النظير في التأليف والنشر في مجال التاريخ والتراث المغربي والعربي لتعريف القارئ العراقي بتاريخ وحضارة المغرب ودفعه إلى الاهتمام بدراسة كل ما يتعلق بتاريخ الأمة العربية وتراثها[١٢٣].

كان حصيلة جهود التازي في هذا المجال تأليفه كتاب **أعراس فاس**، تناول فيه الأوضاع الاجتماعية لمدينة فاس وتطورها عبر التاريخ، وسمات المجتمع الفاسي[١٢٤]. كما نشر له المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٥، دراسة عن كتاب لـ ابن صاحب الصلاة بعنوان **دراسة تحليلية لكتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة**، وكان التازي قد حقق المخطوط في المغرب قبل ذلك[١٢٥].

---

(١٢٠) البلد، ١٩٦٥/١٠/١٢، مجلة المكتبة (بغداد)، العدد ٥٠ (آذار/مارس ١٩٦٦)، ص ٦٦.

(١٢١) استعان التازي في البحث عن المصادر والمؤلفات ومنجزات العلم والفكر الاجتماعي والأدبي العربي الإسلامي، بعدد من أعلام العراق منهم يعقوب مسكوني وسالم الألوسي والعلامة مصطفى جواد. انظر: العرب (بغداد)، العدد ٥٢٢ (آذار/مارس ١٩٦٦)، ومقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٤.

(١٢٢) كان عبد الهادي التازي، قد اعتاد أن يوقع مقالاته الأدبية والسياسية في عهد الحماية الفرنسية باسم «أبي سعد» خشية من الفرنسيين، واشتهر هذا الاسم في المغرب بالأديب «أبي سعد»، ما دفعه إلى استعماله في توقيع مقالاته في الصحف العراقية ليعرف به كأديب وليس سفيراً. انظر: مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٤.

(١٢٣) العرب، العدد ٣٢٥ (تموز/يوليو ١٩٦٤)، ص ٣.

(١٢٤) عبد الهادي التازي، **أعراس فاس**، ط ٢ (الرباط: مطبعة فضالة، [د. ت.]).

(١٢٥) عبد الهادي التازي، «دراسة حول كتاب «تاريخ المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة،» **مجلة المجمع العلمي العراقي** (بغداد)، السنة ١١ (١٩٦٤)، ص ٣ ـ ٥.

وفي عام ١٩٦٦، نشر التازي في مجلة المجمع العلمي العراقي، ترجمة كتاب حمل عنواناً: طرائف التراث العربي الإسلامي: ساعات من القرن الرابع عشر في فاس، للكاتب الإنكليزي ديريك برايس (Derek Bryce) والباحث في الفيزياء وتاريخ العلوم[126].

وعلى الرغم من انهماكه في عمله الدبلوماسي، ودراساته التاريخية والفكرية، وحضوره المتواصل المجالس الدينية والثقافية، حرص التازي على تعلم اللغة الإنكليزية وقد سنحت له الفرصة حين انتسب إلى المعهد البريطاني في بغداد ونال شهادة المعهد عام ١٩٦٦[127].

تكللت جهود التازي الثقافية بانتخابه عضواً موآزراً في المجمع العلمي العراقي في ٣ آذار/ مارس ١٩٦٦[128].

جعلت كل تلك الجهود، والمواقف الدبلوماسية، والفاعليات الثقافية من عبد الهادي التازي شخصية معروفة ومرغوبة في الأوساط الحكومية، ما ساعده في نجاح رسالته الدبلوماسية؛ فلم تذهب جهوده هباء، إذ شهدت العلاقات المغربية ـ العراقية، ولا سيما في أواخر عهد سفارته في العراق تطوراً ملموساً نحو الأحسن، وظهرت بوادر تعاون من نوع جديد انعكس في وصول الوفود المغربية الرسمية. ففي ٣ شباط/فبراير ١٩٦٦، استقبل عبد السلام محمد عارف الأمير الحسن بن إدريس وزير موريتانيا والصحراء موفداً من الملك الحسن الثاني الذي كلف الوزير إبلاغ الرئيس العراقي رغبة المغرب في مساندة العراق له في قضية الصحراء وموريتانيا، والعمل على مواصلة الاتصالات بين البلدين بهدف اتخاذ موقف موحد من القضية الفلسطينية[129].

وفي إطار جهوده في تطوير العلاقات الثقافية بين المغرب والعراق، تحول دار التازي إلى ملتقى الوفود التربوية المغربية بما أملته عليهم يقظة شعورهم القومي، فأقدموا على زيارة العراق، لتعريف المثقف المغربي بمنجزات الفكر الأدبي والاجتماعي للكتاب والمفكرين العراقيين.

ويمكن أن تُعد زيارة محمد الفاسي رئيس جامعة القرويين على رأس وفد ثقافي في ٢٦ شباط/ فبراير ١٩٦٦، إلى بغداد مؤشراً واضحاً يدلّ على تطور العلاقات الثقافية بين المغرب والعراق؛ فقد وُضع للوفد منهاج شمل إلقاء محاضرات في جامعة بغداد. وبهذا الخصوص أشارت الصحف الصادرة في بغداد آنذاك، إلى قيام الفاسي بإلقاء المحاضرات في أروقة الجامعة تناول فيها جوانب من تاريخ علاقات المغرب بأقطار المشرق العربي، والاتجاهات الفكرية والسياسية التي رافقت

---

(١٢٦) ديريك برايس، «طرائف التراث العربي الإسلامي: ساعات من القرن الرابع عشر في فاس،» عرّبه وعلّق عليه عبد الهادي التازي، مجلة المجمع العلمي العراقي، السنة ١٣ (١٩٦٦).

(١٢٧) جريدة المنار (بغداد)، ١٩٦٥/٨/٣.

(١٢٨) أسس المجمع العلمي العراقي عام ١٩٤٨. وقد ورد في وثائق المجمع أن محمد رضا الشبيبي هو أول من شغل منصب رئيس المجمع. وكانت الغاية من تأسيسه إغناء العلوم الإنسانية والأدبية واللغوية بالبحوث والدراسات الرصينة. انظر: الجبوري، المجمع العلمي العراقي: نشأته، أعضاءه، أعماله، ص ٤٤ ـ ٦٠.

(١٢٩) المنار، ١٩٦٦/٢/٤.

عهد الاستقلال[١٣٠]. وكل ذلك يدخل، من دون شك، في إطار تحرك دبلوماسي واضح المعالم، نجم أساساً عن تحرك عبد الهادي التازي الذي مثّل بلاده أصدق تمثيل.

في هذه المدة، بدأت العلاقات المغربية ـ العراقية تتوثق أكثر، وذلك بفعل الجهد الذي بذله التازي؛ ففي ٢ آذار/مارس ١٩٦٦، زار المغرب وفد عراقي برئاسة وزير الشؤون الخارجية عدنان الباجه جي، وضم في عضويته عبد الرحمن محمد عارف (شقيق عبد السلام محمد عارف) وكان يشغل منصب رئيس أركان الجيش، وسفير العراق في باريس حكمت سامي لتقديم التهنئة بمناسبة الذكرى العاشرة للاستقلال، وللتداول في القضايا التي تهم البلدين وفي مقدمها القضية الفلسطينية، وإبلاغ الحكومة المغربية بوقوف العراق إلى جانبها في مطالبتها بعائدية المناطق المتنازع عليها مع موريتانيا فضلاً عن العمل على تمتين العلاقات الثنائية بين البلدين[١٣١].

لم تطل مهمة عبد الهادي التازي سفيراً للمغرب في العراق؛ ففي ٣ آذار/مارس عام ١٩٦٦، أصدرت وزارة الخارجية المغربية أمراً يقضي بنقله إلى وزارة التربية والتعليم[١٣٢].

أشارت الصحف العراقية إلى خبر مغادرة التازي بغداد في ١٦ آذار/مارس ١٩٦٦. بعد أن ودع بحفاوة من العلماء والأدباء والسياسيين الذين توافدوا من مختلف المدن العراقية[١٣٣]؛ ففي مأدبة الوداع ألقى الوزير العراقي محمود شيت كلمة ورد فيها قوله:

«إن العراقيين إنما يودعون أديباً وعالماً أكثر مما يودعون دبلوماسياً»[١٣٤].

وفي المناسبة نفسها وجه وزير الخارجية العراقي عدنان الباجه جي كلمة رقيقة جاء فيها:

«إننا نحتفل بهذه المناسبة لنودع صديقاً عزيزاً علينا هو الأستاذ التازي سفير المملكة المغربية والسيدة عقيلته ثريا بوطالب... وقبل أيام احتفلت المملكة المغربية بالعيد الوطني وقد انتخبت على رأس الوفد العراقي في احتفالات الاستقلال، وقد لمست مدى قيام التقدم في المغرب وكذلك العلاقات الودية التي تربط بلدنا أكثر من ذي قبل بفضل الرجال المخلصين أمثال الأستاذ التازي، رجل الفكر والسياسة والدبلوماسية والأدب»[١٣٥].

وفي إجابته عن كلمات المودعين، ألقى التازي كلمة عبر فيها عن مشاعره تجاههم وتجاه العراقيين بسبب ما وجدهُ فيهم من خالص المحبة والتقدير. ومما قاله:

«قبل أن يؤمن العلم بنظرية النسبية، قرأنا لعدة من أدبائنا حديثهم عن الزمن، يطول عند بعض، ولكنه يقصر عند آخرين. أريد أن أقول إن السنوات التي قضيتها ببغداد سفيراً كانت لي أياماً قصيرة،

---

(١٣٠) المنار، العدد ٣٣١٧.

(١٣١) المنار، ١٩٦٦/٣/٢.

(١٣٢) البلد، العدد ٥٤١ (آذار/مارس ١٩٦٦).

(١٣٣) المصدر نفسه.

(١٣٤) المنار، ١٩٦٦/٣/١٧.

(١٣٥) العرب، العدد ٥١٩ (١٠ آذار/مارس ١٩٦٦).

قصيرة جداً، استيقظت على أثرها لأعيش لحظات قاسية عليَّ، أودع فيها بلاداً أحببتها، وتعودت على وجوه أهلها. لقد جمعني بهذا العراق أكثر من رابطة، وأكثر من آصرة جمعتني به على الصعيد السياسي علاقات لبلادنا، قويت أصولها ونمت وزكت وتعالت فروعها. جمعني به على المستوى الفكري، أنني أحييت ذكرى سفارة الإمام أبي بكر بن العربي ببغداد قبل تسعمائة سنة. أنني أصبحت أنتسب للأسرة العلمية بأرض الرافدين»[١٣٦].

وفي كل الأحوال كان المغرب بأمس الحاجة إلى إنسان ودبلوماسي مثل التازي، فإن جميع الذين عرفوه أو تابعوا أعماله، وتاريخ حياته عن كثب، أو عملوا معه، أو التقوا به بوصفهم ساسة أو صحافيين أو أدباء ومفكرين، أجمعوا على أنه كان يتسم بصفات العالم والسياسي والدبلوماسي الناجح، الصفات التي جعلت التازي المرشح الأفضل في نظر الحكومة المغربية لتمثيلها في العراق بحيث يستطيع أن يرعى المصالح المغربية على أفضل وجه ممكن.

وعلى الرغم من أن وزارة الخارجية المغربية أنهت مهمة التازي في العراق. إلا أن خبرته الدبلوماسية، وصلاته الحسنة بالساسة العراقيين، ظلت عالقة في ذهن المقامات العليا في المغرب. وعلى هذا الأساس لم يكن قد مرَّ شهر واحد على خروج التازي من العراق، حين كلفه الملك الحسن الثاني لينوب عنه في تشييع جنازة الرئيس العراقي عبد السلام محمد عارف في نيسان/أبريل ١٩٦٦[١٣٧].

تجلى تقدير العراقيين للتازي بصورة واضحة أثناء حضوره جنازة عارف، فقد استقبل بحفاوة بالغة من كبار المسؤولين والشخصيات الدينية والأدبية، الأمر الذي تحول إلى عامل مهم في عودته مجدداً سفيراً للمغرب في العراق؛ فلدى استقبال الملك المغربي له بعد انتهاء مهمته، علم منه أن أمر نقله من وزارة الخارجية، تم بناءً على رغبة الوزير الذي يبدو أنه أصدر أمره بنقل التازي بسبب عدم تجاوب الأخير مع توجيهاته[١٣٨].

إثر ذلك تقرر في ٥ حزيران/يونيو ١٩٦٧، أن يقوم التازي بمهام سفير المغرب في ليبيا. وخلال عمله في ليبيا بذل التازي جهده في إقامة العلاقات بين البلدين على أساس التفاهم التام، المشبع بروح المودة القائمة بين المملكتين[١٣٩].

---

(١٣٦) المصدر نفسه.

(١٣٧) أوراق عبد الهادي التازي (مخطوط). ويذكر أن عبد السلام عارف قد لقي حتفه في مساء يوم ١٣ نيسان/أبريل ١٩٦٦، إثر سقوط المروحية التي كان يستقلها هو وبعض وزرائه ومرافقيه خلال زيارة تفقدية لألوية العراق الجنوبية.

(١٣٨) لم تكن علاقة التازي بوزير الخارجية أحمد الطيب بنهيمة على ما يرام، فقد كان الوزير مستاء جداً من قيام التازي بمراجعة الملك بصورة مباشرة من دون إعلام الوزير في بعض القضايا التي تهم مهمته الدبلوماسية. ولا يستبعد أن موقف حاشية الملك من التازي وتبرمها منه ومن أسلوب تعامله بروحية الأستاذ الجامعي والأديب، وإعجاب الملك به، انعكس بدوره على علاقتهم به فكانوا يتحينون الفرص للإيقاع به. مقابلة شخصية مع عبد الهادي التازي بتاريخ ٢٠١٢/١/٢٦.

(١٣٩) حكم الملك محمد بن إدريس السنوسي ليبيا منذ استقلالها عام ١٩٥١، حتى قيام الانقلاب العسكري بقيادة العقيد معمر القذافي عام ١٩٦٩. للمزيد من التفاصيل، انظر: الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، ص ١٢٣ ـ ١٣٠.

وبعد مرور سنة من مهمته الدبلوماسية في ليبيا عهد للتازي منصب السفير في العراق مجدداً عام ١٩٦٨[١٤٠].

وفي كل الأحوال، إن ما قدمه عبد الهادي التازي في مجال الحركة الوطنية والفكر والدبلوماسية يدل على فرادته؛ فقد كان قائداً من قادة النهضة المغربية، وزعيماً من زعماء الاستقلال، ووطنياً مخلصاً. ولو لم يكن كذلك، لما ناله من إعجاب كبير، وتقدير بالغ من لدن أدباء ومفكرين وكتاب مغاربة وعرب وعراقيين عرفوا له مكانته، وقدروا له نبوغه؛ فقال فيه الأستاذ فيصل بن عبد الرحمن بن معمر مستشار الملك السعودي «الكلمات تكاد تهرب مني وأنا أتحدث عن رجل بحجم هذا العلامة، الذي كنت أحس أني أعرفه جيداً ولكنني في كل المرات كنت أتعلم منه جديداً، وأعتبره جسراً من جسور التواصل بين الأصالة والمعاصرة، ورابطاً مهماً بين الماضي بمجده، والمستقبل المشرق، فهو مفكر موسوعي ودبلوماسي بالشكل الذي لا استطيع أن أفيه حقه».

وكتب الدكتور محمود حافظ، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية «ولست بحاجة إلى القول إن الدكتور عبد الهادي التازي قمة شامخة وعضو بارز في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع الخالدين، ومجاميع عربية أخرى وأيضاً في اتحاد المجاميع اللغوية العالمية والعربية. والدكتور التازي مؤلف ومترجم، وأعماله تشهد تنوع ثقافته واتساع مجالاتها وعمق معالجته لها. كما إنه مجاهد وطني أسهم منذ شبابه في الحركة الوطنية».

وفي رأي الدكتور محسن جمال الدين أنه «لم يعرف العراق سفيراً استطاع أن يتغلغل في قلوب المواطنين العراقيين، كما عرف شخصية الأستاذ عبد الهادي التازي، شخصية أدبية، مثقفة، تحمل يراع الأديب المؤرخ في اليد اليمنى، وحقيبة الدبلوماسي الرصين الناجح في اليد اليسرى».

أما المناضل والأديب المغربي عبد الكريم غلاب، فقد أثنى على دور التازي في القرويين بقوله: «قامت القرويين بدور تاريخي ولكنه تاريخ مهجور ومقبور، وربما كان في الثنايا والزوايا، ولكن لعبد الهادي التازي المخلص لجامعته التي تلقى دروسه ومعارفه الأولية فيها، دوراً في جعلها حية بين يدي طلبتها وعلمائها من خلال إبرازها في وجود المغرب وتاريخه العلمي والثقافي بل والسياسي».

ووشح الملك الحسن الثاني التازي بوسام الكفاءة الفكرية عام ١٩٧٦، وهو أول وسام يمنح لمغربي. كما منحه الملك محمد السادس وسام العرش برتبة ضابط من الدرجة الأولى وهذا الوسام يمنح للمغاربة حصراً ممن يمتازون بتاريخ وطني حافل[١٤١].

---

(١٤٠) تولى منصب سفير المغرب في العراق عبد الرحمن الفاسي إثر صدور أمر وزير الخارجية القاضي بنقل التازي إلى وزارة التربية والتعليم.

(١٤١) كان لنجاح التازي في مهمته الدبلوماسية الثانية في بغداد والتي تخللها نشاط ثقافي وأدبي مميز، أن أوكلت لعبد الهادي التازي مهام دبلوماسية عربية أخرى خلال هذه السفارة.

كما كلفه الملك الحسن الثاني بمهمة سفير غير مقيم في دولة الإمارات العربية المتحدة، حديثة التأسيس عام ١٩٧١، ومهام دبلوماسية في المملكة الأردنية. وخلال هذه السفارة تمكن التازي من الحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية في مصر عام ١٩٧١، عن أطروحته عن القرويين.

وبعد انتهاء مهمة التازي في بغداد عام ١٩٧٢، عين رئيساً للمعهد الجامعي للبحث العلمي في المغرب عام ١٩٧٤. وبعد تدهور العلاقات المغربية ـ الإيرانية بسبب استقبال المغرب للشاه الإيراني المخلوع بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران. كلفه الملك مرة أخرى بترميم هذه العلاقات من خلال تكليفه بالسفارة في إيران، وقد لقي هذا التكليف القبول والترحيب من قبل الحكومة الإيرانية لما يتمتع به التازي من سمعة طيبة في المشرق الإسلامي.

وبعد هذه المهمة التي استمرت ستة أشهر، عاد التازي إلى المغرب للعمل على إنجاز موسوعته في التاريخ الدبلوماسي المغربي منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر والتي أنجزها عام١٩٨٤، بـ ١٢ مجلداً. وأصبح عضواً في مؤتمر الأسماء الجغرافية في نيويورك التابع للأمم المتحدة وممثلاً للمغرب عام ١٩٨٦، وكان لهُ نشاط مهم في المؤتمر, من خلال تصديه لممثل إسرائيل فيه عندما كان يحاول تغيير الأسماء الجغرافية ـ التاريخية للمدن العربية في فلسطين، ما دفع أعضاء الوفود العربية لاختياره ممثلاً عنهم في المؤتمر، ثم اختياره رئيساً للمؤتمر عام ١٩٩٢.

واستمر التازي في نشاطه العلمي والأدبي لينجز العشرات من المؤلفات والبحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التاريخية والتي كان أبرزها تحقيقه مخطوط رحلة ابن بطوطة في خمسة أجزاء. واختير عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٨٦، وعضواً في المجمع العلمي في مصر ١٩٩٦، ولهُ أكثر من (١٣٠٠) رحلة جوية في البحث التاريخي والأدبي، وما زال يواصل نشاطه العلمي من خلال عضويته في الأكاديمية الملكية المغربية. وقد أوصى ان تهدى مكتبته التي تضم أكثر من (٧٠٠٠) كتاب ومخطوطة إلى مكتبة القرويين وفاءاً لها، كما أوصى أن يدفن بعد موته في مدينته فاس بجوار ضريح أول دبلوماسي مغربي إلى المشرق الإسلامي (ابن العربي) الذي اشتهر بعلومه ومعرفته.

خاتمة

يؤكد ما ورد بين دفتي الكتاب، أن عدة عوامل ساهمت في بناء وبلورة شخصية عبد الهادي التازي وما أداهُ من نشاط فكري وسياسي؛ فكان لنسبه العريق دافع قوي في إكمال تعليمه والتفوق فيه. ساعده في ذلك بيئته الغنية بالمعرفة والثقافة التي امتازت بها مدينته فاس وقلبها النابض القرويين التي حافظت على عروبة وإسلام المغرب، وكانت سبباً في توجهات التازي الفكرية والإسلامية، وانجذابه إلى الخط العروبي الإسلامي في المغرب. وهو ما دفعه إلى الانفتاح وتقبل ما هو آتٍ من المشرق العربي لمفكرين وأدباء. فتعرف إلى نتاجاتهم.

ومن جانب آخر، واكبت نشأة التازي وتنامي وعيه السياسي والفكري مع المواجهة الوطنية للوجود الفرنسي في المغرب. وقد بقي هذا الوعي متصلاً بالإسلام طيلة مسيرة حياته، ومن ثم ارتبط فكره الذي دعم الحركة الوطنية داخل الإطار الإسلامي.

ودخل هذا النشاط مرحلة جديدة في غضون المدة التي سبقت نيل المغرب الاستقلال، تمثلت في الاشتراك بحماسة في حركات الاحتجاج والتظاهرات، وكتابة المقالات المثيرة للشعور الوطني، ومكافحة الاستعمار، فلم يلبث أن تبوأ مكاناً بارزاً في الحركة الوطنية المغربية، وظهر أثر ذلك في موقفه تجاه مختلف القضايا المثارة آنذاك، وكان تأثيره واضحاً في أفكار الكثير من الذين استجابوا بصورة أو أخرى لطروحاته الفكرية والسياسية؛ فقد آمن أن خلاص الشعوب رهنٌ بدرجة تعلمها ومستوى تقدمها وتضحياتها.

وكان على قناعة تامة أن الاستعمار هو رافد من روافد الإمبريالية العالمية التي تهدف إلى السيطرة على الشعوب لمسخ ذاكرتها واستغلال خيراتها. لذا كان من الطبيعي أن يساهم في العمل الوطني غير آبه بآلام الاعتقال والحرمان، فتوجهت أفكاره وترسخت قناعته مضيفاً إلى الفكر المشاركة والى التساؤل الفعل.

عاش عبد الهادي التازي نشوة الاستقلال في تحقيق هدف طالما كان حلماً راوده على مدى عشرات الأعوام. لذا كان أمراً طبيعياً أن يساهم في الخطوات الأولى لبناء المغرب المستقل.

إذ اختير بسرعة لأداء مهام وطنية كثيرة، منها إدارته لملف الثقافة والعلاقات الثقافية الخارجية للمغرب، وكان نجاحه في هذه المهمة سبباً في اختياره سفيراً لبلاده في أحد أهم العواصم العربية، بغداد؛ فتمكن التازي بما كان يملكه من حنكة وثقافة وأرث معرفي من تقوية وديمومة علاقات المغرب بالعراق، متجاوزاً أي خلاف أيديولوجي أو سياسي بينهما، متخذاً من الجانب الثقافي والأدبي رافداً مهماً في عمله الدبلوماسي، مستفيداً مما وجده في العراق من تراث ونخبة أدبية وفكرية، ما أتاح له في الوقت نفسه التعرف إلى اتجاهات الحكومة العراقية، وسياستها إزاء القضايا العربية، وإمكان تبنيها موقفاً إيجابياً من قضايا المغرب المثارة آنذاك ، فكان لنجاحه في مهامه هذه، السبب في اختياره مرّةً ثانيةً للعمل الدبلوماسي في العراق عام ١٩٦٨.

المراجع

١ ـ العربية

مخطوطات

أوراق عبد الهادي التازي (مخطوط).

التازي، عبد الهادي. **أخلاق الإنجاب في منتخبات الآداب** (مخطوط).

مذكرات عبد الهادي التازي (مخطوط).

الوثائق غير المنشورة

ـ الملفات المحفوظة في دار الكتب والوثائق ـ ملفات البلاط الملكي

الملفة المرقمة ٣١١/٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ١٦، ص٤٥، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي حول القضية المراكشية المرقم ٢١٤، بتاريخ ١٩٥٢/٥/٣.

الملفة المرقمة ٣١١/٤/٤١٨، الوثيقة المرقمة ٥١، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي حول الحالة في مراكش، المرقم ٤٤١٢، بتاريخ ١٩٥٣/٨/٢٦.

الملفة المرقمة ٣١١/٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ٥٢، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي حول القضية المراكشية، المرقم ٤٨٠٦، بتاريخ ١٩٥٣/٨/٢٦.

الملفة المرقمة ٣١١/٤٨٢، الوثيقة المرقمة ٤٢، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، المرقم ع/١١٢٧٣، بتاريخ ٧ نيسان/أبريل ١٩٥٦.

الملفة المرقمة ٣١١/٥٧٢٧، الوثيقة المرقمة ١، قرار مجلس الوزراء، بتاريخ ١٠ نيسان/أبريل ١٩٥٦.

الملفة المرقمة ٣١١/٥٠٥٨، الوثيقة المرقمة ٢٢، ص٢٥، تقرير السفارة العراقية في باريس ١، رقم ٣٢٦، بتاريخ ٧ آب/أغسطس ١٩٥٦.

الملفة المرقمة ٣١١/٢٦٩٩، الوثيقة المرقمة ٥٣، ص٩٣، تقرير السفارة العراقية في الرباط، بتاريخ ٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٦.

الملفة المرقمة ٤١١/٢٩٠، الوثيقة المرقمة ٤٣، ص ١٢، تقرير السفارة العراقية في الرباط، المرقم ٤٨٥، بتاريخ ١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٥٧.

الملفة المرقمة ٣١١/٢٦٩٧، الوثيقة المرقمة ٣٩، ص٢١، تقرير السفارة العراقية في الرباط، المرقم ٦٠٣، بتاريخ ١٩٥٧/٧/١.

- ملفات مجلس السيادة

الملفة المرقمة ٤١١/٣٧٧، الوثيقة المرقمة ٢٣، تقرير السفارة العراقية في الرباط، المرقم ١٢٤/١/٩، بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٨.

الملفة المرقمة ٤١١/٣٧٧، الوثيقة المرقمة ٢٥، تقرير السفارة العراقية في الرباط، المرقم ١٢٨/١/٩، بتاريخ ٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٨.

الملفة المرقمة ٤١١/٣٧٧، الوثيقة المرقمة ١٩، تقرير السفارة العراقية في بروكسل، المرقم ٢٦/١/٢، بتاريخ ٢٦ آذار/مارس ١٩٥٩.

الملفة المرقمة ٣١١/٤/١١٨، الوثيقة المرقمة ٦٦، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، بتاريخ ١٦حزيران/يونيو ١٩٥٦.

الملفة المرقمة ٣١١/٤٨١٨، الوثيقة المرقمة ٢، كتاب وزارة الخارجية إلى الديوان الملكي، المرقم ٣٠٥١، بتاريخ ٥ تموز/يونيو ١٩٥٦.

- ملفات وزارة الخارجية المحفوظة في الوزارة

تقرير سفارة الجمهورية العراقية في الرباط، حول الأوضاع السياسية في المغرب، المرقم ١٣٠/٤/٢، بتاريخ ١٩٦٨/١١/٢٥.

معهد الخدمة الخارجية، عدنان جميل العبيدي، الدبلوماسية المغربية منذ نشأتها حتى الآن، بغداد، ١٩٨٧.

«ملفات المكتبة الجامعية الأردنية»، كلمة محمد مكي الناصري مندوب مراكش في المؤتمر الإسلامي العام في القدس عام ١٩٣١، الوثيقة المرقمة ٤٦٩٦٤.

كتب

ابن زيدان، عبد الرحمن. الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة. الرباط: المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك. المن بالإمامة. تحقيق عبد الهادي التازي. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٢.

أبو عزام، محمد السلوي. أسرار وحقائق عن علال الفاسي. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

أحمد، نازلي معوض. التعريب والقومية العربية في المغرب العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦. (سلسلة الثقافة القومية؛ ٦)

أشفورد، دوغلاس آي. التطورات السياسية في المملكة المغربية. ترجمه عن الإنكليزية عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة؛ راجعه عبد الهادي بوطالب. بيروت: مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٣.

أكنوش، عبد اللطيف. تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٨٧.

أمين، سمير. المغرب العربي الحديث. ترجمة كميل داغر. ط ٣. بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١.

انبعاث أمة (محمد الخامس ملك المغرب). الرباط: مطبوعات القصر الملكي، ١٩٦٦.
ج ٥: ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠.

أوفيد، جورج. اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، ١٩٠٥ ـ ١٩٥٥. ترجمة محمد الشرقي ومحمد بنيس؛ مراجعة عبد اللطيف المنوني. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ١٩٨٨. ٢ ج.

بالمر، آلان. موسوعة التاريخ الحديث، ١٧٨٩ ـ ١٩٤٥. ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين؛ مراجعة محمد مظفر الأدهمي. بغداد: دار المأمون للنشر، ١٩٩٢. ٢ ج.

برادة، حسين. مسيرة التحرير. ديباجة عبد الهادي التازي؛ توطئة عبد الكريم الخطيب. الرباط: منشورات أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠.

بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦.

البكاء، محمد عبد المطلب. مصطفى جواد (حياته ومنزلته العلمية). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩.

البكاري، عبد السلام. دليل تاريخ الأحداث وتعاقب الحكومات بالمغرب، ١٩٥٥ ـ ٢٠٠١: مع نصوص الدساتير والظهائر وتأليف الحكومات وتعيين أو إعفاء الوزراء. مراجعة عمر بلحسن؛ قدّم له محمد المنصور. سلا: مطبعة بني إزناسن، ٢٠٠٢.

بلقزيز، عبد الإله، العربي مفضال وأمينة البقالي. الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، ١٩٤٧ ـ ١٩٨٦: محاولة في التأريخ. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢.

بلكبير، محمد. المنهاج التربوي بالمدرسة المغربية زمن الحماية: الأسس والوظائف، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. الرباط: دار النشر المعرفة، ٢٠٠٣.

بنحدو، المهدي. الثلاثة المعذبون: شذرات من ذاكرة فاس الوطنية. فاس: [د. ن.]، ٢٠٠٢.

بنسعيد العلوي، سعيد. الوطنية والتحديثية في المغرب: مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث في المغرب المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧.

بنعبد الله، عبد العزيز. تاريخ المغرب. الدار البيضاء: مكتبة السلام الجديدة، [د. ت.]. ٣ ج.

ج ١: العصر القديم والعصر الوسيط.

ج ٢: العصر الحديث والفترة المعاصرة.

ج ٣: المعجم التاريخي: أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة ترتيباً أبجدياً.

ـــــــــــ. فاس، منبع الإشعاع في القارة الإفريقية. الرباط: المطبعة الملكية، ٢٠٠١. ٢ ج.

ـــــــــــ. معلمة الغرب. الرباط: البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.

بنعبد الله، العربي بن عبد الكريم. ذاكرة مواطن. الرباط: [د. ن.]، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

بوطالب، عبد الهادي. ذكريات وشهادات ووجوه. جدة: الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ١٩٩٠. ٢ ج.

ـــــــــــ. نصف قرن في السياسة. حاوره حاتم البطيوي؛ تقديم محمد سبيلا. الدار البيضاء: منشورات الزمن، ٢٠٠١. (شرفات الزمن؛ ٦)

بوعزيز، يحيى. الأمير عبد القادر: رائد الكفاح الجزائري. الجزائر: عالم المعرفة، ٢٠٠٩.

بوعسرية، بوشتى. أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني شبتنبر ١٩٣٧. الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٠.

التازي، عبد الهادي. آداب لامية العرب. الرباط: المطبعة الوطنية، ١٩٥٣.

ـــــــــ. أعراس فاس. ط ٢. الرباط: مطبعة فضالة، [د. ت.].

ـــــــــ. التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم. الرباط: مطبعة فضالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

مج ١٠: عهد العلويين.

ـــــــــ. تفسير سورة النور. الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

ـــــــــ. الحماية الفرنسية: بدايتها ـ نهايتها حسب إفادات معاصرة. ط ٢. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

ـــــــــ. رحلتي الأولى إلى فرنسا ١٩٥٢. مدخل عبد الرحيم مؤذن؛ تقديم سليمان القرشي. القنيطرة: دار الحرف، ٢٠٠٨.

ـــــــــ. رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن وابنه السلطان مولاي عبد العزيز تتعلق بأمين الأمناء محمد (مُخا) التازي وشقيقه عبد السلام (١٢٢٩ ـ ١٣٢٢هـ/١٨٧٥ ـ ١٩٠٤م). الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٩٧٩.

ـــــــــ. الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ. الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٩٨٣.

ـــــــــ. طه حسين في المغرب. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠.

ـــــــــ. القرويين المسجد والجامعة في فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢. ٣ ج.

التازي، محمد. مذكرات سفير. الكويت: مطابع الأنباء، ٢٠٠٠. ٢ ج.

تشنر، فرانتس، فريتس شتيبات وسلوى الخماش. تاريخ العالم العربي. بيروت: دار صادر، ١٩٧٥.

التوزاني، أمينة هراج. الأمناء على عهد السلطان مولاي الحسن: مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب. الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٩.

تيلر، أي جي بي. الحرب العالمية الثانية: تاريخ مصور. ترجمة سمير عبد الرحيم. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

الجبوري، عبد الله. المجمع العلمي العراقي: نشأته، أعضاءه، أعماله. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٥.

جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف (٢٤٥ ـ ١٣٧٩هـ/٨٥٩ ـ ١٩٦٠م). الرباط: وزارة التربية الوطنية، ١٩٧٢. (الكتاب الذهبي)

جماعة من الأساتذة. في الفكر والأدب: تراجم ـ دراسات ـ بحوث. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

الجمالي، محمد فاضل. صفحات من تاريخنا المعاصر. الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.

الجندي، أنور. الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا. القاهرة: الدار القومية للطباعة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

جيمس، ديمس جون. حركة المدارس الحرة في المغرب، ١٩١٩ ـ ١٩٧٠. ترجمة السعيد معتصم. مراكش: منشورات تانسيفت، ١٩٩١.

حديد، محمد. مذكراتي: الصراع من أجل الديمقراطية في العراق. تحرير نجدة فتحي صفوة. بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦.

الحسن الثاني (ملك المغرب). التحدي. ط ٢. الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٩٣.

الحسيني، أحمد. الإمام محسن الحكيم الطباطبائي. النجف: [د. ن.]، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

حقي، إحسان. المغرب العربي. بيروت: دار اليقظة العربية، [د. ت.].

خطاب، محمود شيت. قادة فتح المغرب العربي. بغداد؛ بيروت: دار الفكر الإسلامي، ١٩٧٣. ٢ مج.

الخوند، مسعود. الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء التاسع: المناطق، الدول، البلدان، المدن، معالم، وثائق، موضوعات، زعماء. القاهرة: [د. ن.]، ٢٠٠٣.

داهش، محمد علي. المغرب العربي المعاصر. الموصل: دار ابن الأثير، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات من مارس ١٩٥٦ إلى مارس ١٩٦٦. الرباط: منشورات وزارة الشؤون الخارجية المغربية، ١٩٦٦.

دفتر المطالب (كراس أصدرته الكتلة العاملة الوطنية في المغرب بتاريخ ١٩٣٤). الرباط: [د. ن.]، ١٩٧٩.

دليل الأطاريح والرسائل. الرباط: منشورات جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٠.

دليل جامعة القرويين. الدار البيضاء: مديرية التعليم الأصيل بوزارة التعليم الوطنية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

رزوق، محمد. دراسات في تاريخ المغرب. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩١.

رضوان، محمد. منازعات الحدود في العالم العربي: مقاربة سوسيوتاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية. بيروت: أفريقيا الشرق، ١٩٩٨.

الزبيدي، ليث عبد الحسين. ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق. بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩.

الزهيري، قاسم. محمد الخامس: الملك البطل ـ قصة جهاد. الرباط: دار النشر التقنية للشمال الأفريقي، ١٩٨٤.

الزين، عبد الفتاح. دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي. الرباط: مطبعة إليت، ١٩٩٢.

سالم، عبد العزيز. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. ط ٢. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢.

السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم. مجالس بغداد. بغداد: منشورات المكتبة العالمية، ١٩٨٥.

سيدي عبد الهادي التازي ابن فاس البار. تحت إشراف عبد الحق عزوزي وأسماء علوي. فاس: منشورات المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الشاوي، توفيق. مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي، ١٩٤٥ ـ ١٩٩٥. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨.

شحاته، إبراهيم حسن. نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم «الحماية»: تنظير وتطبيق. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٢.

الشرايبي، عبد الهادي. ثمن الحرية. الرباط: دار المغرب، ١٩٧٨. (التاريخ؛ ٩)

شرف الدين، محمد رضا. ١٤ يوماً في المغرب. بغداد: مطابع النجاح، ١٩٥٨.

الشرقاوي، محمود. المغرب الأقصى: مراكش. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، [د. ت.].

شقير، محمد. الفكر السياسي المغربي المعاصر. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٥.

شناوة، علي عبد. محمد رضا الشبيبي ودوره السياسي والفكري حتى عام ١٩٦٥. بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

الشيخ، رأفت. تاريخ العرب المعاصر. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٦.

صبحي، حسن. تاريخ شمال أفريقيا الحديث والمعاصر. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧٣.

ضريف، محمد. الأحزاب السياسية المغربية: من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، ١٩٣٤ ـ ١٩٩٩. الدار البيضاء: أفريقا الشرق، ١٩٨٨.

ـــــــ. النسق السياسي المغربي المعاصر. الرباط: مكتبة الأمة، ١٩٩٣.

العارف، إسماعيل. أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق. لندن: دار لانا، ١٩٨٦.

العاني، نوري عبد الحميد وعلاء جاسم الحربي. تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨. ط ٢. بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٥. ٦ ج.

العبادي، أحمد مختار. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢.

العبيدي، إبراهيم خلف. دراسات في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر. بغداد: منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

عزوز، محمد وعبد السلام الطاهر. العلامة مصطفى النجار: من أعلام الفكر والثقافة في مدينة السلام. تقديم محمد بوطربوش. سلا: [د. ن.]، ٢٠١٠.

عسه، أحمد. المعجزة المغربية. بيروت: دار القلم، ١٩٧٥.

عشر سنوات من الاستقلال: المغرب بين ١٩٥٦ و١٩٦٦. الرباط: منشورات وكالة الأنباء المغربية، ١٩٦٦.

العقاد، صلاح. السياسة والمجتمع في المغرب العربي. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١.

ـــــــ. المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٥٧.

ـــــــ. المغرب العربي (الجزائر ـ تونس ـ المغرب الأقصى). ط ٣. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦٩.

العلمي، محمد. محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب. الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٧٥.

ـــــــ. المغرب بين الاختيار الأيديولوجي والحوار السياسي. الرباط: الوكالة الإفريقية الآسيوية للصحافة والإعلام، ١٩٩٧.

العلوي، امحمد بن هاشم. من وراء السدود أو الحركة الوطنية بفاس، ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤. ط ٢. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠.

العلوي، علي منير. محمد الخامس... ورأيناه في القمر. الدار البيضاء: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٣.

العلوي، مصطفى. الأغلبية الصامتة بالمغرب. الدار البيضاء: مطابع دار الكتاب، ١٩٧٧.

علي، حليمي عبد القادر. جغرافية المغرب العربي. وهران: مكتبة المعارف، [د. ت.].

العمراني، عبد الحي حسن. الزعيم الوطني الكبير محمد بن الحسن الوزاني في سطور. فاس: مطبعة السلام، [د. ت.].

العيادي، محمد (مشرف). محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني. الدار البيضاء: مطبعة فضالة، ١٩٩٦. (سلسلة ندوات ومناظرات؛ ١)

عياش، ألبير. المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية. الرباط: دار الخطابي، ١٩٨٥.

غرانت، أ. ج. وهارولد تمبرلي. أوروبا في القرنيين التاسع عشر والعشرين. ترجمة محمد علي أبو درة ولويس إسكندر؛ مراجعة أحمد عزت عبد الكريم. القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٧.

غرايبة، عبد الكريم محمود. تاريخ العرب الحديث. بيروت؛ عمّان: الأهلية للنشر، ١٩٨٧.

ـــــــــ. دراسات في تاريخ أفريقيا العربية ١٩١٨ ـ ١٩٥٨. دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.

غلاب، عبد الكريم. تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب: من نهاية الحرب الريفية حتى بناء الجدار السادس في الصحراء. الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٧. ٢ ج.

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. موسوعة تاريخ المغرب العربي. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤. ٣ مج.
مج ٣: بني حفص وبني زيان وبني مرين، بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين: دراسة في التاريخ الإسلامي.

فارس، محمد خير. تاريخ المغرب الحديث والمعاصر. دمشق: جامعة دمشق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ـــــــــ. تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢ ـ ١٩٣٩. دمشق: [د. ن.]، ١٩٧٢. (دراسات في تاريخ شمال أفريقية الحديث)

الفاسي، علال. الحركات الاستقلالية في المغرب العربي. ط ٤. الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٠.

ـــــــــ. عقيدة وجهاد (نص التقرير الذي ألقاه علال الفاسي في المؤتمر العام لحزب الاستقلال ٨ ـ ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٦٠). الرباط: [منشورات حزب الاستقلال]، ١٩٦٠.

ـــــــــ. كي لا ننسى. الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٧٣. (سلسلة الجهاد الأكبر؛ ٩)

ـــــــــ. المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى. القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥.

ــــــــــ. منهج الاستقلالية. الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٦٢.

الفتلاوي، سهيل حسن. الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق. عمّان: دار الثقافة للتوزيع والنشر، ٢٠٠٩.

الفيلالي، أمين الهاشمي. دروس تاريخ المغرب. الدار البيضاء: مطبعة الأطلس، ١٩٦١.

القادري، أبو بكر. الحاج أحمد بلافريج، الدبلوماسي المحنك: ملامح من سيرته ونماذج من إنتاجه. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٦٩.

ــــــــــ. مذكراتي في الحركة الوطنية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤١٨هـ/١٩٩٢م. ٦ ج.

ج ١: من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠.

ج ٢: من ١٩٤١ إلى ١٩٤٥.

قائمة الشرف: تراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال ١١ يناير ١٩٤٤. الرباط: منشورات حزب الاستقلال، لجنة الإعلام والنشر، ١٩٨٨.

الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن قبر من العلماء في فاس. تحقيق حمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني. الرباط: دار الأمان، ٢٠٠٩. ٣ ج.

الكروي، محمود صالح. التجربة البرلمانية في المغرب، ١٩٦٣ ـ ١٩٩٧. بغداد: [د. ن.]، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

كريديه، إبراهيم. السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب. الدار البيضاء: شركة الطبع للنشر، ١٩٨٥.

الكغاط، محمد. المسرح وفضاءاته. القنيطرة: البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦.

لارامندي، ميغيل هيرناندودي. السياسة الخارجية للمغرب. ترجمة عبد العالي بروكي. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٣.

لاندو، روم. الحسن الثاني ملك المغرب. تعريب وتقديم بنحمان الداودي. الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦٩.

ــــــــــ. أزمة المغرب الأقصى. ترجمة محمد إسماعيل علي وحسين الحوت. القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٦١.

ــــــــــ. تاريخ المغرب في القرن العشرين. ترجمة نقولا زيادة؛ مراجعة أنيس فريحه. بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٦٣.

ـــــــــ. سلطان مراكش. ترجمة عبد المجيد بن جلون. القاهرة: المطبعة العالمية، ١٩٥٢.

ـــــــــ. محمد الخامس منذ اعتلائه العرش إلى يوم وفاته. تعريب ليلى أبو زيد. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩.

لوتسكي، فلاديمير بوريسوفيتش. تاريخ الأقطار العربية الحديث. ترجمة عفيفة البستاني. موسكو: دار التقدم، ١٩٧١.

مالكي، امحمد. الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٢٠)

مزين، محمد. تاريخ مدينة فاس: من التأسيس إلى أواخر القرن العشرين ـ الثوابت والمتغيرات. فاس: مطبعة سيباما، ٢٠١٠.

المشايخي، كاظم أحمد ناصر. الشيخ أمجد بن محمد سعيد الزهاي: عالِم العالم الإسلامي. ط ٢. بغداد: مطبعة أنوار دجلة، ٢٠٠٣.

المغرب الأقصى ـ مراكش. القاهرة: منشورات حزب الاستقلال، ١٩٥١.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير (معد). موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب. الرباط: منشورات عكاظ، ٢٠٠٥. ١١ مج.

المنوني، محمد. المصادر العربية لتاريخ المغرب. الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٨٣.

ج ٣: الفترة المعاصرة، ١٧٩٠ ـ ١٩٣٠.

ـــــــــ. مظاهر يقظة المغرب الحديث. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥. ٢ ج.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري. الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٥٥.

نداء القاهرة: خطب وكلمات ألقاها علال الفاسي عبر إذاعة القاهرة ومن خلال اجتماعات مكتب المغرب العربي في القاهرة. ط ٢. الرباط: [د. ن.]، ١٩٩٩.

واتربوري، جون. الملكية والنخبة السياسية في المغرب. ترجمة ماجد نعمة وعبود عطية. بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢.

الواسطي، أحمد. سيرة وحياة الإمام الخوئي. بيروت: دار الهادي، ١٩٩٨.

الورطاسي، قدور. ذكريات الدراسة في فاس. الدار البيضاء: دار الطباعة الحديثة، [د. ت.].

الوزاني، محمد حسن. مذكرات حياة وجهاد: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية. بيروت: مؤسسة محمد حسن الوزاني، ١٩٨٢. ٤ ج.
ج ١: طور المخاض والنشوء.
ج ٢: حرب الريف.

يعته، علي. موريطانيا: إقليم مغربي أصيل. الدار البيضاء: مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠.

يحيى، جلال. المغرب الكبير. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١. ٤ ج.
ج ١: العصور القديمة: أسسها التاريخية الحضارية والسياسية. لـ رشيد الناضوري.
ج ٢: العصر الإسلامي: دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية. لـ السيد عبد العزيز سالم.
ج ٣: العصور الحديثة وهجوم الاستعمار.
ج ٤: الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال.

دوريات

أبو الفداء. «من مشاكل القرويين (حزبية الإدارة القروية).» مجلة الرأي العام (الرباط): العدد ٢٣، كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٩.

الإرادة: العدد ٢٦٦، ٢٠ تموز/يوليو ١٩٣٨.

الأطلس (الرباط): العدد ١، ١٢ كانون الثاني/يناير ١٩٣٧؛ العدد ٣٠، ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٧.

الأهرام (القاهرة): ١٩٦٣/٤/١٨.

برايس، ديريك. «طرائف التراث العربي الإسلامي: ساعات من القرن الرابع عشر في فاس.» عرّبه وعلّق عليه عبد الهادي التازي، مجلة المجمع العلمي العراقي: السنة ١٣، ١٩٦٦.

البصائر: العدد ٥٠، ٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦؛ العدد ٥٨، ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦.

البلد (بغداد): ١٩٦٥/١٠/١٠؛ ١٩٦٥/١٠/١٢؛ ١٩٦٦/١/٨؛ ١٩٦٦/٣/١٠، والعدد ٥٤١، آذار/مارس ١٩٦٦.

البلاد (بغداد): العدد ٧٤٣، ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦.

التازي، عبد الهادي. «إخواننا المغاربة.» الإرادة (تونس): العدد ٢٦١، ١٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٧.

ـــــــ. «اعتراف بالجميل.» العلم: العدد ٢٥٥، ٨ تموز/يوليو ١٩٤٧.

ـــــــ. «أنك لا تجني من الشوك العنب.» العلم: العدد ٧٥٩، ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٤٨.

ــــــــ. «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس بن يوسف.» مجلة دعوة الحق (الرباط): السنة ١٠، العدد ٨، آذار/مارس ١٩٦٧.

ــــــــ. «خصال عظام.» الوحدة المغربية: العدد ٢٤، ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٣٧.

ــــــــ. «خطر الخمر العظيم.» البصائر (الجزائر): العدد ٥٠، ٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٦.

ــــــــ. «دراسة حول كتاب «تاريخ المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة.» مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد): السنة ١١، ١٩٦٤.

ــــــــ. «صفحات من مذكراتي عن مدرسة الفقيه الرجراجي.» مجلة الجواهر (الرباط): العدد ٢٣، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٦.

ــــــــ. «فوائد الصوم.» الأمة الجزائرية (الجزائر): العدد ٢٣، ٢٤ تموز/يوليو ١٩٣٦.

ــــــــ. «كشف الستار.» الإرادة: العدد ٢٦٤، ١٧ تموز/يوليو ١٩٣٨.

ــــــــ. «لكن من المسؤول.» العلم: العدد ٧٥٣، ٥ أيلول/سبتمبر ١٩٤٨.

ــــــــ. «لن نقبل الأوتوقراطية أبداً.» الإرادة: العدد ٢٦٧، ٢٧ تموز/يوليو ١٩٣٨.

ــــــــ. «نحو الطريق إلى السجن.» جريدة العلم (الرباط): العدد ٤٧٥ (الملحق الثقافي)، ٦ تموز/يوليو ١٩٧٩.

ــــــــ. «هذا بلاغ للناس.» الوحدة المغربية: العدد ١٢، ١٧ آذار/مارس ١٩٣٧.

ــــــــ. «وطني.» الوحدة المغربية: العدد ٢٣، ٢٥ نيسان/أبريل ١٩٣٧.

ــــــــ. «يا قومنا أجيبوا داعي الله.» الوحدة المغربية: العدد ١٨، ١٨ نيسان/أبريل ١٩٣٧.

الجابري، محمد عابد. «المدرسة المغربية ووظيفتها الإيديولوجية.» مجلة الأقلام (الرباط): العدد ٩، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥.

الجمعي، عبد المنعم إبراهيم. «أثر الاتفاق الودي على مستقبل المغرب ومصر السياسي.» مجلة التاريخ العربي (جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط): العدد ٣٥، تموز/يوليو ٢٠٠٥.

«الخطابي رجل بلا ثمن.» مجلة الوطن العربي (باريس): العدد ٤٥٥، آب/أغسطس ١٩٨٥.

الدبلوماسي (الرباط): العدد ١٥٦، كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧.

الدفاع: العدد ٣، ١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧.

دنيا العرب (بغداد): العدد ٥، تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣.

الرسالة المغربية (الرباط): العدد ٦، ٢٨ آذار/مارس ١٩٤٩.

الزمان (بغداد): ١٩٩٢/٦/١٥.

السامرائي، شفيق عبد الرزاق. «حزب الاستقلال المغربي.» مجلة العلوم السياسية (بغداد): السنة ٣، العدد ٨، آب/أغسطس ١٩٩٠.

السعادة (الرباط): ١٩٤٩/٥/٢٤.

«السفراء المغاربة الجدد والسفراء المعتمدون بالرباط.» المغرب (مجلة وزارة الشؤون الخارجية، الرباط): العدد ٥، كانون الثاني/يناير ١٩٦٣.

الشبيبي، محمد رضا. «رحلة إلى المغرب الأقصى.» مجلة المجمع العلمي (بغداد): السنة ١٢، ١٩٦٥.

الشعب (بغداد): ١٩٦٣/١٠/٢؛ ١٩٦٣/١٠/٦؛ ١٩٦٣/١٠/٨؛ ١٩٦٣/١٠/١٥؛ ١٩٦٣/١٠/١٦؛ ١٩٦٣/١٠/١٧؛ ١٩٦٣/١٠/٢٦، و١٩٦٣/١٠/٣١.

الطليعة (بغداد): ١٩٦٣/٦/١٨.

العرب (بغداد): العدد ٣٢٥، تموز/يوليو ١٩٦٤؛ العدد ٥١٩، ١٠ آذار/مارس ١٩٦٦، والعدد ٥٢٢، آذار/مارس ١٩٦٦.

العلم: العدد ٢٥٠، ٣ تموز/يوليو ١٩٤٧؛ العدد ٢٥٤، ٦ تموز/يوليو ١٩٤٧؛ العدد ٧٢٢، ١١ أيار/مايو ١٩٤٨؛ ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧؛ ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٩٥٨؛ ٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨، و١٦ حزيران/يونيو ١٩٦٤.

علي، كريمي. «الدبلوماسية المغربية وسياسة المحاور العربية.» مجلة أبحاث: العدد ٨، آب/أغسطس ١٩٨٥.

الفاسي، علال. «حاجتنا إلى التجديد.» مجلة المغرب الجديد: العدد ١٢، حزيران/يونيو ١٩٣٦.

مجلة الجمعية الرياضية السلاوية (الرباط): العدد ٢، حزيران/يونيو ـ تموز/يوليو ٢٠٠٦.

مجلة القضاء والتشريع (تونس): العدد ٦، حزيران/يونيو ١٩٨٠.

المغرب (سلا): العدد ٢٣، ٦ أيلول/سبتمبر ١٩٣٧؛ العدد ٧، ١ تموز/يوليو ١٩٦٣.

المكتبة (بغداد): العدد ٥٠، آذار/مارس ١٩٦٦.

المنار (بغداد): ١٩٦٥/٨/٣؛ ١٩٦٦/٢/٤؛ ١٩٦٦/٣/٢، و١٩٦٦/٣/١٧.

منصور، فؤاد. «حزب الاستقلال الأمان السياسي في التعادلية الاجتماعية.» مجلة الوطن العربي (باريس): العدد ٢٢٣، أيار/مايو ١٩٨١.

الوحدة المغربية (تطوان): العدد ٢٢، ٢١ نيسان/أبريل ١٩٣٧.

الوزاني، محمد حسن. «الصراع بين الحق والباطل.» جريدة الدفاع (الرباط): العدد ٢، ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٧.

رسائل جامعية، أطروحات

بنعبد الرحمن، سيدي محمد. «حركة الإصلاحات والتحديث في المغرب الأقصى (١٨٤٤هـ/١٩١٢م).» (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

التازي، أحمد. «القرويين ودورها في ترسيخ الهوية المغربية.» (بحث مقدم لنيل الإجازة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٠٦).

حميد، عبد الوهاب كريم. «العلاقات العراقية ـ المغربية بعد أزمة الخليج الثانية الواقع وآفاق المستقبل.» (رسالة دبلوم الدراسات العليا المقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال ـ الرباط، ٢٠٠٣).

الخزاعي، سمر رحيم نعمه جبارة. «العلاقات المغربية ـ الأمريكية، ١٩٥٦ ـ ١٩٩١.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

الدليمي، خلف عبيد حمود. «المهدي بن بركة ودوره الفكري والسياسي في المغرب.» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

الربيعي، سراب جبار خورشيد. «التطورات السياسية والاقتصادية في المملكة المغربية (١٩٥٦ ـ ١٩٩٠).» (أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

الساعدي، عبد الجليل مزعل بنيان. «الملك محمد الخامس دوره السياسي في المغرب الأقصى حتى عام ١٩٦١.» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

سعد، انتصار جاسم. «السلطان الحسن الأول ودوره السياسي في المغرب الأقصى (١٨٧٧ ـ ١٨٩٤).» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

السعدي، مائدة خضير علي. «أحمد بن بلة ودوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى عام ١٩٦٥.» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية ـ ابن رشد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤).

الصكر، ظاهر محمد. «شكيب أرسلان ودوره السياسي (١٨٦٩ ـ ١٩٤٦).» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

الطائي، ابتسام سلمان سعيد. «التطورات السياسية في شمال المغرب (١٩١٢ ـ ١٩٥٦).» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٤٧٨هـ/٢٠٠٧م).

عبد الرحمن، سيدي محمد. «علال الفاسي ودوره في الحركة الاستقلالية في المغرب الأقصى، ١٩٢٥ ـ ١٩٥٦.» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ١٤١٣هـ/١٩٩٦م).

علي، كريمي. «جامعة الدول العربية والمنازعات التقليمية العربية.» (رسالة دبلوم دراسات عليا في القانون العام غير منشورة مقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، ١٩٨٠).

عمراني، محمد. «جامعة القرويين، ١٩١٤ ـ ١٩٣٤.» (رسالة دبلوم الدراسات العليا غير منشورة مقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٨).

القطان، لقمان صالح أحمد. «سياسة فرنسا البربرية وأثرها في الحركة الوطنية المغربية.» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

الناصري، محمد. «رحلة محمد الخامس إلى طنجة ٩ ـ ١٣ أبريل ١٩٤٧.» (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠٠٥).

الوائلي، ناصر علوان. «عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام ١٩٦٦.» (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية، بغداد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

ندوات، مؤتمرات

جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي: أعمال ندوة تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود. نظّمها بيت آل عزيز الحبابي؛ تحت إشراف وتصدير فاطمة الجامعي الحبابي. فاس: منشورات جامعة القرويين، ١٩٩٦.

الذكرى الخمسون لثورة الملك والشعب: [أعمال] الدورة الخاصة التي عقدت في الرباط أيام ٢٤ ـ ٢٦ جمادى الثاني ١٤٢٤هـ، موافق ٢٢ ـ ٢٤ غشت ٢٠٠٣م. نظّمتها أكاديمية المملكة المغربية. الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ٢٠٠٤.

محمد الخامس، الملك الرائد: أعمال الندوة الدولية التي نظّمت من ١٦ إلى ٢٠ نوفمبر ١٩٨٧. الرباط: جمعية رباط الفتح للتنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، ١٩٨٧.

مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة: [أعمال] الندوة [المنعقدة] بتطوان ٢٦ ـ ٢٧ شعبان ١٤١٧هـ ٦ ـ ٧ يناير ١٩٩٧م. تطوان: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧.

المغرب وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية: أعمال ندوة دولية نظمتها مجموعة البحث والتوثيق في التاريخ العسكري. الرباط: [د. ن.]، ١٩٩٦.

المقاومة المغربية ضد الاستعمار ١٩٠٤ ـ ١٩٥٥: الجذور والتحليلات: أعمال الندوة العلمية [بأكادير في ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ نوفمبر ١٩٩١]. تنظيم مندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير؛ بتعاون مع كلية الآداب. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٧.

مؤتمر الأدب والعرب المنعقد في الكويت للفترة من ٢٠ ـ ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٨.

المؤتمر الإقليمي الأول في فاس للجان الوطنية العربية لليونسكو، الرباط، ٢٧ ـ ٣٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٨. الرباط: منشورات وزارة التربية الوطنية المغربية، ١٩٥٨.

المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية في فاس ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٩. القاهرة: منشورات جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، ١٩٦١.

المقابلات الشخصية

أحمد الغازي الحسيني، ٢٠١١/١٢/٢٧.

ثريا بوطالب، ٢٠١٢/١/١.

عبد الفتاح الزين، ٢٠١٢/١/١٤.

عبد الهادي التازي، مقابلات متعددة ٢٠١١/١٢/٢٤، ٢٠١٢/١/٤، ٢٠١٢/١/٥، ٢٠١٢/١/٨، ٢٠١٢/١/١٥، ٢٠١٢/١/١٦، ٢٠١٢/١/١٩، ٢٠١٢/١/٢١، ٢٠١٢/١/٢٦، ٢٠١٢/٢/٤.

علي الصقلي، ٢٠١١/١٢/٢٨.

محمد الصقلي، ٢٠١١/١٢/٢٧.

محمد العراقي، ٢٠١١/١٢/٢٨.

محمود علي الداود، ٢٠١١/١١/١٧.

يوسف الفاسي، ٢٠١١/١٢/٢٨.

٢ ـ الأجنبية

Books

Abun-Nasr, Jamil M. *A History of the Maghrib in the Islamic Period.* 2nd ed. London; New York: Cambridge University Press, 1955.

Al-Arawi, Abdullah. *Les Origines sociale et culturelles de la nationalité marocaine,* 1830-1912. Paris: Maspéro, 1977.

Assaraf, Robert. *Éléments de l'histoire des juifs de Fès: de 808 à nos jours.* Préface de Mohamed Mezzine. Rabat: Editions Bouregreg, 2009.

Atkinson, William C. *A History of Spain and Portugal.* London: Penguin, 1960.

Baida, Jamaâ et Jean-Claude Allain. *La Presse marocaine d'expression française: Des origines à 1956.* Rabat: Faculté des lettres et des sciences humaines, 1996.

Bernard, Stéphane. *Le Conflit Franco-Marocain 1943-1956.* Bruxelles: Institut de Sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1962. 3 vols.

Burke, III, Edmund. *Prelude to Protectorate in Morocco 1860-1912: Precolonial Protest and Resistance, 1860-1912.* Chicago, IL: University of Chicago Press, 1967.

Churchill, Winston S. *The Great War.* London: George Newnes Limited, 1933.

The Encyclopedia Americana. New York: American Corporation, 1976.

Julien, Charles-André. *Le Maroc face aux imperialisms, 1415-1956.* Paris: Editions J. A., 1978.

Rézette, Robert. *Les Partis politigues marocains.* Préface de Maurice Duverger. Paris: Librairie Armand Colin, 1955.

Rivet, Daniel R. *Lyautey et l'institution du Protectorat français au Maroc, 1912-1925.* Paris: L'Harmattan, 1988.

Vacher, Hélène (dir.). *Villes coloniales aux XIX-XXème siècles: d'un sujet d'action à un objet d'histoire.* Paris: Maisonneuve Larose, 2006.

Unpublished Documents

R.G, D.F, n8801.001/3-2346 (From Paris, to Secretary of State), Biographic Eirik Labonne, 4 April 1946.

P.R.O., F.O, 371/67845 (Telegram from Mr. Mallet, Tangir), 14 April 1947.

P.R.O, F.O, 371/67845 (From Moscow to Foreign Official), 23 April 1974.

فهرس